الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية _قسنطينة_ كلية الآداب والحضارة الإسلامية.

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي.....

رقم التسجيل .....

الدور الاجتماعي والثقافي لزوايا المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط من القرن (7_9هـ/13_15م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م د في العلوم الإنسانية –تاريخ-

تخصص تاريخ المغرب السياسي والحضاري في العصر الوسيط

إعداد الطالب: إشراف الدكتور:

- عبد النور ختالة د/ مراد لكحل.

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ د/ إبراهيم بن مهية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة	عضوا
د/ مراد لكحل	أستاذ محاضر صنف –أ-	جامعة محمد بوضياف _مسيلة_	مشرفا
أ د/ عبد الخليل قريان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة	رئيسا
أ د/ علاوة عمارة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة	عضوا
د/ آسيا ساحلي	أستاذة محاضرة صنف _أ_	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة	عضوا
أ د/ سناء عطابي	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	عضوا

السنة الجامعية: 2025_2026م/ 1446_1447هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الكريم الدكتور

"مراد لكحل "

الذي لم يأل على من دعم وتوجيهات كان لها الدور في إنجاز هذه الدراسة

شكر خاص

لا يفوتني في هذا العمل أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم العرفان إلى أستاذي الكريم في الطور الابتدائي محمد العزلي متمنيا له طول العمر والصحة والعافية.

فضلا عن أستاذي القدير الذي علمني اللغة الإنجليزية لغة العلم والعالم العيد أورابح

كما لا أنسى الأديب الدكتور عبد الحميد ختالة أستاذ اللغة العربية بجامعة خنشلة الذي أفادني بعلمه وأدبه وخلقه ولم ييأس علي من توجيهات ونصائح طوال مساري الدراسي أتمنى له التوفيق والنجاح في مشواره الدراسي والبحثي

كما لا أنسى كذلك خليلي وزميلي وقدوتي الذي كان سندا لي في اتباع طريق العلم الأستاذ طلعوت عبد النور الباحث المجد خريج المدرسة العليا للأساتذة «مسعود زوقار".

كل الشكر والتقدير والاحترام إلى جميع الأساتذة المتخصصين في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة-

إهداء

أهدي عملي إلى:

الوالدين الكريمين

زوجتي ورفيقة حياتي

الإخوة والأخوات

الزملاء والأحبة الكرام

قائمة المختصرات:

تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
تق	تقديم
ج	جزء
د ت	دون تاريخ
ط	طبعة
د ط	دون طبعة
ع	عدد
مج	مجلد
و	ورقة

مقدمة

مقدمة:

أولا: أهمية الموضوع.

بالرغم من الظهور المتأخر للزاوية بالمغرب الأوســط إلا أنها ما لبثت أن تحولت إلى إحدى الفواعل الرئيسـية في المنطقة، إذا لم تكن مجرد فضـاء ديني للتعبد أو التعليم بل إن وظائفها توسـعت مع مرور الوقت، وأضـافت إليها أدوارا أخرى حملت أبعادا اجتماعية وسـياسـية وثقافية، وزادت من مكانتها وهو ما لفت عناية الباحثين في حقول علم التاريخ وعلم الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع لما تحمله من معلومات عميقة ودقيقة تتجاوز المظهر الديني إلى معالجة البنى الاجتماعية وضـــبط التوازن داخل شرائح المجتمع.

كما تعلقت الزاوية في مســـار نشـــأتها التاريخية بالبنية العمرانية والاجتماعية بمدن وقرى المغرب الأوسط فكانت مظهرا يبرز تفاعل الانسـان الصـوفي مع بيئته الجغرافية، والزاوية تقدم توضـيحا دقيقا للمتصـــوفة في المجتمعات الإســـلامية عموما، ولعبت دورا كبيرا في التوعية والتفطن الاجتماعي بما يتناسب حياة الزهد والانقطاع والتصوف.

وإن ما تتميز به الزوايا وما تحتوي عليه من أوعية فكرية تتمثل في المكتبات الغزيرة بالمخطوطات والوثائق والكتب في مختلف العلوم، يعتبر شاهدا ماديا على مدى تفاعلها في الحياة الثقافية، ومصدرا معرفيا في بالغ الأهمية، فقد يعد تراثا ثقافيا ووثائقيا يســـتطيع الباحث من خلاله التعرف على العلاقات التي جمعت بين السـياسـة والدين، ويكشـف دور مؤسـسـة الزاوية في الحفاظ على التوازن الذي جمع بين المجتمع ورجال الساسة في فترات الأزمة والاضطراب.

وقد تكمن أهمية دراسة مؤسسة الزاوية في قدرتها على إضاءة جوانب خفية من التاريخ الاجتماعي والسـياسـي للمغرب الأوسـط ونزع الحجب عنه، لأنها كيانا أنتج الفكر وحقق المعرفة ووجه المجتمع، ولعب دورا محوريا في بناء الدولة والمجتمع معا، ومن هنا تأتي الحاجة إلى دراسـة هذه المؤسـسـة وتحليل ما قدمته طيلة مسارها التاريخي مع استقراء بنيتها العمرانية وإظهار دورها على المستوى الحضاري.

وبناء على ما سبق سعى المؤرخون إلى تحقيق نقلة نوعية في رصد الأدوار التي اضطلعت بها المؤسسة الدينية العريقة من خلال تتبع مسارها في تأطير أفراد المجتمع دينيا وفكريا واجتماعيا، وقد تهدف هذه

الدراسات إلى توضيح مدى الترابط العضوي بين المكونين السياسي والديني في بنا الدول واستقرار المجتمعات.

وعلى هذا الأساس شكلت الزاوية في تاريخ المغرب الأوسط مَعْلَما حضاريا بارزا تجذر في الوعي الجماعي وأسهم في توجيه البنية الاجتماعية والروحية، ومن هنا تبرز ضرورة تسليط الضوء عنها من أجل دراستها دراسة علمية تحليلية تبرز وزنها التاريخي وأهميتها في محطاتها الكبرى لما تحمله من أبعاد دينية إصلاحية وقدرة على التكيف مع الأزمات الاجتماعية والسياسية والطبيعية التي مرت بها المنطقة.

وفي هذا السياق توضح هذه الدراسة مشروعيتها من رغبة الباحث في توسيع دائرة القراءة والبحث في هذا المجال بغية تحليل مظاهر تأثير الزوايا في تاريخ المغرب الأوسط وإظهار الأبعاد الفكرية والاجتماعية التي ميزت مسارها عبر العصور.

نزولا عند مقترحات أساتذتنا ومشرفنا ارتأينا أن يكون موضوع بحثنا الموسوم بالدور الاجتماعي والثقافي لزوايا المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط من القرن (7_9هـ/ 13_15م)، مجال اشتغالنا العلمي وقد انصب اهتمامها على توسيع آفاق القراءة و التحليل قصد استجلاء الأبعاد المتعددة التي ميزت ظاهرة الزوايا، وما اضطلعت به من أدوار اجتماعية وثقافية داخل النسيج المجتمعي المغربي خلال تلك الفترة كما سعينا إلى طرح تساؤل تاريخي حول اسهام هذه الزوايا في إصلاح المجتمع وتجاوز أزماته، إلى جانب إبراز وظيفتها التعليمية في نشر العلوم العقلية والنقلية وتكوين النخب الدينية والفكرية.

ومن هذا المقام، ينبغي التذكير بأن البحث هذا يعدو أن يكون محاولة ضمن عديد الأعمال، ومبلغُ رجائنا أن يسهم بما يسر في دعم وإثراء البحوث في تاريخ المغرب الأوسط الذي لايزال يستأثر باهتمام المؤرخين والباحثين.

وقد تتبعنا في دراستنا هذه أدوار زوايا المغرب الأوسط طيلة الفترة المدروسة، اعتمادا على طبيعة المادة المصدرية باختلاف أنواعها، من خلال ما أوردته من معارف في ميدان التصوف، سواء أكانت عربية أم استشراقية، والتي أمدتنا في بعض المعطيات العامة للزوايا، أضف إلى ذلك الوثائق الرسمية

المحفوظة، والتي تعود إلى ثلاثة قرون، وهي ما تطلب منا تقديم تفاصيل قدر المستطاع، مقرونة ببعض النماذج والشواهد الخاصة بالزوايا التي ذكرتها المصادر.

والغاية من ذلك أن نظهر بعض التصـــورات والملاحظات التي قد تســـهم في تحديد قراءة هذا الموضـوع، إضـافة إلى محاولتنا فتح آفاق بحثية جديدة متعلقة بتاريخ إقليم المغرب الأوسـط على وجه الخصوص.

ثانيا: دواعي وأسباب اختيار الموضوع.

لقد انبثق اهتمامنا بهذه الدراسة، وانطلقت ارادتنا في معالجتها والخوض في غمارها، والكشف عن حقائقها التاريخية من جملة الدوافع والاعتبارات العلمية التي اقتضـت البحث والتقصـي في موضـوعها وهي كالتالي:

1ــ أن الـدور البـارز الـذي تلعبـه الزوايـا اليوم في التـأطير الاجتمـاعي والتعليم الـديني وحتى الثقـافي للمجتمع الجزائري لا ســيما في غرب البلاد والجنوب الكبير، ولّد لديّ شــغفا إضــافيا للبحث في الموضوع من أجل معرفة وظائفها في المغرب الأوسط عبر عصورها التاريخية الوسيطة.

2ــ قلة الدراسـات الجزائرية التي تناولت تاريخ الزوايا بالمغرب الأوسـط كموضـوع مسـتقل بذاته، إذا عادة ما يتم تناولها ضــمن مواضــيع وأبحاث التصــوف، على عكس ما عرفته في البلدان المجاورة ــ الدراسات التونسية والمغربية ــ

3ــ انبثقت رغبتنا في البحث على الدور الذي قامت به الزاوية تجاه المجتمع خلال الفترة المدروسـة، ومعرفة المناهج التي انتهجتها في تجاوز الأزمات السـياسـية والطبيعية التي عصـفت بسـكان المغرب الأوسط، بالإضافة إلى رغبتنا في فهم أثرها في تشكيل السلوكَين الاجتماعي والذهني، إلى الحد الذي أسهم في بروز ظاهرة الاعتقاد بالأولياء كأحد المظاهر الدينية الجديدة في تلك المرحلة.

4ــ معرفة أسباب احتضـان الزاوية للفكر الصـوفي، حتى باتت مؤسـسـة داعمة ناشـرة له من مختلف أرجا المغرب الإســـلامي، مع الوقوف على المناهج التي انتهجتها في جذب أعداد هائلة من المريدين والمنقطعين فضلا عن علاقاتها المتميزة بالعلماء والفقهاء ورجال الدولة.

5_ من أجل فهم الغاية الأســاســية من الدور الذي قامت به الســلطة في إحياء الفكر الصــوفي وتدعيمه ومدى سـعيها إلى اسـتمالة المتصـوفة عبر تقديم الإعانات والعطاءات المادية التي تمثلت في منح الأموال والعقارات والبساتين، إلى جانب التحفيزات المعنوية كتخفيف الضرائب عنهم.

6_ تسعى هذه الدراسة إلى معرفة مدى هيمنة وسيطرة المشيخة الصوفية على ذهنية وعقلية إنسان المغرب أوسطي، نتيجة شيوع ظاهرة التبرك بالأضرحة، والخوف من دعاء الشيوخ عليهم، مع طلب الشـفاعة منهم ومعرفة عمق التأثير الروحي والاجتماعي الذي مارسـه المتصـوفة في الوعي للمجتمع خلال تلك المرحلة.

7_ رغبتنا في التعرف على الخدمات الاجتماعية والإنسـانية التي اضـطلعت بها الزاوية داخل المجتمع، من إطعام للفقراء وإيواء للمسافرين والشفاعة لهم عند السلطة، مع محاولتنا في الكشف عن الغايات الكامنة وراء تلك الأعمال، وما انطوت عليه من أبعاد دينية وإنسانية واجتماعية.

8_ حبنا في الاطلاع على الدور الثقافي والتعليمي الذي اضــطلعت به الزاوية في تعليم أفراد المجتمع بالمغرب الأوســـط وتثقيفهم، والدروس التي كانت تقدمها، والمناهج التربوية التي اعتمدتها، وطرائق إلقاء الدروس وتلقينها.

9_كما تنبع رغبتنا من السـعي إلى كشـف الرصـيد المعرفي الذي أسـهمت الزوايا في ترسـيخه لدى المتعلمين والمريدين، والتعرف على أبرز الافرازات العلمية التي نتجت عنها، من مصـــنفات ومدونات وشروح ومختصرات في مختلف الميادين العلمية سواء النقلية منها أم العقلية.

ثالثا: إشكالية الدراسة.

تمحورت الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة حول مجموعة من التساؤلات التي شكلت محورا أساسيا للبحث والمناقشة والتحليل عبر مختلف مراحله وهي على النحو التالي:

هل أسهمت الزاوية في المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع والتاسع للهجرة/13_15م، في معالجة وتشكيل البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع؟ وهل استطاعت من خلال أدوارها الدينية والتربوية أن تؤثر في النسـيج الاجتماعي وتبرم العلاقات بين السـلطة والرعية في ظل التحولات التاريخية التي شهدتها تلك المرحلة؟

كما اندرج تحت هذه الإشكالية المحورية جملة من الأسئلة الفرعية، وهي كالآتي:

1. **ماهي الظروف التي أحاطت بنشأة الزاوية؟ وهل هي امتداد لمؤسستي الرباط والرابطة، أم أنها استقلت بهوية ميزتها عنهما؟**
2. **ما أثر المتغيّرات السياسية والأزمات المجتمعية في بلورة الأدوار التي اطلعت بها مؤسسات التصوف من الرباط إلى الزاوية؟**
3. **ما خلفيات الانفتاح التفاعلي للزوايا على مجتمع المغرب الأوسط؟ وكيف أسهم ذلك في سعي السلطة إلى تقريبها واحتواء أدوارها؟**
4. **ماهي ملامح الدور الاجتماعي الذي اطلعت به مؤسسة الزاوية في مجتمع المغرب الأوسط؟ وهل استطاعت أن تؤثر في ذهنيته وتوجّه سلوكاته؟**
5. **ما طبيعة الأنشطة الثقافية التي مارستها زوايا المغرب الأوسط؟، وما حجم تأثيرها في الحراك الثقافي بالمنطقة خلال مرحلة الدراسة؟**
6. **ما طبيعة العلاقة بين الفكرة الصوفية ومؤسسة الزاوية؟**
7. **كيف تمكنت الزاوية من تجاوز الأزمات السياسية والطبيعية الي ألمّت بالمغرب الأوسط، وما الآليات التي اعتمدتها للتخفيف من آثارها؟**
8. **ما الخلفيات التاريخية الكامنة وراء الخدمات الاجتماعية والثقافية التي قدمتها الزوايا للمجتمع؟**

رابعا: هيكل الدراسة.

انطلاقا من المادة المصدرية التاريخية التي تمكّنا من جمعها، وما أتيح من دراسات حديثة تناولت موضوع الزوايا من جهات مختلفة، واستنادا إلى المناهج البحثية الملائمة لطبيعة هذا البحث، ثم تقسيم الدراسة إلى أربعة فصول مترابطة فيما بينها، استُهلت بمقدمة أبرزنا فيها أهمية الموضوع، وحددنا إشكاليته ومحاوره الأساسية، وبينا المنهج المعتمد في معالجته إضافة إلى الدوافع التي حفزتنا إلى اختياره،

والصـــعوبات المنهجية والميدانية التي واجهتنا أثناء إنجازه، كما خُتمت المقدمة بعرض تحليلي لأهم المصادر والمراجع والدراسات الأكاديمية التي شُيد عليها هذا البحث.

وقد ارتأينا أن نخصّص في الفصل الأول لمؤسسة الزاوية في المغرب الأوسط، من خلال تتبع أصولها التاريخية ووظائفها التعليمية، حيث عرجنا على مؤسستي الرباط والرابطة اللتين برزتا في العهد المرابطي والموحدي، باعتبارهما النواة الأولى التي مهدت لظهور الزاوية وتطورها اللاحق، خاصـــة أن الأخيرة لم تكن قد اتخذت شـــكلها المعروف خلال تلك الفترة، فقد مثّل الرباط والرابطة الإطارين الأقدمين اللذين أدّيا وظائف دينية وتعليمية وأمنية على وجه الخصـوص، أسـهمت في بلورة الفكرة الزاوية فيما بعد، كما عُني الفصـل بتبيان عوامل تأسيس هاتين المؤسـستين وأدوارهما المتعددة، خاصـة في المجالين الأمني والديني ولاسيما بعد انتشار الفكر الصوفي في ربوع المغرب الإسلامي.

وانطلاقا من هاته المعطيات، اقتضى هذا الفصل الوقوف عند أهم المراكز والمناطق التي تمركزت فيها الأربطة والرابطات، مع إبراز خصـائصـها المعمارية، وما اشـتملت عليه من فضـاءات مخصـصـة للتعليم والدراســة وأماكن تخزين الأســلحة، بغية الكشــف عن وظائفها المتعددة، من عبادة وتبرك واحتراس وإغاثة فضـلا عن كونها محط رحال للمسـافرين، ومركزا لاستقطاب الفقراء ودعمهم، ومؤسسـة لتعليم الصبية القرآن الكريم.

تطرقنا في الفصــل الثاني الموســوم "بالزاوية بالمغرب الأوســط: قراءة في المفهوم ومســار التطور" إلى دراسة مفهوم الزاوية من الناحيتين اللغوية والاصـطلاحية، مع محاولة أوجه التمايز بين مؤسسـة الزاوية ومؤسستي الرباط والرابطة من حيث البنية العمرانية ووظائفها الخدماتية والاجتماعية.

ثم تنـاولنـا في المبحـث الموالي موضـــوعـا بعنوان "الزاوية بين ثنـائيـة العمران المـادي والاحتضـــان الاجتماعي" تناولنا فيه نشـــأة الزاوية في مجال المغرب الأوســـط والظروف التاريخية التي أحاطت بتأســـيســـها وظهورها الفعلي، كما ســـعينا إلى تبيّن ما إذا كانت الزاوية تمثل امتدادا وتطورا طبيعيا لمؤسـستي الرباط والرابطة من حيث أدوارهما الاجتماعية والثقافية، مع تحليل الأسـباب التي أدت إلى اندثارهما تدريجيا.

وختمنا هذا الفصل ببحث في مرحلة بروز الزوايا في حواضر المغرب الأوسط بداية بحاضرة تلمسان كونها الممثل الكبير لإقليم المغرب الأوسط ابان الفترة المدروسة، ثم تطرقنا إلى زوايا حاضرة قسنطينة وبجاية، مبرزين تنوع أنماطها ووظائفها ومن ذلك نجد الزاوية الرسمية التي أُنشـــئت برعاية الســـلطة السياسية ورُصدت لها موارد مالية معتبرة وأحباس دائمة. ثم الزاوية الفقهية التي تخصصت في تدريس العلوم الشـــرعية وتحفيظ القرآن الكريم، كما تناولنا الزاوية الريفية التي أقيمت في الأرياف لحماية المحاصيل الزراعية من اللصوص مع اضطلاعها في الوقت نفسه بوظائفها التعبدية.

وخلال عرضنا لهذه الأنواع أبرزنا المصادر التمويلية التي كانت تعتمد عليها الزوايا في أداء رسالتها وتحقيق أهدافها، وفي مقدمتها الأوقاف والأحباس التي وُقفت لسبيلها من قبل العامة والسلطة الرسمية على حد سواء، حيث أُوقفت عليها الأراضي والبساتين والعيون والأطعمة والمحاصيل، وقد مكنها من ذلك من الاضـــطلاع بدور اجتماعي بارز تمثّل في رعاية الفقراء والمحتاجين، خلال فترات الأزمات السياسية أو الكوارث الطبيعية، فضلا عن الصدقات والهبات التي كانت تقدم لطلبتها ومريديها.

واستنادا إلى ذلك، أشرنا إلى طبيعة العلاقة التي جمعت الزاوية بالسلطة، وما تمتعت به من امتيازات وإعفاءات ضريبية، إلى جانب ما كانت تتلقاه من نذور وفتاوى ومساعدات متعددة المصادر، وهو ما ساهم في ترسيخ مكانتها ضمن النسيجين الاجتماعي والسياسي للمغرب الأوسط.

كما توقفنا عند النظام التربوي والإداري للزوايا في المغرب الأوســـط، فقمنا بذكر إشـــارات عن المناهج التربوية وشرح بعض أساليب المجاهدة والتربية الصوفية التي كان يفرضها شيوخ الزوايا عن المريدين ســـواء في عباداتهم أو في آدابهم اليومية المتعلقة بالمأكل والمشـــرب والمجالس داخل الزاوية وخارجها.

وقمنا بذكر النظام الهرمي لهذه الزوايا بشـــكل عام بدءا بالشـــيخ الذي يعتبر المســـؤول الأول في تسييرها وإدارتها ثم يليه المريد الذي يلتزم بتعاليم الشيخ ويتبع طريقته، وصـولا إلى الخديم الذي يقوم بخدمة الزاوية في شـؤونها اليومية، من تنظيف وإعداد الطعام وهذا يعكس إخلاصـه وارتباطه الروحي بالمؤسسة.

خصـــصـــنا الفصـــل الثالث لدراســـة الزوايا بوصـــفها إطارا اجتماعيا فاعلا في مواجهة الأزمات والتحولات التي عرفها المغرب الأوسط، في سياق تاريخي تميز بتقلبات طبيعية واضطرابات سياسية أثرت بعمق في البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع.

فقد شهدت المنطقة سلسلة الكوارث الطبيعية كالفيضانات والسيول والأعاصير وفترات الجفاف المتعاقبة، إلى جانب التي أتت على المحاصيل وأدخلت السكان في دورات متكررة من القحط والمجاعة، وقد ســـاهمت هذه العوامل مجتمعة في إضـــعاف البنية الزراعية والاقتصـــادية، مما جعل المجتمع أكثر هشاشة أمام الأزمات اللاحقة.

وفي الجانب السياسي كان المغرب الأوسط مسرحا لصراعات حادة بين الدول المجاورة من أجل بسط نفوذها والسيطرة على المراكز الحضرية والتجارية الحيوية، وقد انعكست هذه الصراعات على الوضع الاجتماعي، إذا أدت إلى اضطراب الأمن وتفكيك الروابط السياسية، فوجد الأفراد في الزوايا ملاذا يحتمون به من الفتن والحروب، ومؤســـســـــة توفر لهم الأمن الروحي والاجتماعي في زمن الاضطراب.

ونتج عن تلك التحولات تدهور ملموس في الأوضـــاع المعيشـــية، فانتشـــرت ظواهر اللصـــوصـــية والسرقة، خاصة بين الفئات المهمشة والمتغربة عن المجتمع، مما أفرز طبقة من الفقراء والمتسولين، الذين امتلأت بهم الطرقات والأســـواق، وحتى المؤســـســـات الدينية، ومنها المســـاجد والزوايا، كما ظهرت ممارســـات ســـلبية مثل تعاطي المخدرات كوســـيلة للهروب من الواقع القاســـي ونســـيان معاناة الفقر والحرمان.

ثم تناولنا في هذا الفصل الدور المحوري الذي اضطلعت به الزوايا للتخفيف من آثار هذه الأزمات، إذ تحولت إلى مراكز للإيواء والعلاج والإطعام، فكانت تقدم المســـاعدة للمرضـــى والمحتاجين، وتؤمن الغذاء لعابري السبيل والطلبة المقيمين، كما تجاوز دوره الجانب الخيري إلى أبعاد سياسية وأمنية مهمة، حيث مارست الشفاعة لفائدة المسجونين وسعت إلى فك الأسرى، وأسهمت في التوسط بين القوى المتنازعة لتخفيف حدة الصراع بين الدول الثلاث.

أما الفصل الرابع والأخير فقد خُصص لدراسة زوايا المغرب الأوسط ووظائفها التعليمية، باعتبارها من أهم المؤسسات التي أسهت في بناء الحياة الفكرية والثقافية في المجتمع الوسيط، فقد شكلت الزاوية إلى جانب دورها الروحي فضاء علميا وتربويا متكاملا.

كما تطرقنا في هذا الفصل إلى الأداء الوظيفي للزاوية في المجال التعليمي، حيث قامت بتعليم العلوم الأساسية والشرعية، والهدف من ذلك تخريج أجيال من المتصوفة الذين تولوا نشر المعرفة في مختلف مناطق المغرب الأوسط، كما أولت الزوايا اهتماما خاصا بتنظيم المجالس العلمية العامة التي كانت تعقد في المناسبات الدينية الكبرى، كشهر رمضان المبارك ويوم عاشوراء، فقد كان المتصوفة يتناولون فيها مباحث في العقيدة والفقه والتفسير.

ثم تناولنا العوامل الأساسية التي أسهمت في نجاح التعليم داخل الزوايا، ومنها طبيعة التنظيم الداخلي القائم على التدرج في الطلب والسلوك، والدعم المادي والمعنوي الذي كانت تقدمة الزاوية لطلبتها، مما جعل الزاوية بديلا فعّالا عن المؤسسة التعليمية التقليدية، كما أشرنا إلى ظاهرة هجرة الطلبة والصبية المدارس الرسمية وذهابهم إلى الزوايا، بوصفها تعبيرا عن أزمة التعليم الرسمي من جهة، وعن جاذبية النموذج الصوفي في نشر العلم من جهة أخرى.

واختتم الفصل بدراسة المنظومة العلمية لزوايا المغرب الأوسط، من حيث المقررات والعلوم التي كانت تدرس، والتي شملت علوم العقل والنقل على السواء، وما أفرزته من إنتاج معرفي ومؤلفات علمية في شتى الميادين.

خامسا: صعوبات البحث.

اعترضت سبيل هذه الدراسة أثناء إنجازها ومعالجتها جملة من الصعوبات نذكر من أهمها ما يلي:

- ✓ واجه هذا البحث محدودية واضحة في المادة العلمية المتعلقة بالدور الثقافي للزاوية، إذ إن المعطيات المتوفرة حول هذا الجانب قليلة ومتناثرة بين مختلف الأجناس المصدرية مثل كتب التراجم والمناقب، ومؤلفات الرحالة والجغرافيين، فضلا عن بعض النوازل الفقهية التي وردت فيها إشارات متفرقة إلى نشاط الزوايا ووظائفها التعليمية والاجتماعية، وقد زادت من صعوبة البحث وغموض

بعض المصطلحات الصوفية وتعدد دلالاتها بحسب السياقات الزمانية والمكانية، مما تطلب جهدا كبيرا لفهمها وتحليلها.

- ✓ صعوبة الحصول على عدد من المخطوطات المهمة _ رغم سعينا الحثيث_ المحفوظة في خزائن بعض الزوايا الوطنية، نتيجة ضياعها أو احتفاظ بعض الجهات بها دون فهرسة أو إتاحة للباحثين، إضافة إلى تعذر الاستفادة من المكتبات والمراكز العلمية بالمغرب الأقصى التي تزخر بمخطوطات ودراسات مرتبطة بالموضوع، لكونها تحتوي على أرشيف غني يعكس التفاعل العلمي لزوايا المغرب الأوسط.
- ✓ غياب الشواهد المادية والأثرية لعدد من الأربطة والزوايا التي ذكرتها المصادر التاريخية، والتي كانت لها أدوارا محورية في نشر التصوف والتعليم، وقضاء حوائج المجتمع المحلي، ويعود هذا الغياب إلى تأثير عامل الزمن من جهة وإلى الدمار الذي ألحقه الاستعمار الفرنسي، بالعديد من المؤسسات الدينية والعلمية من جهة أخرى، مما أدى إلى اندثار معالمها وضياع وثائقها.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات فقد حاولنا استنطاق ما أمكن من المصادر المتاحة وربطها بالمعطيات الميدانية والتاريخية من أجل تكوين تصور متكامل عن الدور الثقافي والتعليمي والاجتماعي الذي اضطلعت به الزوايا في المغرب الأوسط.

سادسا: منهج الدراسة.

1_المنهج التاريخي:

بغية تحليل المادة الخبرية المتوفرة حول موضوع هذه الدراسة وتحقيق الإحاطة الشاملة بمختلف جوانبها، سعينا إلى اعتماد المنهج التاريخي بمختلف آلياته وأساليبه، بوصفه الإطار العلمي الأنسب لهذه المقاربة البحثية، فقد اعتمدنا على هذا المنهج أساسا في جمع المادة المصدرية الخام من المصادر والمراجع والمخطوطات المتاحة، ثم قمنا بفرزها وتصنيفها وفق طبيعة المعلومات التي تخدم موضوع البحث، مع استخراج ما تضمنته من معطيات تاريخية دقيقة، تمثل لبنة أساسية في بنا التحليل العلمي.

كما اعتمدنا في مراحل المعالجة على تحليل النصوص التاريخية وشرحها واستقرائها ومقارنتها بمصادر أخرى بغرض التحقق من مصداقيتها ونقد مضامينها وفق قواعد النقد الداخلي والخارجي للمصادر، وحرصنا على استبقاء المادة الأصلية في سياقها التاريخي، وإرجاعها إلى أصولها الموثوقة محافظة بذلك على مقتضيات الأمانة العلمية ودقة التوثيق.

2_المنهج الوصفي:

كما اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي في بعض محطاتها، إذ فرضت علينا طبيعة الموضوع ضرورة توظيف هذا المنهج من أجل وصف الشواهد المادية المتبقية للزوايا والأربطة والرابطات، وما تحمله من دلالات عمرانية ووظيفية، فقد تناولنا بالوصف والتحليل الهيئات العمرانية لهذه المؤسسات الدينية، بما في ذلك الأبراج والأسوار والمخازن المخصصة للأسلحة، إلى جانب قاعات الصلاة وبيوت الإقامة والأماكن المعدة للتعليم والتلقين وتخزين المؤونة.

وقد مكننا هذا المنهج من معرفة الأبعاد الاجتماعية والثقافية التي اضطلعت بها الزوايا والاربطة لدى مجتمع المغرب الأوسط، حيث لم تقتصر وظيفتها على الجانب الديني والتربوي فحسب، بل تجاوزته إلى أداء أدوار دفاعية وخدماتية متكاملة عكست طبيعتها كمؤسسات جامعة بين العبادة والعلم والجهاد وخدمة المجتمع.

3_المنهج التحليلي:

يعد المنهج التحليلي من المناهج الأساسية في الدراسات الإنسانية والاجتماعية، لما يُتيحه من قدرة على فهم الظواهر واستنباط معانيها العميقة، من خلال تحليل النصوص واستقراء دلالاتها، وقد كان اعتمدنا عليه كبيرا في هذه الدراسة، خاصة في تحليل وتفسير النصوص المصدرية الخام المتعلقة بالزوايا، والتي كثيرا ما ترد غامضة.

4_المنهج الاستقرائي:

اقتضت طبيعة هذا البحث الاعتماد على المنهج الاستقرائي في العديد من المواضع، خاصة عند غياب النصوص التاريخية المباشرة التي تتناول موضوع الدراسة، فقد قمنا باستقراء النصوص المتاحة

واستنطاق ما تضمنته من إشارات ضمنية ومعلومات غير صريحة محاولين بذلك إعادة بناء الوقائع والحقائق التاريخية المرتبطة بالزوايا.

وقد أتاح لنا هذا المنهج تحصيل بعض المعطيات التي ساعدت في سد جانبا من الثغرات المعرفية وتعويض النقص في المادة المصدرية، من أجل تحليل بعض معاني الكلمات التي بين سطور النصوص، وربطها بشواهد تاريخية مادية ومعمارية تساعد في تأكيد الفرضيات المقترحة وتأكيد النتائج المحتملة، وقد يرتبط الأمر بالتفنيد وفك بعض الإشكال الغامض.

سابعا: عرض وتحليل أهم مصادر ومراجع البحث.

أ_ المصادر.

اعتمدنا في إنجاز هذا البحث وتحليله على أصناف متعددة من المصادر، سواء غير المطبوعة منها أو المطبوعة وكان معظمها يتمحور حول مؤلفات المتصـــوفة التي أبرزت أهم أعمالهم وخدماتهم تجاه المجتمع كما استفدنا من كتب النوازل الفقهية التي احتوت على فتاوى العلماء الصوفية، فضلاً عن كتب الرحلات الجغرافية التي قدّمت أوصافًا دقيقة لأبرز المدن التي احتضنت أماكن الزوايا الصوفية إلى جانب ذلك، رجعنا إلى دراسات حديثة ومعاصرة أغنت البحث بمعلومات مفصلة حول التصوف ومراكزه، وكانت لنا دليلا إلى أهم المصادر التي شكلت أساس هذه الدراسة وسأقتصر في العرض على أهم هذه المراجع، مراعيًا مجال الإفادة منها ودرجة ارتباطها بموضوع البحث.

1_ كتب المناقب.

قدّمت لنا كتب المناقب سيرَ الصوفية والصالحين واللذين تركوا أثرا في أوساط المجتمعات عموما، مبينة أهم طرقهم العلمية والصوفية ومناهجهم التربوية، وما تميّزوا به من خوارق روحانية كما تناولت هذه الكتب الدور البارز الذي اضـــطلع به الصـــوفية في خدمة المجتمع وفي تعاملهم مع الســـلطة . وتضمّنت أيضًا مادةً تاريخيةً هامة تتعلق بالمراكز الدينية الصوفية، مثل الزوايا والأضرحة، مما يجعلها من أهم المصادر التي لا يمكن إغفالها في دراسة التصوف وتاريخه.

1.1. المناقب المرزوقية لأبي عبد الله بن مرزوق التلمساني(ت781هـ/1379م)

يُعدّ كتاب المناقب المرزوقية مصـــدرًا ذا قيمة علمية كبيرة، إذ يقدّم معلوماتٍ دقيقةً عن البيت الصـوفي المرزوقي، وعن أعمالهم ونشـاطاتهم وإسـهاماتهم في ميدان التعليم وخدمة المجتمع كما يوفّر وصـفًا عامًا لحياة المتصـوفة بمدينة تلمسـان، من حيث عاداتهم في المأكل والمشـرب والملبس، والدور الذي اضـــطلعوا به في تجاوز الأزمات التي عصـــفت بالمجتمع من خلال جهودهم الغيبية والتطوعية والانفاقية وأشار المؤلف كذلك إلى الانعكاسات الاجتماعية والفكرية التي أحدثها الصوفيّة في المجتمع الزياني، ولا سيّما ما تعلق بمظاهر الاعتقاد في المشيخة الصوفية والتبرك بالأضرحة ويزخر الكتاب بمادةٍ علميةٍ غنية تؤرّخ لتلمســان خلال العهد الزياني في مجالات الثقافة والاجتماع والســياســة، مما يجعله مصدرا أساسيًا لفهم الحياة الصوفية في تلك المرحلة.

2.1. أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القسنطيني ت 810 هـ/1407 م.

يُعدّ كتاب أنس الفقير وعزّ الحقير من أهم المصـادر التي خدمت موضـوع البحث، لما يحتويه من مادة ثرية تتعلق بالتصوف من حيث الفكر والممارسة والثقافة الصوفية فقد رصد فيه ابن قنفذ عدداً من المشـيخات الصـوفية التي اتبعت الطريقة المدينية، إذ نكشـف من خلاله مميزات الزاوية الملَارية بفرجيوة وخصائصها التربوية والروحية، إلى جانب بيان طبيعة علاقتها بالسلطة الحفصية.

كما يُعدّ هذا الكتاب مصـدرًا أسـاسـياً لدراسـة العمارة الصـوفية بمختلف أشـكالها في المجالين القسـنطيني الحفصـي والتلمسـاني الزياني، إذ قدّم وصـفًا دقيقًا لهياكل العمارة الصـوفية، الأمر الذي مكّننا من الكشـف عن الدور الخيري والاجتماعي الذي اضـطلعت به هذه المؤسـسـات، من إطعامٍ وإيواءٍ وتعليمٍ دينيٍّ، كتحفيظ القرآن الكريم، وتقديم الدروس، وتنظيم حلقات الذكر، وأورد المؤلف كذلك ملاحظاتٍ قيّمة حول طبيعة العلاقات التي كانت تربط بين صوفية المغرب الأوسط وصوفية المغرب الأقصى، وما نتج عنها من رحلات علمية وتبادل ثقافي كما تضمّن الكتاب إشاراتٍ إلى أهم التصـــنيفات العلمية التي أُلِّفت في مجال التصـــوف وســـائر فروع العلوم الأخرى، مما يزيد من قيمته التاريخية والعلمية.

3.1.شرف الطالب في أسنى المطالب لابن قنفذ القسنطيني (ت 810 هـ/1407 م).

يتناول كتاب شرف الطالب في أسنى المطالب أهم الإنتاجات الفكرية التي ألّفها المتصوفة في مجالي العلوم العقلية والنقلية، كما يعرض أبرز الشـــروحات التي قدّمها شـــيوخ التصـــوف لمريديهم بهدف توضـيح مناهج علم التصـوف وتيسـير فهم مقاصـده ويُبرز هذا الكتاب كذلك جهود الصـوفية في تبسيط العلوم المعقدة التي استعصى على الطلبة استيعابها، مما يعكس دورهم التربوي والعلمي في نشر المعرفة وتيسير سبل التعلم داخل الأوساط التعليمية الصوفية.

4.1.النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب لابن صعد محمد بن سعيد التلمساني (ت 901 هـ/ 1496 م).

يُعدّ من أهم المصـادر التي تناولت سير الصـوفية في المشـرق والمغرب الإسـلامي، إذ قدّم فيه المؤلف تراجم لمجموعة من الأولياء، مبرزًا ســـلوكياتهم الروحية وكراماتهم وأفكارهم ومعتقداتهم الغيبية وتكمن أهمية هذا المصـــدر في مادته التاريخية والفكرية الغزيرة التي أفادت البحث بشـــكل كبير، إذ مكّنتنا من فهم الطريقة التازية ومبادئها، كما أضـاءت لنا جوانب متعلقة بالعمران الصـوفي وإشـكالياته ووظائفه الأســاســية وهو ما أظهره المؤلف من خلال عرضــه الدور الاجتماعي للزوايا الصــوفية في مســاعدة الفقراء والمســاكين والمحتاجين، ومؤازرة المجتمع في أوقات الأزمات والمحن، مما يجعل هذا العمل مصـدرا مهمًا لدراسة البنية الفكرية والاجتماعية للتصوف في الغرب الإسلامي.

2. كتب التراجم.

تُعَدُّ كتبُ التراجم من أبرز المصادر التي استندنا إليها في هذا البحث، خاصة تلك التي أفاضت في عرض ســير الصــوفية وأعمالهم، كما كشــفت عن معارفهم وكراماتهم، وقد تمكنا من خلالها الوقوف على أثرهم العميق في تشـــكيل الســـلوك الديني والاجتماعي داخل المجتمع، ومن أهم هذه المؤلفات نذكر:

1.2. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم أبو عبد الله بن أحمد التلمساني (ت 1014 هـ/ 1605 م).

يُعد من أبرز المؤلفات التي تناولت تراجم الأولياء والصــالحين والعلماء بمدينة تلمســان، ومن بينهم المتصــوفة الذين عاشــوا في رحابها وقد قدّم المؤلف شــرحًا مفصّــلًا للطريقة الشــاذلية، مبيّنًا أدوارها

الروحية والاجتماعية والإنسانية، كما أشار إلى إسهامات المتصوفة في ميدان التأليف بمختلف علوم الدراية والرواية ووصـــف المؤلف أيضًـــا مظاهر حياتهم اليومية من حيث الزهد في الملبس والمأكل والمشرب والمسكن، إلى جانب عرضه وصفًا دقيقًا للعمران الصوفي، مبرزًا أهم وظائفه وأدواره في الحياة الروحية والاجتماعية.

2.2. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج لأحمد بابا التمبكتي (ت 1036 هـ/ 1627 م).

يُعَدّ من أهم كتب التراجم التي تناولت سير الفقهاء المالكية والمتصوفة في بلاد المغرب الإسلامي، ومنها في المغرب الأوسط وقد قدّم المؤلف تراجم وافية لأعلام العلماء والمتصوفة، مبرزًا أعمالهم العلمية وإنجازاتهم الإصلاحية، خاصة أولئك الذين عاشوا في بجاية الحفصية وتلمسان الزيانية، إضافةً إلى تراجم عدد من الصالحين في مازونة وندرومة وقسنطينة، كما عرض التنبكتي أفكار هؤلاء المتصوفة، سواء كانت ذات طابع فلسفي أو سنّي، وأشار إلى أبرز مؤلفاتهم ومناهجهم التربوية وطرق تدريسهم في الزوايا، مبيّنًا أساليبهم في تربية المريدين ولم يغفل المؤلف الإشارة إلى الحلقات العلمية التي كانت تُقام في الزوايا والمساجد، خصوصًا في المناسبات الدينية كشهر رمضان ويوم عاشوراء، كما قدّم وصفًا شاملًا لحياتهم الاجتماعية، متناولًا مظهر الزهد في المأكل والملبس والمسكن، إضافةً إلى المهن والحرف التي كانوا يمارسونها.

3. كتب النوازل الفقهية.

تُعد كتب النوازل الفقهية من المصـــادر ذات القيمة البالغة التي اعتمد عليها هذا البحث لما تحمله من معطيات تاريخية بالغة تبرز الواقع الاجتماعي والديني لمجتمع المغرب الأوســـط في فترات تاريخية مختلفة، إذ أسهمت في توثيق الإجابات الفقهية المتعلقة بالمتصوفة ونذكر أشهرها:

1.3. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي (ت 914هـ_1509م).

يُعَدّ من أبرز المصـــادر التي أفادتنا في هذا البحث، إذ قدّم مادة علمية غزيرة تضـــمّ فتاوى الفقهاء المالكية في أقاليم المغرب الإســـلامي والأندلس وقد مكّننا هذا المؤلَّف من الوقوف على علاقة

التصوف بالمجال الفقهي، من خلال ما ورد فيه من مسائل تجمع بين البعد الشرعي والسلوك الصوفي، كما تضمّن الكتاب إشارات مهمّة إلى أشكال العمارة الصوفية وطرق تمويلها، سواء عبر الأوقاف والأحباس أو التبرعات والصدقات، بل وحتى المساعدات المالية التي كانت تقدَّم من طرف السلطة، وقد أبرز المؤلف كذلك مواقف الفقهاء المالكية من هذه المؤسسات الصوفية ومن أنشطتها المختلفة.

4. كتب الرحلة والجغرافيا.

بيَّنَت كتب الرحلات والجغرافيا عمومًا جملةً من الحقائق الجغرافية حول حواضر المغرب الأوسط وأقاليمه، مبرزةً خصائصه الطبيعية وتنوّع مجاله الجغرافي. وفي الوقت ذاته، أشارت هذه المصادر إلى المناطق التي نشأت فيها المؤسسات الزاوية، مبيّنةً آثارها العميقة ودورها البارز في حياة المجتمع، ولا سيّما خلال فترات الأزمات والمحن الطبيعية الكبرى وكانت أكثرها إفادة لنا.

1.4. فيض العباب وإفاضة قدح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب لابن الحاج النميري(768هـ_1367م).

يُعَدّ من أهم كتب الرحلات التي تناولت المجال الشرقي للمغرب الأوسط، فقد وصف فيه المؤلف رحلته إلى قسنطينة برفقة السلطان المريني أبي عنان سنة 758هـ / 1357م، مبرزًا المدن التي زارها وأهم مراكزها الدينية، ومن بينها الزوايا، كما تناول الحديث عن أنماط الربط التي اتخذت شكل القصور المخصَّصة للحراسة والعبادة، إضافةً إلى الربط التي أسّسها بنو هلال في إقليم الزاب، وما كانت تحتويه من مخازن للمواد الغذائية وأدوات الحرب، وهو ما يعكس الطابع العمراني والعسكري لتلك المنشآت الصوفية في تلك الفترة.

2.4. وصف إفريقيا لحسن محمد الفاسي الوزان (ت 947 هـ/ 1550 م)

يُعَدّ من المصادر الرحلية المهمّة التي قدّمت معطيات قيّمة عن الزوايا المنتشرة في الأرياف، وقد أبرز المؤلف الدور الحيوي الذي أدّته هذه الزوايا في حماية المزارعين والمحاصيل الزراعية من أخطار اللصوص وعمليات السطو، مبيّنًا بذلك مكانتها الاجتماعية والأمنية في الوسط القروي.

5. كتب التاريخ العام.

تُعَدّ كتب التاريخ العام من أبرز المصادر التي قدّمت لنا صورة شاملة عن تاريخ الدول والقبائل التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي، مبرزةً أهم إنجازات السلطة السياسية في مجالي العمران والعسكرة، ومن خلال هذه المؤلفات استقينا معلومات تاريخية ثمينة تتصل بالمجال الصوفي، وبخاصةٍ بدور السلطة في إحيائه ودعمه عبر إنشاء مؤسسات دينية وتعليمية خصّصت لنشر الفكر الصوفي، فكانت بمثابة مراكز إشعاع روحي وثقافي، كما كشفت هذه الكتب عن طبيعة العلاقة القائمة بين السلطة السياسية والمتصوفة، ومدى التقدير والاحترام الذي حظيت به المشيخة الصوفية، ولعل أكثرها خدمة لموضوعنا:

1.5. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصـــرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ_1406م).

يُعَدّ من أهم المصادر التي تناولت تاريخ الغرب الإسلامي، إذ يضم مادة تاريخية ثرية تغطي الفترة موضوع دراستنا، وهي المرحلة التي عاصرت الدول الزيانية والحفصية والمرينية وقد استقينا من هذا المصدر معلومات قيّمة تتصل بمرحلة انضمام القبائل العربية في ميدان الزهد والتصوف وتأثيرها في الحياة الاجتماعية والدينية، ولا سيّما ما يتعلق بانتشار الزهد والانقطاع للعبادة والابتعاد عن مظاهر الترف، وهي مظاهر ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالنزعة الصوفية، كما قدّم ابن خلدون معطيات مهمّة حول الفكر الصوفي في بلاد المغرب منذ ظهوره مع الشيخ أبي مدين شعيب في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، مبرزًا طبيعة العلاقة التي نشأت بين السلطة السياسية والتيارات الصوفية في تلك الحقبة.

2.5. تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدّرر والعقيان في بيان شرف بني زيان لتنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل (ت 899 هـ/ 1493 م).

يُعَدّ من أهم المؤلفات التي تناولت تاريخ الدولة الزيانية في مختلف مجالاتها السياسية والعمرانية والثقافية ومن خلال هذا المصدر تمكّنا من الوقوف على معلومات قيّمة تتعلّق بطبيعة العلاقة التي ربطت المتصوفة بالسلطة الزيانية، كما أورد المؤلف إشارات مهمّة إلى أبرز الزوايا التي أُنشئت في تلك الفترة، والأحباس والأوقاف التي خُصِّصت لها لدعم نشاطها الديني والاجتماعي.

ب_ المراجع.

تعد المراجع الصوفية خصوصا من أهم الدراسات التي أسهمت في إنجاز هذا البحث، لما تتضمنه من معطيات تاريخية وفكرية تتطرق إلى أعمال المتصـــوفة ومراكز تعبدهم وأبرز الزوايا التي شـــكلت فضاءات أساسية لتبلور الفكر الصوفي وانتشاره ونذكر منها:

1. الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين للباحث محمد الأمين بلغيث.

من الدراسات الحديثة المهمّة التي تناولت نشأة مؤسسة الرباط والرابطة وتطورها، فقد قدّم المؤلف لمحةً شـاملة عن هاتين المؤسـسـتين خلال العهدين الحمادي والموحدي، باعتبارهما النواة الأولى التي مهدت لظهور الزوايا في العصـور اللاحقة كما أبرز الكتاب الوظائف الاجتماعية والثقافية والجهادية التي اضـطلعت بها هذه المؤسـسـات، موضـحًا أدوارها في ترسـيخ القيم الدينية وخدمة المجتمع وإلى جانب ذلك، دلنا الباحث على جملة من المصادر والمراجع التي تخدم موضوعنا، مما يجعل هذا العمل مرجعًا أساسيًا في دراسة تطور المؤسسات الدينية في المغرب الإسلامي.

2. التصوف في الجزائر من القرن (6-7 هـ_ 12-13 م) للباحث الطاهر بونابي.

يُعَدّ من المراجع الأساسية التي اعتمدنا عليها في دراستنا، إذ قدّم صورة شاملة وواضحة عن مفهوم التصـــوف ومعانيه ومصـــطلحاته، مبيّنًا أصـــوله الفكرية والروحية كما تناول الكتاب تاريخ دخول التصوف إلى بلاد المغرب الأوسط وتطوره عبر العصور، مع إبراز أهم المؤسسات والزوايا التي احتضنته وأسهمت في نشره وترسيخ تعاليمه داخل المجتمع.

3. عصر المتصوفة في المغرب الأوسط للباحث الطاهر بونابي.

يُعَدّ هذا الكتاب من المؤلفات الضخمة والمميزة، إذ يتكوّن من أربعة أجزاء تتناول مختلف الجوانب المتصـــلة بالحياة الصـــوفية في المغرب الأوســـط وتكمن أهميته في هذا البحث في كونه قد مكّننا من التعرف على التاريخ الحقيقي لنشأة الزوايا والربط في بلاد المغرب الأوسط، وكشف عن أهم العوامل والدوافع التي قامت عليها هذه المؤسسات كما فصّل المؤلف بشكل دقيق في مصادر تمويل الزوايا وسـبل دعمها لضـمان اسـتمرارية وظائفها الدينية والإنسـانية والعلمية، مبرزًا في الوقت ذاته النظام

التربوي والإداري الذي تميزت به زوايا المغرب الأوسط، ووصفًا معمّقًا لأنماطها العمرانية وما اتسمت به من خصوصيات فنية ووظيفية.

4. الولاية والمجتمع للباحثة نللي سلامة العامري:

يُعَدّ هذا الكتاب من المؤلفات المهمة التي تناولت ظاهرة الولاية والاعتقاد الديني في المجتمع المغاربي، ولا سيّما بعد توسّع نفوذ التصوف في أوساط القبائل البربرية والعربية الحضرية، وقد تناولت الباحثة في هذا العمل بالدراسة والتحليل مؤسسة الرباط والرابطة، معتبرةً إياهما من الزوايا الأولى (زوايا الرعيل الأول) التي ظهرت في العهدين الحمادي والموحدي، كما قدّمت المؤلفة عرضًا دقيقًا لأسباب نشأة هذه المؤسسات، وأبرزت أهم أدوارها ووظائفها الاجتماعية والثقافية التي اضطلعت بها في خدمة المجتمع وتعزيز تماسكه الديني والاجتماعي.

الفصل الأول: الزاوية بالمغرب الأوسط بين الأصول التاريخية والوظائف التعليمية.

أ _مؤسسة الرباط " نواة الزوايا ومهد الجهاد والتعليم".

1_ المدلول اللغوي.

2_ المدلول الاصطلاحي.

ب_ من الرباط إلى الزاوية: اتصال أم انفصال؟

ج _ الرباط...عن أي وظيفة نتحدث؟

1_ الرباط مركز للتعبد والتبرك.

2_ الرباط والدور التعليمي.

د_ الرباط على الشريط الساحلي للمغرب الأوسط نواة أولى للزوايا.

بالنظر إلى معطيات المظان المصدرية الإسلامية يتبين جليا أن موضوع الرُبط والرابطات قد احتل مكانة مهمة في تاريخ بلاد المغرب عموما والمغرب الأوسط على الوجه الخصوص، وبلا موارية فإنّ ما يلاحظه الدّارس عند تتبع جغرافية توزعها في المجالات المغاربية ومؤشر تطورها، يستشف أن انتشارها كما ونوعا كان في الفترة الحمادية والموحدية اللّتين أسهمتا في تنامي ونهضة هذه المؤسسة، أما الغرض الأول من تشييد مؤسستي الرُبط والرِباط من طرف الفئة الحاكمة أو المحكومة، يهدف إلى تحرير مجال المغرب الأوسط من سطوة الحملات المسيحية وتردد الصليبيين على سواحل البلاد المغاربية، بينما الغرض الثاني فهو يتعلق بالدور التعليمي المتمثل في تقديم الدروس والمواعظ سواء للمرابطين حول فنون الحرب وفضل الجهاد في سبيل الله، وللمجتمع بهدف اجتناب آثار الانحرافات العقدية والدينية التي تخلق فتنا وحروبا أهلية تنعكس على جميع جوانب الحياة والبنى السياسية والاجتماعية، ولذلك فإن من الأسئلة المشروعة بالطرح هنا، متى نشأت مؤسسة الرباط؟ وفيما تجلت عوامل ظهورها؟ وكيف احتلت هذه المؤسسة مكانة سامية في تاريخ المغرب الأوسط إن على مستوى الأدوار أو على مستوى الوظائف؟

أ_ مؤسسة الرباط "نواة الزوايا ومهد الجهاد والتعليم":

1_ المدلول اللغوي:

كلمة رباط جاءت من الفعل الثلاثي "رَبَطَ أي رَبَطَ الشيء يَرْبِطُهُ ويَرْبُطُهُ رَبطًا فهو مَرْبُوطْ ورَبِيطْ والرِبَاطْ ما رُبِطَ به والجمع رُبُطْ ورَبَط الدَابة يربِطها ويربِطُهَا رَبْطًا وارْتَبَطَهَا، فلان يرتبط كذا رأسا من الدواب ودابة رَبِيطْ مَرْبُوطَةٌ والمربَط موضع رَبْطِهَا"[1].

ولفظ الرباط مفرد جمع أربطة ومصدرها رابط يقال: رباط الزواج، "عاطفي ومحبة" ويقال كذلك رباط الحذاء، الفرس، العنق، رباط الرأس، أو رباطات جمع رُبطْ وهي موضع المرَابَطَة مثل الحصن وغيره يقيم فيه الجيش، ورباط الخيل مكان ربطها وإعدادها للجهاد وكذلك هو مبنى مجهز موقوف على الفقراء من

(1)- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، د ت، ص 1560.

الصوفية وغيرهم والمرابط الذي يرابط في تلك الثغر [1] هو الزاهد العابد الذي نزه نفسه عن الدنيا، وأقام ورابط بالثغور لحماية الديار الإسلامية من هجمات الأعداء [2].

وفي معنى آخر جاء مصطلح الرباط مأخوذا من كلمة المربَط والمربَطة ما ربطها به، والمربط موضع ربطها على اسم للخيل التي ترابط في سبيل الله تعالى، إلا أنه استعمل في الخيل وخص بها وهو ارتباط الخيل للعدو[3]، ويبدوا أنها أطلقت على كل مقيم في ثغر مدافع عن المسلمين، فقد قال الامام أحمد حدثنا حجاج أخبرنا شريك عن الركعين بن ربيع عن القاسم بن حجاج عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **الخيل ثلاثة: ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان، فأما فرس الرحمن فالذي يُربط في سبيل الله، فعلفه وروثه وبوله، وذكر ما شاء الله**"[4]، كما يقتضي الأمر أن نطلق عليها اسم الحصن العسكري[5].

([1])- الثَغْر بالفتح ثم السكون وهو وراء كل موضع قريب من أرض العدو ويسمى ثغرا كأنه مأخوذ من الثغرة وهي الفتحة من الحائط وملازمته هي أسمى ما يصل إليه المسلم من تقوى وقد أقبلت الأمة على بناء الربط مدفوعين بغيرتهم على الدين فكانت الربط متنوعة منها البرية والبحرية التي تنصب على شواطئ البحار استجابة لنداء الجهاد، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت، 1979، ص 79.

([2])- محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي،1986، 1987، ص 35.

([3])-ابن منظور: المصدر السابق، ص1560-1561.

([4])- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج4، تح سامي بن محمد السلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999، ص81.

([5])- المنشآت العسكرية لها صلة قوية بالدين الإسلامي بحيث أنها تحمي المسلمين وأهل الذمة الذين يعيشون تحت لوائهم من الأعداء والمتربصين، ولهذا استوجب على النظم الإسلامية السياسية انشاء حصون عسكرية دفاعية مملوءة بالأسلحة العسكرية والجنود، انظر الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، ج11، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، هجر للطباعة و النشر والتوزيع و الاعلان ، 2001، ص 246، عزوق عبد الكريم: التحصينات الدفاعية الإسلامية ببجاية، دراسات وأبحاث، مج5، ع12، 2013 ص 76.

ويحسن التنبيه في هذا المقام إلى أن كلمة الرِباط مشتقة كذلك من المرابطة في سبيل الله، وهي تنزل من الجهاد منزلة الاعتكاف من الصلاة، وتبعا لذلك فإن المرابط يقيم مستعدا فإن أحس بالعدو نهض إليه، وفي نفس الصدد المعتكف يكون في موضع صلاته مستعدا، فإذا دخل الوقت وحضر الإمام قام للصلاة، ولما اتجه صرف المهمة إلى انتظار الصلاة بعد الصلاة سمي رباطا [1].

والرابطة كذلك في اللغة مفرد وجمعها رابطات، وروابط وهي مؤنث ربط، وهي العلاقة بين الشيئين بيني وبين أخيك رابطة قوية [2]، وهي كل ما يرتبط به الشيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **من ربط فرسا في سبيل الله كانت النفقة عليه كالماد يده بالصدقة لا يقبضها**" [3] كأن نقول جماعة يجمعهم أو يربطهم أمر يشتركون فيه، يقال رابطة القراء ورابطة الأدباء، رابطة إسلامية، وهي ما يدل على العلاقة بين الموضوع والمحمول ويربط أحدهما بالآخر في الإثبات والنفي [4].

2_ المدلول الاصطلاحي:

قد عُرف بأنه الحصن الذي يقيم به الجيش والمبنى الموقوف على الفقراء من الصوفية وغيرهم [5] أو يطلق عليه اسم القصر إذا كان مشرفا بزيادة عالية [6] وقد يفهم من خلال الدلالات اللغوية أنه المكان الذي يجتمع فيه الفرسان المستعدون المتأهبون للقيام بحملة من الحملات العسكرية، ويبدو أن هذه الكلمة أطلقت منذ عهد متقدم على المنشآت الدينية والحربية في آن واحد واختص بها المسلمون دون غيرهم من الأمم من أجل حماية ممتلكاتهم ومجالاتهم الجغرافية ولعل الدراسات الأثرية تكشف ذلك.

ويطلق عليه الفقهاء والصوفية على موضعين أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو عنها، والثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه الصالحون من المؤمنين لعبادة الله وذكره والتفقه

([1])- العماري الطيب: المرجع السابق، ص 127.

([2])- أحمد مختار العبادي: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، مج1، علم الكتب، القاهرة، 2008، ص 846 .

([3])- ابن كثير: المصدر السابق، ص82.

([4])- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص 846.

([5])- نفسه، ص 847.

([6])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج1، منشورات جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017، ص 55.

في أمور الدين مستشهدين بما جاء في القرآن الكريم "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوْا وَصَابِرُوا ورَابِطُوا واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ**"[1] وهذا النص القرآني يتضمن أمرا واضحا بالدعوة إلى المرابطة والاستعداد للجهاد ضد العدو، وانتهاج مبدأ النفس الطويل المتمثل في الصبر على الشدائد لما كان يمثله المتربصون بالمسلمين من أخطار داهمة وهجومات عسكرية متوقعة.

وفي السياق ذاته يمكن الإدلاء برأينا في كون الرباط عبارة عن ثكنة عسكرية متحصنة تضم عبادا وحرّاسا ومجاهدين[2]، ويبدو أنها مكان يقصد لتعلم فنون الحرب قصد الاستعداد للجهاد، والغاية الأولى من تأسيسها هو رفع راية الجهاد في سبيل الله وذلك مصداقا لقوله تعالى:" **وأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَةٍ وَمِنْ ِربَاطِ الخَيْلِ** " [3] بالإضافة إلى ذلك في أوقات الفراغ تمارس فيه الشعائر الدينية من صلاة وأذكار وأوراد، وبطبيعة الحال أن هذه الطريقة التعبدية تتحول فيما بعد إلى سلوك متبع داخل هذه المؤسسة يحتضنه طريق من طرق التصوف.

وقد حظيت هاته الاربطة بدعم مالي ودعم سياسي، فكانت أموال الرُبط والمحارس تصرف في وجوه كثيرة منها نفقة المرابطين وعُدَّةُ الحرب وعلف الخيول وترميم القلاع والأبراج [4] بما يلزم من حجارة ولما تزايد الرُبط كان يفترض على كل مُرابط أن يقدم على الرباط وبصحبته زاد من مال ولباس وعدة الحرب الكاملة وإذا نفذت عاد إلى أهله، ومن ذلك الحين اختار سكان الربط مجموعة من الحرف لزيادة مدخول الرباط، فتعددت المداخيل بتعدد الأنشطة التجارية والحرفية، بالإضافة إلى الصيد الذي عُد مصدرا من مصادر التموين، لينتقل هذا النشاط فيما بعد إلى الفقهاء والعلماء والصلحاء، بُغية الكسب الحلال في المأكل والمشرب، وقد جعلوا لصيد وشراء السمك أولوية خاصة لأنها من مصادر عيش سكان الحصون

([1])- سورة آل عمران: الآية 200.

([2])- مليكة حميدي: الرباطات البحرية ودورها في الدفاع عن سواحل المغرب الإسلامي ما بين القرنين (1_4هـ/ 7_10م)، دراسات تراثية، ع8، 2014، ص 79.

([3])- سورة الأنفال : الآية 60.

([4])-رشيدة الشانك: الطابع العسكري للدولة المغربية الوسيطية، المغرب الأقصى (أرباب السيوف) وتأثيرها على المجال (المدينة أنوذجا)، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، مج3، ع1، 2022، ص 81.

والأربطة ولا يسكنها إلا الحرس والجند للجهاد[1]، فضلا عن بعض الزراعات البسيطة التي اشتغل بها المرابطون في السواحل بالإضافة إلى صناعة الأسلحة[2].

وجدير بالذكر أن الأربطة تكون عموما في المناطق الحدودية الساحلية أو المدن الكبرى التي يتواجد بها الحاكم وتكون عامرة وآهلة بالناس، واستخلاصا لما سبق يمكننا تعريف الأربطة بأنها المجمع البنائي العسكري الديني المحصن الذي يسكنه رجال الدين ومجاهدي الحرب.

ولا يفوتنا تقديم مفهوم عام عن مصطلح المرابط لكي نقرب الصورة للقارئ مع إيراد وظيفته ودوره في مؤسسة الرباط، وتأسيسا على ذلك أن مصطلح المرابط فقد يفهم من خلال ما أورده صاحب رياض النفوس في قوله: "فمررت برحبة ابن أبي داوود فإذا رابطة وعساسة وكلاب"[3]، وفي هذه الرابطة يكون المرابط المتعبد المحتسب للحرس على المسلمين، وشيخ الحصون، وتماشيا مع ما تم ذكره نجد الباحثة نللي سلامة العامري تؤكد على ذلك في مستهل حديثها بأنه شيخ الحصون والمتعبد المحتسب للحرس على المسلمين [4].

وبما لا يدع مجالا للشك فإن وظيفة المرابط أصبحت مع بداية دولة بني زيري تحيل فقط إلى الانقطاع بهدف العبادة، ولم يعد المرابطون يلازمون السكن في قصورهم تدريجيا بل أبقوا على غرف فيها يأتونها في فترات معينة [5]، ويفهم من خلال هذا التصريح التاريخي أن المرابط كان مُلزما عليه الاستقرار في قصره ربما يعود خصوصا إلى حالة عدم الاستقرار التي تشهدها البلاد فيبقى مستعدا متأهبا للقتال ومع حالة الاستقرار أصبح لا يلازم قصره إلا إذا اقتضى الأمر في حالة حرب.

([1])- الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج2، تح محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 5.

([2])- محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص 236.

([3])- المالكي : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج2، تح : بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص 488.

([4])-الولاية والمجتمع، دار الفرابي، ط2، 2006، بيروت، لبنان، ص 112.

([5])- نفسه، ص112.

ومن المؤكد أن بعض المصادر التاريخية قد أثبتت معطياتها أن الأدوار الدينية التي أنيطت بها الرابطة تنطبق إلى حد ما مع وظائف الرُبُط بيد أننا سجلنا شحة وندرة تعتريان المادة المصدرية ذات الصلة بمؤسسة الرابطة ومردُ ذلك راجع لعدم الفصل بينها وبين الرباط باعتبارهما تقومان بنفس الوظائف، حيث اعتبروا الرّابطة هي الرّباط، ولهذا فإن الكثير من المصادر لم تؤشر على التغير الذي طرأ على مستوى مؤسسة الرّباط إلا نادرا، وكيف زالت الوظيفية الرئيسية المتمثلة في حراسة الثّغور والجهاد، و اتجاه أهله لممارسة العبادة والذّكر، وكل ما يصلهم من فنون المعرفة بالله فاتخذ الرباط حجم ما يعرف بالرّابطة[1].

بالإضافة إلى زمن عمر الرّابطة والذي كان قصيرا جدا، حيث بدأ من النصف الثاني من القرن الخامس الهجري /11م، إلى نهاية النصف الأول من القرن 7هـ/ 13م، و قد اقترن ظهورها بالمشروع السياسي الموحدي في بدايته واندثرت بتخلي هذا الأخير عنه بعد إنشائهم للأسطول البحري الحربي، هذا من الناحية السياسية أما الرّابطات المستقلة فكانت تندثر أيضا لمجرد موت مؤسسها لأن فكرة وراثة الرّابطة من قبل أبناء أو أقارب الصوفي لم تكن معروفة من قبل، وبهذا أخذ مصطلح الرابطة يختفي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، من ثنايا كتب التراجم والمناقب وحل محله مصطلح الزاوية[2].

ولا يفوتنا أن نذكر المصنفات التي أرخت لهذا التحول المؤسساتي من الرباط إلى الرابطة التي تأتي في مقدمتها عنوان الدراية والذي يعتبر من أهم مصادر التراجم التي أرخت للحياة العلمية في بجابة بالمغرب الأوسط في القرن 7هـ/ 13م، من خلال تراجم العلماء والفقهاء والمتصوفة وأهم أعمالهم ومؤلفاتهم وأصولهم الجغرافية ومواطن استقراراهم فذكر رباط سلا [3]، وفي مستهل حديث ابن قنفد القسنطيني في

([1])- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين، 12 و13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، د ت، ص 62.

([2])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج1، ص 62.

([3])- الغبريني، تح: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص28.

مؤلفه أنس الفقير نجده يشير إلى رابطة ابن الزيات التي كان يقيم بها عدد من طلبة أبي مدين شعيب يؤدون فيها أورادهم ومجاهداتهم التعبدية [1].

ومن زاوية أخرى هنالك بعض المصادر التاريخية التي وعت هذا التحول الذي طرأ على الربط في العهد الموحدي، فقد ذكروا الرابطة بدل الرباط، فنجد صاحب التشوف الذي قدم إشارات عديدة عن الرابطات التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي، حيث ذكر رابطة أنبدور [2] التي كانت مركز العبادة والانقطاع، ويفهم من ذلك أيضا أن هذه الرابطة "كانت تطعم المسافرين وعابري السبيل" على حد قوله، وقد شهد أحد الزائرين لها أنه أكل فيها جاما من الخبز واللحم وما رأى أطيب من ذلك [3].

والمثال ينطبق كذلك على رابطة أبي إسحاق [4] المتواجدة داخل باب إيلان بتلمسان[5] بها ولي صالح منقطع فيها، كذلك على رابطة تامرنونت[6] التي كانت مسجدا مباركا تقع بالقرب من بحر أسفي [7]

([1])-أنس الفقير، تح: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، د ت، ص 37.

([2])- تقع هاته الرابطة بالقرب من مدينة سجلماسة و معنى كلمة أنبدور الحكاية أو الملحمة أو العتبة، ويبدو أن هذه الرابطة كان لها اشعاع روحي كبير وشهرة واسعة في صفوف المتصوفة والمريدين، والدليل على ذلك أن الطلبة كانوا يقصدونها للتعبد، انظر ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي ، تح أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط،1997 ، ص 412، نور الدين أمعيط: أقطاب التصوف بسجلماسة وإقليمها ودورهم التربوي والاجتماعي نماذج من العصرين الوسيط وبداية الحديث، دورية كان التاريخية، ع 58، 2022، ص 149.

([3])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 412.

([4])- نفسه، ص 305، فاطمة الزهراء نجراوي: طوبونيميا بعض الأولياء الصالحين بتلمسان في القصص الشعبي (دراسة أنثروبولوجية)، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج18، ع2، 2022، ص 198.

([5])- ابن أبي زرع الفاسي: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972 ص61.

([6])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 433.

([7])- آسفي مدينة في أقصى المغرب الأقصى وهي من أقدم المدن المغربية نشأة واسمها مشتق من كلمة أسيف وتعني بالأمازيغية الوادي أو المجرى المائي، وعليها عمارات وبشر كثير من البربر، انظر: الحميري: الروض المعطار في خبر

وقد كان يزورها حتى مؤمني الجن [1]فضلا عن رابطة تامنغطت[2] الواقعة قرب ساحل أنفا[3]، وهي الأخرى كانت محل زيارة الصالحين و العباد، وبالمقابل ذكر ابن الزيات رابطتين أنشأتا في مجال المغرب الأوسط،

الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مطبعة هيدل برغ، بيروت، 1984، ص 57، ابن الزيات: المصدر السابق، ص 433، الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، 2002، القاهرة، ص 220، البكري: المسالك والممالك، ج2، تح: أدريان فان لوفن، أندري فيري، دار الغرب الإسلامي، 1992، ص 762، حسن الوزان الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ط2، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 147، أنس بوسام: آسفي قراءة في النشأة ومسار التطور، مجلة الفضاء الجغرافي والشركة المغربية، ع82، 2024، ص 111.

([1])-ابن الزيات: المصدر السابق، ص 433.

([2])- تامنغطت: هي اسم حجر الأسفين المشهور في الطريق بين درعة و أغمات، انظر: ابن الزيات، المصدر السابق، ص 166.

([3])- أنفا هي مكان بجانب الدار البيضاء حاليا واشتق اسمها من اسم عمارة قديمة التي خربها البرتغاليون في منتصف القرن الخامس عشر، وأعيد بناؤها في بداية القرن السادس عشر، انظر الإدريسي : المصدر السابق، ص 240، ابن الزيات: المصدر السابق، ص 166، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، مج1، تح: علي الزواري ومحمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988، ص 66.

منها رباط أبو محمد عبد السلام التونسي(ت529هـ/1134م)[1] الموجود بتلمسان[2] ورابطة ابن الزيات(ت728هـ_ 1230م)[3]الواقعة في بجاية التي كانت عامرة بالعباد والزهاد[4].

وعليه، يمكن القول أن الرابطة مؤسسة تحدد الأبعاد التربوية للتصوف، وفي الأصل هو ما يرتبط قلب المريد بشيخه ويتخلق به[5]، ناهيك عن أنها المرشد الكامل الذي يرتبط المسترشد بالحق تعالى، لأنه الواسطة للتوسل استدلالا بقوله تعالى: " **يا أيُهَا الذِينَ آمَنُوا اتّقُوا الله وابتَغُوا إِلَيْه الوَسِيلَة**"[6]، و قوله تعالى:" **اتّقُوا الله و كُونُوا مَعَ الصَادِقِينْ**"[7].

([1])- هو أبو محمد عبد السلام التونسي، أصله من تونس دفين العباد بالقرب من تلمسان حاليا، كان عارفا بالمسائل زاهدا في الدنيا متقشفا وهذا ما يظهر في ملبسه و مأكله، كان يلبس كساء خشنا على جلده ويأكل الشعير الذي يحرثه بيده ويأكل اللحم السلاحف التي يصطادها من البرية كان صليبا في الحق مغلظا على الأمراء لا يخاف في الله لومة لائم، انظر ابن الزيات: المصدر السابق، ص 110، أنور بن عمارة، متصوفة المغرب الأوسط من خلال كتاب التشوف إلى رجال التصوف، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج9، ع1، 2025، ص 328.

([2])- عبد النور عبد الرحمن، رشيد يماني: المؤسسات الثقافية في بادية المغرب الأوسط، من القرن 5_9هـ/11_15م، دراسة تاريخية إحصائية، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج5، ع3، 2022، ص 377.

([3])- هو يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي عرف بابن الزيات، وهو فقيه وقاضي وأديب مؤلف كتاب التشوف إلى رجال التصوف وله تآليف في صلحاء المغرب وله شرح مقامات الحريري توفي سنة 728هـ_ 1230م، انظر أحمد بابا التمبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة،ط2، دار الكتاب: طرابلس، 2000، ص 626، ابن الزيات: المصدر السابق، ص 330، السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج10، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط1، المطبعة الملكية، الرباط، 1983، ص 394، سلطانة ملاح الرويلي: الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى من خلال كتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لأبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي، المجلة الأرونية للتاريخ والآثار، مج12، ع2، 2018، ص 2.

([4])- ابن الزيات: المصدر السابق ، ص 330.

([5])- بشير جلطي: حقيقة التصوف بين التأصيل والتأثير، دار الكتاب العلمية، بيروت، د ت، ص 134.

([6])- سورة المائدة ، الآية: 35.

([7])- سورة التوبة، الآية:119 .

وفي ضوء ما تم طرحه، هنالك من العلماء والباحثين من ينحو منحى آخر في تعريف الرابطة عندما يصرحون بأنها المكان الذي ينعزل فيه الولي ويعيش فيه بين تلامذته وخدمه الدينيين، وبالتالي فالرابطة هي بناء صغير يعتكف فيه الشيخ وحوله تلامذته المريدون ينهلون من علمه وطريقته في التصوف فضلا عن مراقبته لأورادهم ومجاهداتهم التي تفضي بهم إلى التجرد من الدنيا وملذاتها، وتبعا لذلك هناك من يُعرفها بأنها مؤسسة أو منشأة دينية مخصصة للعبادة ليس لها علاقة بالحرب، و منهم من قال أن الرابطة هي مقر سكن الولي أو هي ضريح له ، وهي مكان انقطاعه للعبادة، كما نسبها البعض إلى الصومعة التي ينعزل فيها رجل من الصالحين يعيش محاطا بأتباعه ومريديه [1].

وهناك من يعتبرها ملجأ يسكنه عبّاد الحصون [2] في هاته الدنيا والمتفرغون فيه للعبادة، ومما ورد من خلال هاته التعريفات يمكن أن نستخلص أن معظم الآراء تنصب حول أن الرابطة هي البناء أو المكان الذي ينعزل فيه الشيخ وحوله تلامذته المريدون المرتبطون به[3]، ينهلون العلم ويخضعون لأصناف المجاهدات التي كان يفرضها عليهم ويسهر على نجاحها.

وجدير بنا أن نقدم الوصف المعماري للأربطة التي بنيت في بلاد المغرب الإسلامي على الوجه العام بما فيها المغرب الأوسط بخاصة، وقد لاحظنا من خلال بحثنا الفاحص ضمن مضان النصوص الجغرافية والتاريخية حول الحالة العمرانية والدور الديني والعلمي للربط الساحلية والداخلية في المغرب الأوسط منذ نشأتها في النصف الأول من القرن 5هـ/11م، إلى غاية اختفائها في أوائل ق6هـ/ 12م، لاحظنا شحا ونقصا شديدا في المعلومات الهندسية والمعمارية الخاصة بربط هذه المرحلة، عكس ما ورد عن وظائفها في الحراسة والجهاد وتدريس العلم و الفقه وتنظيم المواسم الدينية وتحولها إلى سكن ومقدسات يتبرك بها الناس.

([1])- جورج مارسيه: الرباط ، ضمن كتاب موجز من دائرة المعارف الإسلامية، ط1، مركز الشارقة للإبداع، الشارقة، ص 5087.

([2])- ناجي جلول: الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999، ص 18.

([3])-Abdelmoghite Bassir : les zaouias darqawiyyas au Maroc, zaouia al-basir comme exemple, thèse de doctorat de : études arabes civilisation islamique et orientales, école pratique des hautes études, 2015, p30.

والربط عموما هي عبارة عن أبنية تبنى بالحجارة هندستها تكون في الغالب مستطيلة الشكل معظمها تتكون من طابقين الطابق السفلي يكون مخصصا للتدريس والإقامة أما الطابق العلوي فهو خاص بالجند والمرابطين بغية مراقبة العدو، وتحيط بهذه الأربطة أسوار أرضية حصينة متوجة بشرفات علوية يشمل على مداخل بارزة مزودة بمقاذف للمنجنيق، وفي أركان هذه الأربطة أبراج للمراقبة وفي إحدى زوايا الرباط تبنى منارة تكون أكثر ارتفاعا من سائر الأبراج تتكون من قاعدة مربعة وبناء مرتفع أسطواني الشكل، وفي وسطها يتم تخصيص أفنية تدور حولها حجرات صغيرة تسمح بتواجد المرابطين فيه، ترتكز سقوفها المقببة غالبا على أكتاف حجرية مربعة، ومسجد صغير أو زاوية يقيمون فيها شعائرهم الدينية كالصلاة والذكر[1]، ومن خلال الوصف المادي الذي تتصف به هاته الربط نكشف مدى صحة ما صرحت به المصادر التاريخية من حقائق معلوماتية عن الأدوار التي قامت بها هاته المؤسسة من حراسة وتعليم وإيواء.

ب_ من الرباط إلى الزاوية... اتصال أم انفصال؟

ارتبطت وظيفة الرباط في بداية الأمر بحراسة الأقاليم الإسلامية ومواجهة الأخطار الخارجية، ويتجلى ذلك من خلال الربط التي أنشأت في المغرب الأوسط بعد انتقال الفاطميين إلى مصر في النصف الثاني من القرن الرابع هجري (362هـ/973م)، حيث قام مرابطي الدولة الزيرية والحمادية بتأسيس رُبط في المغرب الاسلامي محتسبين فيها للحراسة و التنبه للخطر الأجنبي المسيحي من جهة الشمال البحري بغض النظر عن ممارسة العبادة[2]، ولعل هذا ما رصدته بعض مصادر الرحلة والجغرافيا فابن حوقل الذي زار المغرب في القرن 4هـ/ 10م، وقام بوصف سواحل المغرب الأوسط من بونة شرقا إلى وهران غربا بأنها مدن ومراسي محصنة[3].

ومن وجهة نظر تاريخية أخرى أن أول رباط تم إنشاؤه في بلاد المغرب الإسلامي هو رباط عبد الله بن ياسين في القرن 5هـ/11م، الذي أسسه مع جماعة من اللمتونيين في إحدى الجزر الساحلية، بأقصى

([1])- محمد بن حمو: الحصون و المحارس بضواحي تلمسان، دراسة إحصائية لبعض النماذج، مجلة منبر التراث الأثري، عدد 6، 2018، ص 99.

([2])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج1، ص13.

([3])- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996، ص 77، 78، 79.

الجنوب المغربي، و ذلك في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/11م، و التحق أهل صنهاجة برباط بن ياسين الذين تيمنوا به وغالوا في إكرامه وبره فشرع يعلمهم القرآن ويقيم لهم رسم الدين ويسوسهم بآداب الشرع وجعل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وكبحهم عن الكثير من مألوفاتهم الفاسدة وشدد في ذلك فأطرحوا و استصعبوا علمه حتى انقطعوا معه في عبادة الله تعالى [1].

وجدير بالإشارة في هذا السياق إلى رباط تانملت، الذي يُعد من أقدم وأشهر أربطة المغرب الاسلامي وهي حصن بناه المهدي محمد بن تومرت المصمودي، حين ظهر بالمغرب وهو بأعلى الجبل الذي يصعب الوصول إليه، لأن الصعود إليه يتم من مكان ضيق وزاد من تشييده ونظر في تحصينه وجعله مدخرا لأمواله، ومما لا شك فيه أنه كان يدرس فيه العلم للطلاب ومذهبه الخاص به، وهذا ما يبين وظيفة التدريس التي كان يقوم بها الرباط [2].

وتأسيسا على ذلك قامت جملة من الربط في كافة أقاليم المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط على وجه التحديد ولتبيان ذلك نذكر من بينها رباط بونة الذي أسسه الفقيه أبو عبد الملك مروان بن محمد الأندلسي البوني (ت 440هـ/1028م) [3]، حيث ارتحل إلى المشرق و عاد إلى بونة _عنابة _ وأسس رابطا بها عرف برباط مروان البوني[4] ويبدو أنه كان مخصصا للجهاد ضد العدو المسيحي بكونه رباطا ساحليا يتصدى لضربات النورمانيين في شمال البحر المتوسط، فضلا عن خاصية العبادة وتعليم المريدين أمور دينهم وما يتعلق بالجهاد ومدى فضله عند الله تعالى، في حين نجد القاضي عياض يشير إلى أنه كان يلقن فيه

([1])- السلاوي: الاستقصا، ج2، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص 8.

([2])- الادريسي: المصدر السابق، ص 230.

([3])- أبو عبد الملك مروان الأسدي البوني هو فقيه مالكي أندلسي الأصل، من أعيان أصحاب أبي الحسن القابسي، كان رجلا حافظا فذا في الفقه، له تأليف في شرح الموطأ مشهور حسن رواه عنه حاتم الطرابلسي وابن الحذاء، انتقل من الاندلس إلى إفريقية فأقام ببونة فنسب إليها و مات قبل سنة 440م و دفن برباطه و قد كان رجلا زاهدا عالما حافظا فذا في الفقه والحديث، ، انظر ابن فرحون : الديباج المذهب، تح : محمد الأحمدي أبو النور ،ط 1، ج2، دار التراث للطباعة والنشر، القاهرة ، مصر، د ت، ص 339.

([4])-ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص512.

العلم للطلبة وبه يعتقد أنه اعتنى بشرح موطأ الامام مالك[1] وتبعا لذلك ذكر البكري مجموعة من الربط منها رباط ندرومة[2] الحسن الذي يُقصد للتبرك به وقد تعارف المجتمع على هاته البركة، ورباط يوجد بالقرب من مدينة أرزاو[3] يقصد إليه هو الآخر[4] و رباط مرسى مغلية بني هاشم وهو مرسى صيفي ورباطه يقع على ضفة البحر وهو آهل بالسكان وماءه كثير، فضلا عن رباطات مدينة شرشال التي كانت مقصد الزوار حيث يجتمع فيها في كل عام خلق كثير[5] و رباط مستغانم حيث يحرسون خلالها السواحل من خطر المسيحيين خصوصا النورمان ويقضون جل أوقاتهم منقطعين للعبادة وقراءة القرآن الكريم والتفقه في الدين[6] .

وقد ساعدت الربط في تأدية وظيفتها الجهادية [7] ورسالتها التعبدية بما كانت توفره من مأوى للمرابطين والمستفيدين من حظوة مجتمع المغرب الأوسط، الذين كانوا يقصدون الربط لتقديم المساعدة وللتبرك

([1])- القاضي عياض، ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج 2، مطبعة فضالة ، المحمدية، د ت، ص 83.

([2])- ندرومة: يطلق عليها مدينة ندرومة الجبل وهي مدينة حسب ما أنطقه البكري تقع في طرف جبل تاجرا، تحيط بها بساتين و بسائط طيبة، وهي تقريبا مدينة ساحلية بينها وبين البحر عشرة أميال، وساحلها وادي ماسين وهو نهر كثير الثمار، وهي مدينة مسورة جليلة لها نهر وبساتين وفيها من جميع الثمار، محاطة بسور وبداخها مساجد و جوامع، انظر البكري، المصدر السابق، ج2، ص 750، مارمول كربخال: إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للنشر، الرباط، 1989، ص 295، محمد رابح فيسة: المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة _ دراسة تاريخية وأثرية_ رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 4، محمد الزين: العمارة الدينية الإسلامية في منطقة ندرومة من خلال نموذجين: الجامع الكبير وزاوية سيدي محمد بن عمر(دارسة تاريخية وفنية)، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، 2002-2003، ص 11.

([3])- هي مدينة ساحلية رومانية خالية فيها آثار عظيمة قريبة من مدينة وهران ، انظر البكري، المصدر السابق ،ج2 ، 738.

([4])- نفسه، ج2، ص 738.

([5])-نفسه،ج2، ص765.

([6])-الطاهر بونابي : الحركة الصوفية ، ج1، ص 35.

([7])-ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

بشيوخها، ولعل أبرز القرائن التي نقلها لنا البكري سابقة الذكر عن قدوم الناس للتبرك برباط وادي ماسين بندرومة ورباط أرزيو [1] ، بالإضافة إلى رباط شاكر الذي تغير نشاطه وأصبح نشاطا زهديا بحتا، مما أدى إلى ازدهار نشاط الرحلة العلمية إليه، فأصبح من نشاطاته أنه يقام فيه موسم سنوي خلال شهر رمضان يلتقي أثناؤه الأولياء، حيث يذكر ابن الزيات في قوله " حضر هذا العام بهذا الرباط ألف امرأة من الأولياء" يقمن بخدمته واستقبال زواره [2].

وقد تكشف هذه المرحلة الأولى عن توغل قيمة الولاء عند المجتمع اتجاه المقدّسين، حيث لم يكن الارتباط بالرباط منظورهم قائما على بنيته المادية الملموسة المتمثلة في معالم العمارة وإنما بما يرمز إليه من بركة صادرة عن نشاط المرابطين المنزّهين، ويبرز ذلك في نظرة المجتمع إليهم باعتبارهم عناصر فاعلة لدى الناس لاسيما دورهم في ممارستهم وظيفة التوسط في فض النزاعات بين القبائل والأفراد وهو ما أسهم في ترسيخ مكانتهم وتعزيز نفوذهم داخل المجتمع.

ويبدو أن هاته الأربطة التي شهدها المغرب الإسلامي عامة والأوسط خاصة كلها آهلة بالمرابطين يحيون فيها حياة جماعية ويحرسون خلالها السواحل من خطر المسيحيين، خصوصا النورمان، ويقضون جُل أوقاتهم منقطعين للعبادة وقراءة القرآن والتفقه في الدين [3].

وبظهور الموحدين واستلائهم على المغرب الإسلامي ككل و فرض هيمنتهم عليه، قاموا بإنشاء أسطول بحري قوي فرضوا به سيطرتهم على الحوض الغربي للمتوسط، بداية من النصف الأول من القرن السادس هجري /12م، فتلاشت وظيفة الحراسة و انتظار العدو التي كان يقوم بها الرباط واتجه أهله إلى ممارسة العبادة المتمثلة في الصلاة والذكر والأوراد، ومن هنا اتخذ الرباط حجم ما يعرف بالرابطة [4] كرابطة ابن

([1])- المصدر السابق،ج2، ص 738.

([2])- المصدر السابق، ص 316.

([3])- الطاهر بونابي: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين، ج1، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 35.

([4])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 330.

الزيات وغيرها، لكن هذه الربط رجعت من جديد إلى الظهور في القرنيين 8 و9هـ / 14و15م، ممثلة رباط القصر ورباط المريدين ورباط الذكر والسماع ورباط الاغاثة [1].

ولذلك فالجدير بالتساؤل هنا، هل يمكن القول أن الزاوية هي مؤسسة سليلة وتابعة لمؤسسة الرباط أم أنها نموذج متأثر بالوافد المشرقي؟ بلا مراء إن مؤسسة الخانقاه وجدت هي الأخرى بالمشرق كمؤسسة مستقلة ومعاصرة للزاوية خلال المائة 8هـ /14م، وهي المكان المخصص لإيواء الحجاج والمنقطعين للعبادة، إذ شاهد ابن بطوطة أحدى هذه الخوانق بمصر معينة لطائفة من الفقراء وأكثرهم الأعاجم وهم أهل أدب ومعرفة بطريقة التصوف، ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب أمورهم عجيب، ومن عوائدهم أن يجلس كل واحد منهم على سجادة مختصة به، وإذا صلوا صلاة الصبح قرأوا سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم، ثم يؤتى بنسخ من القرآن العظيم مجزأة فيأخذ كل فقير جزءا ويختمون القرآن ويذكرون ثم يقرأ القرآن على عادة أهل المشرق [2].

كما تؤكد الباحثة سلامة العامري على أنه هناك رابطات كانت توجد في أحواز العراق في قولها " رابطة تعرف بالنسبة إلى الخضر وإلياس وبإزائها زاوية يسكنها أربعة من الفقراء بأولادهم يخدمون الرابطة والزاوية، ويتعيشون من فتوحات الناس وهكذا يتبين لنا أن وظائف الرابطة في المشرق هي نفسها في بلاد المغرب الإسلامي، ومنه نكشف مدى تلاقح هاته المؤسسات فيما بينها في الوظائف والأدوار [3].

وتبعا لذلك نجد الباحثة سلامة العامري تقدم لنا بعض الطروحات التاريخية الجديدة حول عدم انفصال واستقلال الزاوية عن الرابطة وذلك من خلال ما أوردته حسب المصادر المغربية أنه لا يسمح لنا بتكوين فكرة واضحة عنها لاسيما علاقتها بالزاوية وبالظروف التاريخية التي حفت بظهور هذه الأخيرة، وتشير إلى أن ما ذكره الغبريني حول رابطة أبي الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله

([1])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج4 ،ص 597.

([2])-الرحلة، مج1، تح: عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ،1997، ص 204.

([3])-المرجع السابق، ص96.

البجائي(ت652هـ/1255م) [1]، واندثارها زمن تأليفه لعنوان الدراية يمكن أن يفسر على أن المؤسسة لم تعرف تطورا بالمعنى وفي الاتجاه [2].

ويحسن التنبيه إلى أن هذه الرابطة معاصرة لزاوية أبي زكرياء الزواوي (ت 611هـ/1215م) والغبريني خلافا للتيجاني نجده يميز بين المصطلحين وبين المؤسستين فهنا يتحدث عن زاوية وهناك عن رابطة، كما أننا لم نقف فيما أورده من ترجمات إلا على زاويتين وقعت الإشارة إليهما بالاسم مما يضفي مصداقية على كلامه [3]، فهل هذا يعني أن المؤسستين مستقلتان كليا وأن مصير كل منهما مستقل عن الآخر؟

والملاحظ كذلك أنه لا يوجد تطوير في الوظائف، كلاهما يكمل الآخر، اذن لم يقع تطوير الرابطات ولم تتحول نفسها هي إلى زوايا بل أن بروز هذه الأخيرة يمثل ظاهرة جديدة، وربما تعايشت المؤسستان لفترة وكأننا بكل منهما يؤدي وظائف خاصة بالآخر.

في حين انقرضت الرابطة واندثر رسمها بمجرد موت مؤسسها على غرار رابطة أبي الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله البجائي(ت652هـ-1215م) ببجاية التي لم تعمر أكثر من خمسين سنة، كما توجد هياكل مشتركة و تطور متجانس إلى حد ما بين شطري العالم الإسلامي، ولا شك أن العدد الضئيل والمحدود جدا للرباطات التي ذكرها ابن بطوطة خلال رحلته التي انطلقت من تونس سنة 725_726هـ مقارنة بعدد الزوايا التي ذكرها، وهذا ما يدل على التراجع الملحوظ لهذه المؤسسة في المشرق الإسلامي خلال المائة الثامنة هـ/ 14م، واكتساح الزوايا[4] ربما يعود بعد استلاء الموحدين على الغرب الإسلامي،

([1])-فقيه وصوفي مالكي كان متقننا ضابطا أمينا صدرا في الزهد والورع والانقباض، من حفاظ فقهاء مذهب الامام مالك، ولد في بجاية ورحل إلى الأندلس وبعدها إلى المشرق، فأخذ العلم هناك ثم عاد إلى بجاية، فأقرأ وأسمع توفي سنة 652هـ- 1215م، انظر الغبريني، المصدر السابق، ص138، عادل نويهض، المرجع السابق، ص37.

([2])-نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص96.

([3])-نفسه، ص96.

([4])- نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص97.

وإنشائهم لأسطول بحري[1] قوي مما جعلهم يفرضون السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط، فتلاشت وظيفة الحراسة التي كان يقوم بها أهل الرباط واتجهوا لممارسة العبادة والذكر، فحدث تحول على مستوى الرباط، وأخذ حجم ما يعرف بالزاوية.

ولهذا فقد نلاحظ في الفترة الحفصية أن المصادر التاريخة لم تورد مؤسسة الرباط مع غياب الشواهد المادية، مما يؤكد تراجعها وزوالها لمؤسسة حديثة النشأة تسمى بالزاوية، كما استنتجنا أن مؤسستي الرباط والرابطة تزول مباشرة بعد وفاة مؤسسها أو شيخها فهي مؤسسة وقتية، لكن الزاوية إذا مات شيخها تبقى للطريقة الصوفية المتبعة إذن هي مؤسسة دائمة.

ج _ الرباط... عن أي وظيفة نتحدث؟

شكلت الرباطات ظاهرة تاريخية في بلاد المغرب الأوسط فهي مخصصة في العبادة والتصوف ونشر العلم وهي كذلك ثغور للمقاومة، وقد بقيت هاته الرباطات في آداء مهمتها طيلة فترة قيامها حتى حلت محلها مؤسسة الزاوية، ويتجلى هذا من خلال الوظائف الحيوية التي اضطلعت بها في تاريخ المغرب الأوسط، حيث نهضت بأدوار دينية وفكرية لصالح المجتمع من ناحية وصالح الدولة من ناحية أخرى، ومنه سوف نعرض في هذا المبحث أهم الوظائف التي احتضنتها مؤسسة الرباط.

1_الرباط مركز للتعبد والتبرك.

تُعد الرُبط مجمعا دينيا تعمل على ترسيخ الدين وتحث المجتمع على التمسك بالشريعة الإسلامية والعقيدة السليمة، والرد على البدع والخرافات التي تشوه صورة الإسلام الحقيقية، وبالتالي فقد تكثفت وتعددت أدوارها الدينية وبناء على هذا تجلى دورها في توعية العامة بأمور دينهم لكي لا يقعوا في الأفكار الخاطئة من خلال تقديم دروس الوعظ والتذكير، فضلا عن شرح كتب الفقه و الحديث وتفسير القرآن الكريم

(1)- كان الاسطول البحري الموحدي ضخما يتكون من عدة أنواع من السفن تقوم بعمليات عسكرية في البحر المتوسط، وهذا الاسطول مزود بأسلحة عسكرية كالمناجيق والسلام والفؤوس والمعاول والحبال والدروع والسيوف والرماح، انظر الحميري: المصدر السابق، ص568، الطاهر قدوري: الموحدون واستراتيجية القتال البحري في البحر المتوسط، دراسات تراثية، مج8، ع1، 2014، ص454.

وكيفية الصلاة وغيرها من الدروس الدينية، و السماع من كتب الوعظ و ذكر الله تعالى، و التسبيح والتقديس بالإضافة إلى مدح النبي و سماع ما يشوق النفوس إليه، و ما تشتاق سماعه من ذكرى الصالحين.

فضلا عما كانت توفره من مأوى للمرابطين والمستفيدين من حظوة مجتمع المغرب الأوسط، الذين كانوا يقصدوها لتقديم المساعدة وللتبرك بشيوخها ومن القرائن تلك التي نقلها لنا البكري " قدوم الناس إلى الرباط المتواجد بقرب وادي ماسين بندرومة "[1] من أجل نيل البركة.

وغالبا ما تكون هاته الأربطة مخصصة للعامة والخاصة وفيها يجتمعون على الذكر وقراءة القرآن والمواعظ وإحياء المواسم الدينية[2] وهي الأكثر انتشارا في بَوادي المغرب الأوسط وعلى سواحله، لكن عادت من بعد هذه الرباطات لتشكل مقرا قارا للسكن بعد أن تحولت ابتداءً من الحكم الفاطمي و تحت الدولة الزيرية ق 4هـ /10م _ 5هـ / 11م، إلى فضاءات للإقامة الموسمية و لفترات محدودة ومجمعا للصالحين[3] وقد أطلق عليها اسم رباط المريد، فيُذكر ابن قنفد القسنطيني(ت810هـ/1407م) أن "أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر من أصحاب أبي مدين شعيب(ت594هـ/1198م) دخل خلوته بقصر المنستير[4]

([1])- البكري، المصدر السابق، ج2، ص750.

([2])- الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 403.

([3])- كان رباط شاكر مجمعا للصالحين من قديم ولا سيما في رمضان يفدون إليه من كل حدب، كذلك أقم المسلمون رباطا آخر في شمال تامسنا على ضفة نهر أبي رقراق أو وادي سلا وكان الناس يسكنون ويرابطون بهذا الرباط، وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف انسان يزيدون وينقصون، انظر ابن الزيات: المصدر السابق، ص 51، نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص 99 .

([4])- يقصد بالمنستير الدير أو الحصن الحربي وكان أعظم معقل للدفاع عن سواحل المغرب الإسلامي ضد الغزاة البيزنطيين وكان مهوى أفئدة العلماء والفقهاء والزهاد، يقع حاليا بين سوسة والمهدية وهو معبد يجتمع فيه الزهاد والمتصوفة والمنقطعون للعبادة وهو حصن عال وفيه عدة قصور مبنية بالحجارة والطواحين الفارسية ومواجل الماء وبه مسجد لا يخلو من شيخ وأهل إفريقية يحسنون مراعاة سكانه بالبر ويمدونهم بالقوت والكفاية، انظر البكري: المصدر السابق، ج2، ص 692، محمود مقديش، المصدر السابق، ج1، ص 576، إكرام شقرون: المنستير رائدة الرباطات في العصر الوسيط، كان التاريخية، ع28، 2005، ص34 35.

وواصل أربعين يوما"[1]، بالإضافة إلى رابطة ابن الزيات التي كان يقيم بها عدد معتبر من طلبة أبي مدين يؤدون فيها أورادهم ومجاهداتهم كالصلاة و الصوم وقيام الليل[2]، ومن جهة أخرى نجد رباط تيط[3] الذي كان مركزا صوفيا سنيا مجددا للطريقة الشاذلية في المغرب الأقصى، ويبدو أن أنه كان من المجهودات المرابطية المنجزة بعد اندحار الامارة البرغواطية، وبالتالي كان تشييده يرمي إلى تطهير المنطقة من آثار الانحرافات[4].

وقد كانت تدعم عموما بأوقاف متمثلة في عقارات وبساتين وغيرها تنفق عليها لديمومة أدوارها، ومن الملاحظ أنه لم يكن يسمح لغير المريدين بالمكوث والاستقرار بها، وحتى المشتغل بدراسة العلم ليحق له أن يستقر بها وكذلك شريحة الفقراء والمرضى والمسافرين [5].

في حين نجد أن زيارة الرباطات والتبرك بها كان مرتبطا بالظرفية الدينية، فقد كان ترجمة أبي سالم القديدي (ت699هـ1299م) أنه صلى في رباط المنستير عاشوراء عندما كان في الثامنة عشر من عمره، وكذلك أثناء تفاقم الأخطار الخارجية ابتداء من العهد الموحدي[6] .

غير أن تقاطر المريدين من أجل الحصول على قسط من الحُبس وكذلك المرضى والعامة بما في ذلك النساء وحضور طقوس المواسم الدينية والتبرك بهذه الربط التي صارت مكانا مقدسا، فقد أدى إلى ارتفاع أصوات الفقهاء مطالبين بضبط وظيفة الرباط وشروط السكن فيه وظروف العسعس [7].

([1])-ابن قنفد: أنس الفقير، ص 97.

([2])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 330.

([3])- انظر شرحه محمد المازوني: رباط تيط من التأسيس إلى ظهور الحركة الجزولية، من ضمن كتاب الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنساني، الرباط، 1997، ص29

([4])- محمد المازوني: المرجع السابق، ص29، انظر عبد العزيز عموري: امتدادات الحركة الصوفية المغربية ببلدان الغرب الإسلامي: الطرقة العيساوية نموذجا، مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات، 2018، ص9.

([5])- الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص 8.

([6])-نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص 99، 100.

([7])- الطاهر بونابي: الحركة الصوفية، ص 600.

والجدير بالملاحظة أن رباطات بجاية لم تقتصر على الجهاد فقط وإنما كانت المكان الذي يجتمع فيه الصلحاء والصوفية لأداء الصلاة وتنظيم الأشعار الصوفية، وفي هذا الصدد ذكرت المصادر في سياق ترجمتها للششتري (ت 668هـ/1269م) [1] أنه عندما حل بقابس نزل برباط البحر المعروف بمسجد الصهريج وأنه كان يجتمع فيه الصلحاء وأصحابهم يصلون ويتعبدون وينظمون فيه الأشعار الصوفية وفيه نظم الششتري(ت668هـ/1269م) قصيدة شعرية [2].

ويفهم من هبوط الششتري في الرباط أنه أصبح مكان يقصد ويستقطب المسافرين وعابري الطرق الحجية والتجارية، والششتري خير مثال على ذلك وهو في يسير في رحلته إلى الحج فأقام ببجاية واستقر بأحد رُبطها فترة، وهو برباط البحر وسلك طريق التصوف هناك على يد متصوفيها [3].

وقد يظهر مدى صفة الولاء وعناية الناس بالمرابط المقدّس في هذه المرحلة المبكرة، وهم في ذلك لا يتبركون بالرباط كمؤسسة بنائية وإنما بما يرمز له من بركة وخير صادر عن نشاط المرابطين الزاهدين وكذا دورهم المتطور في الحياة الاجتماعية خصوصا في الحد من النزاعات بين القبائل والأفراد.

([1])- هو أبو الحسن الششتري: ولد في ششتر إحدى قرى وادي آش في جنوبي الأندلس سنة 610هـ/ 1201م، عاش أهم مراحل حياته في ظل الدولة الموحدية بدأ تكوينه العلمي في بلاد الاندلس وحصّل علوم الحديث والفقه وأصول الفقه واللغة والإعجاز، ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى وبجاية طالبا للعلم فأخذ التصوف السني هناك، ثم اتبع تعاليم مدرسة أبي مدين شعيب في اتجاهها الصوفي النظري الفلسفي، والتقى في بجاية الصوفي ابن سبعين وتأثر بفكره الصوفي وأصبح من أتباعه، ثم انتقل إلى مصر والتقى فيها بأقطاب الطريقة الشاذلية، كان يكن لهم محبة وتقديرا ثم كون طرقة صوفي عرفت باسمه وهي الطريقة الششترية، أفرغ فيها أهم تجاربه الروحية، واجتمع حوله كثير من المريدين واتخذوه شيخا وحيدا وبرع في فنون النظم المختلفة الشائعة على زمانه من القصيدة والموشح والزجل واشتهر شاعرا وشاحا زجالا على طريقة القوم وذاع صيته في الشرق والغرب، توفي في مصر بنواحي مدينة دمياط سنة 668هـ_ 1269م، انظر ديوان أبي الحسن الششتري: تق محمد العدلوني الادريسي و سعيد أبو الفيوض، دار الرشاد، 2008، ص 11 12 13 14 15.

([2])- الغبريني: المصدر السابق، ص 240.

([3])- أمال زعامطة، حميد قبايلي: تجليات الحضور الصوفي عند أبي الحسن الششتري في نماذج مختارة من شعره، مجلة النص، مج9، ع2، 2023، ص308 .

ويفهم من خلال الاشارات المصدرية مدى التطور الذي لحق بهذه المؤسسة في حوالي قرن من الزمن وتطور الرباط من مؤسسة لا تزال إلى حد بعيد تنضم إلى فترة الانقطاع للتعبد والعمل العسكري والتصوف الفردي إلى مؤسسة مندمجة تنضم إلى مرحلة التصوف شبه المنظم، ومدى تجسيد هذا التحول على مستوى موارد الرباطات وتنظيمها الذي سيبرز تنظيم العمل الموجود بالزوايا في نفس الفترة [1].

وبهذا أصبحت شيئا فشيئا تعتمد على موارد قارة للعيش وصدقات جزلة [2]، علما أن هذا التطور في الربط يتماشى مع الاتجاه العام للتصوف في نهاية المائة الثامنة هجري/ 14م وبداية القرن التاسع هجري/15م، حول اقتراب الربط بالتدريج من الزاوية واختصاص هاتين المؤسستين أكثر فأكثر بطائفة محددة تسلك طريق شيخ محدد [3].

في حين نجد رواية ابن ناجي التي ذكرتها لنا العامري إلى اقتراب الرباط أكثر فأكثر من مؤسسة الزاوية مثلما عرفتها إفريقية ابتداء من المائة السابعة ببجاية /13م، كمكان يقصده الفقراء ويلتفون حول شيخ من شيوخ هذا الرباط، يجلسون إليه ويتدرجون على يده في طريق القوم، وبناء على هذا قد عُرفت أشكالا من تنظيم الحياة بها ومن تقسيم العمل وأصبحت شيئا فشيئا تعتمد على موارد قارة للعيش [4].

علما بأن هذا التطور في الرباط يتماشى مع الاتجاه العام للتصوف في نهاية المائة الثامنة هـ /14م، وبداية المائة التاسعة هجري/ 15م، حول اقتراب الرباط شيئا فشيئا من الزاوية واختصاص هاتين المؤسستين أكثر فأكثر بطائفة محدودة تسلك طريق شيخ محدد[5] فقد كان شيوخ الرابطات يعلمون مريديهم تعاليم الدين الاسلامي ثم يقوم المريدون بنشر أفكار شيوخهم و أهم ما دروسه في حواضر العلم بالأماكن التي

([1])- البكري: المصدر السابق، ج2، ص 962.

([2])- نفسه، ص692.

([3])- والطريقة لغة هي السيرة وفي مجال التصوف يقصد بها المسار الذي يسنّه أيّ شيخ لأتباعه ومريديه بناء على عدة أسس ومواصفات فكرية مستمدة من الطريقة الأم التي يتبناها، انظر عبد العزيز عموري: المرجع السابق، ص 8.

([4])- الولاية والمجتمع، ص109.

([5])- ابن الزيات، المصدر السابق، ص51، نللي سلامة العامري، المرجع السابق، ص111.

يقطنون فيها، وبالتالي تتسع دائرة الإصلاح والوعي الذي يشمل جميع شرائح المجتمع، وهذا ما كان يطبق في بجاية وفاس خلال القرنين " 6 -7 هـ" / 12 -13 م" ، زمن الموحدين.

ومن المفيد أن نؤكد كذلك بأن هؤلاء المريدين قاموا بتأسيس رابطات خاصة بهم تقليدا لرابطات مشايخهم، و بهذه الطريقة انتشر التصوف، و مثال عن ذلك رابطة داود مزاحم " 578هـ / 1182م"، الذي أخذ علم الدين و التصوف عن شيخه أبو مدين شعيب في بجاية، و عندما رجع إلى المغرب الأقصى بلده بنى رابطة خاصة به في ساحل تغلال ببطوية في منطقة الريف وانقطع بها، و أسس رابطة أخرى على ساحل البحر، حولها إلى مقام أحيا فيها طلبته لياليهم قياما وذكرا على طريقة أبي مدين، ونجح في نشر تعاليم الدين في الريف[1].

كما نشير إلى أبي محمد صالح الماجري (ت631هـ/ 1234م) [2]، وهو من أهل فاس والذي أخذ التصوف عن أبي مدين شعيب، وعبد الرزاق الجازولي(ت758هـ/1357م) في بجاية، توجه إلى آسفي وكانت له نفس خصائص الرابطة، واعتكف فيه متعبدا، ومربيا للصوفية على نمط الغزالي، وتعاليم أبي مدين [3].

ومن الأدلة كذلك أبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ-1266م) [4]، من قبيلة غمارة القريبة من سبتة المغربية، والذي تلقى التصوف عن تلامذة أبي مدين شعيب كأبي محمد بن عبد السلام بن

([1])-الباديسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف، تح: سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ص ص50 .55

([2])- هو الصوفي أحمد بن إبراهيم بن أحمد الماجري ولد بالإسكندرية نشأ وعاش في أحضان أسرته ثم استقر ومكث ببجاية لمدة طويلة ثم انتقل إلى المغرب فأقم بأغمات ثم الاستقرار النهائي في منطقة آسفي حيث توفي بها سنة 631هـ/ 1234م، انظر إبراهيم الماجري: المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، ج1، تح: عبد السلام السعيدي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2013، ص38.

([3])-الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص 132-133.

([4])- هو الشيخ الصوفي أبي الحسن الشاذلي نسبة إلى قرية شاذلة قريبة من إفريقية، أخذ العلم والتصوف على يد الشيخ أبو العباس المرسي والعز بن عبد السلام وكان معاصرا للصوفي ابن عربي و ابن سبعين وأبي الحسن التستري

مشيش(ت626هـ/1228م) [1]، في رابطته بجبل غمارة، وقد تأثر بأبي مدين في جوانب كثيرة من حيث التقيد بالقرآن الكريم، والسنة والمحافظة على الفرائض والمداومة على القيام حتى يفرغ القلب عما سواه، وعندما رحل إلى تونس سنة 615هـ/ 1218م، أسس في شاذلة[2] رابطة وتردد على تونس لنشر أمور الدين والتصوف [3].

ولا مناص من القول أن الرابطة لعبت دور المسجد في الصلاة وإقامة صلاة الجمعة حيث أعد صاحب التشوف عن صاحب المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي صالح برابطة تامرنوت مسجدا في قوله ..."هو مسجد مبارك لم يزل الشيخ أبو محمد صالح قبل بناء الرباط يتحدث فيه دائما و هو قرب البحر آسفي"[4]، وجاء في إحدى التراجم في التشوف " صليت المغرب في رابطة أبي إسحاق التي هي داخل باب إيلان ...فسلم قبلي وخرج من المسجد ...فصعد يدرس في سطح المسجد" [5].

بالرغم من الوظيفة الدينية التي احتضنتها الرابطة فهذا لا يمنع أن تشكل الرابطات مقرا لسكن الولي أو الصالح، فقد جاء في المصادر " اعتكاف أبو العباس التوزري (ت 610هـ/1213م)، برابطة أنبدور

والقرطبي صاحب التفسير، من أهم مؤلفاته حزب الشاذلي، رسالة في آداب التصوف، السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل، نزهة القلوب وبغية المطلوب، توفي سنة 656هـ-1266م، انظر ابن الصباغ: درة الأسرار وتحفة الأبرار في أقوال وأفعال ومقامات ونسب وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبو الحسن الشاذلي، المكتبة الأزهرية للتراث، 2001، ص 5 6.

([1])- ولد بقرية الحصن بقبيلة بني عروس بالمغرب الأقصى تربى على يد والده مشيش تربية دينية وتعلم القرآن الكريم على يد الشيخ سيدي سليم، وتعلم الفقه على يد الشيخ الحاج أحمد أقطران، ثم تفرغ للتدريس وكانت دعوته الصوفية قائمة على مجاهدة النفس والجهاد في سبيل الحق ومحاربة الشعوذة والشرك، قتل بعد فتنة غبن أبي الطواجن الذي ادعى النبوة بعدما تصدى لهم وتم قتله 626هـ-1228م، انظر محمد أعبيدو الشيخ المولى عبد السلام بن مشيش قطب المغرب الأقصى، ط3، طبع من مجلس جهة طنجة تطوان، 2013، ص 4 وبعدها.

([2])- قرية تقع في تونس حاليا، انظر ابن الصباغ، المصدر السابق، ص5.

([3])-الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص133.

([4])- نللي سلامة العامري: المرجع السابق ، ص92-93.

([5])-ابن الزيات: المصدر السابق، ص 305.

خارج مدينة سجلماسة فدخلت عليه بين العشاءين فدفع لي جاما فيه خبز ولحم" [1]، وجاء في ترجمة أخرى " نمت البارحة برابطة تامنغاطت على قرب من ساحل أنفا" [2] والهدف من ذلك هو الحرص على نشر الدين في كل الأوقات فضلا عن اعتكاف شيخ الرابطة مع مريديه في الليل من إقامة صلاة أو تسبيح.

ومن شدة قداسة شيوخ الرابطات أصبحوا يدفنون بها ويتبركون بقبورهم وبالتالي بداية ما يعرف الخروج من دائرة الصلاح إلى دائرة الشرك والتوسط في عباد الله تعالي فنجد رابطة أبي إسحاق المعروفة أيضا بضريح سيدي إسحاق المراكشي [3]، ورابطة التونسي هي ضريح أبي محمد عبد السلام التونسي (ت 604هـ_1207م)[4] بالعباد من ضواحي تلمسان " ودفن بالعباد في الرابطة المعروفة برابطة التونسي"[5]ورابطة الغار دفن عندها يعقوب يوسف بن علي المبتلي(ت 593هـ/1197م)، وهو من أولياء مراكش[6]، إضافة إلى رابطة القدم التي نقلت إليها ملالة بنت زيادة الله أبا موسى الدكالي بعد أن حفرت له قبرا وعملت عليه قبة أنفقت عليها خمسمائة دينار[7].

وفي مستهل الحديث السابق نلاحظ تطور الرابطة في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/12م إلى غاية النصف الأول من القرن السابع الهجري /13م، ويظهر من خلال الخدمات التي أضافتها إلى

([1])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص412.

([2])- نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص93.

([3])- نفسه، ص94.

([4])- نسبة إلى عبد السلام التونسي وهو الشيخ الصالح قرأ على عمه عبد العزيز بأغمات و نزل تلمسان في الرهبان عالما زاهدا لا تأخذه في الحق لومة لائم كان يرتدي الصوف ويأكل الشعير من حرث يده توفي سنة 604هـ/ 1207م وهو مدفون حاليا بالعباد، انظر يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، تح: عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص163، ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مر: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص122، ابن القطان: نظم الجمان، تح، محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص77.

([5])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 110 142.

([6])- نفسه، ص 312.

([7])- نفسه، ص 312.

وظائفها السابقة، وتنطوي وجهة نظرنا في ذلك حينما أصبحت مقصدا شريفا للطلبة والمتعبدين، ولهذا فقد خصصت مراكز لإواء الطلبة وزائريها وعابري السبيل، فضلا عن إعالة المقيمين فيها، ومما لا شك فيه نجد رابطة أبي محمد عبد الكريم عبد الملك المعروف بابن يبكي (عاش في القرن 7هـ/13م) [1]، التي كان لها أوقافا ينفق منها على الطلبة والمريدين [2].

ومن البديهي يمكن القول أن هذه الرابطات كان يجتمع فيها الصالحون للتعبد والصلاة وتلاوة الأوراد فهذا أبو عبد الله مهدي بن إبراهيم الأنصاري من كبار تلامذة أبي مدين شعيب حسب ما أورده أنس الفقير [3] ينسب إليه قوله" كنت ليلة ببجاية برابطة الزيات، وكان معي أبو علي منصور المليانى (عاش في ق6هـ_12م) فقمنا إلى وردنا في ليلة مقمرة"[4].

مثال آخر ينطبق على رابطة أبي الحسن علي بن نصر فتح بن عبد الله (ت606 - 652هـ/ 1209- 1254م)، التي أورده صاحب عنوان الدراية وهي رابطة متواجدة بخارج باب أمسيون، لعبت هي الأخرى دورا فعالا في الحياة الدينية و التعليمية [5]، ومن خلال الوصف المعماري نكشف الدور التعبدي الذي قامت به الرابطة فقد نجد في بعض الأحيان موضع المحراب في الخارج على شكل قبة، تعلو الحجرات على السطح، وتكون القباب على شكل نصف أسطوانية، تشبه أضرحة المرابطين، مما أعطاها قداسة روحية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك أنه لما توفي الولي أبو موسى الدكالي، و دفن في أرض محبوسة

([1])- هو عبد الكريم بن عبد المالك بن عبد الله بن الطيب الأزدي عرف بابن يبكي أصله من قلعة بني حماد، ارتحل إلى بجاية فاستوطنها وكان فقيها وعالما وله وجاهة وعلو وقدر ورفعة في الدين، انظر الغبريني: المصدر السابق، ص213، محمد محمدي: المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، ع13، 2013، ص118.

([2])- الغبريني: المصدر السابق، ص 213.

([3])- ابن قنفد: المصدر السابق، ص 37.

([4])- نفسه، ص 37.

([5])- الغبريني: المصدر السابق، ص 138.

للموتى، قامت ملالة بنت زيادة الله بنقل قبره إلى قبر حفرته في رابطة القدم، وعملت عليه قبة، أنفقت عليها خمسمائة دينار.[1]

وقد ذكر الباديسي قصة تأسيس رابطة أبو داوود في قوله "ودليلنا على ذلك أبو داود مزاحم لما أراد بناء رابطته أقامها في مراح لبعض جيرانه، فقال كنت أصلي فيه، فإذا جاء ربه وجد فيه محرابا مبنيا فيقول لي: يا أبا داود من أحل لك أن تبني محرابا في أرضي بغير إذني؟ تريد أن ترد أرضي مسجدا؟ فأقول له ما بنيته ولا به فيهدمه وينصرف فلما طال ذلك وعلم صدقي قال: لعل الله أراد أن يكون فيه مسجدا، فقد وهبته لله تعالى، فبنى أبو داود رابطته المعروفة واتفق في بنائها بالآجر والخشب فأنفق فيها مالا جسيما"[2].

وهناك شكل آخر من أشكال العمران للرابطة خلال فترة حكم الموحدين القرن 6 هـ/ 12 م، حيث كانت في كثير من الأحيان مدفنا للصلحاء، و قبورهم أحد أشكال العمران الصوفي، المتصل بطقوس البركة والتضرع، ونشير إلى أن السلطات الموحدية شجعت على زيارة بعض الأماكن المرتبطة بدعوة المهدي بن تومرت وأقامت رابطتين قرب مغارة كان ابن تومرت قد لجأ إليها بعد خروجه من مراكش سنة " 514 هـ / 1150م، في موضع إيجليز من هرغة ومن بين هاته الأماكن المقدسة نعرف رابطة وانسري ورابطة الغار، فقد كان الناس يأخذون التراب منهما فيتبركون به، و يجعلونه على المرضى[3].

2_ الرباط والدور التعليمي.

كانت الربط معاهد علمية تدرس بها سائر العلوم العقلية والنقلية وخصوصا العلوم الدينية، وقد نشطت فيها حركة التدريس، كتعليم القراءات وإعراب القرءان والموطأ والمدونة والتصوف كما كان شيوخها يجيبون على إشكالات الفقه والعقيدة ويقدمون إجابات التي يطرحها العامة عن أمور دينهم [4].

([1])-ابن الزيات: المصدر السابق، ص 207.

([2])- الباديسي: المصدر السابق ص 55.

([3])- ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح: ج.س.كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، ص 149.

([4])- محمد المازوني: المرجع السابق، ص 30.

وجدير بالذكر أن رباط مروان البوني الذي تأسس في أوائل القرن الخامس الهجري، كان به معلمين ومدرسين، يعلمون الصبيان، مكث فيه مروان البوني يدرس ويصنف المؤلفات الدينية، ويبدو أن هذا الرباط كان منارة علمية يصدر منها الاشعاع الفكري فقد كان يقدم إليه طلاب العلم من الأندلس وإفريقية ينهلون من علمه، وبالتالي أصبح الرباط قبلة لتحصيل العلم [1].

كما أن تلمسان التي كانت منذ القرن 5هـ /11م، وسطا للإغاثة الروحية والدراسات الدينية المتنوعة لقول البكري "... ولم تزل تلمسان دارا للعلماء و المحدثين و حملة الرأي على مذهب الإمام مالك"[2] وزاد التعليم الصوفي بها خاصة بعد قدوم عبد السلام التونسي الذي جاء من أغمات إلى تلمسان سنة 486هـ/1093م، وأسس بمدينة الرهبان رابطة مكث يلقن فيها للطلبة التصوف على طريقة الحارث بن أسد المحاسبي (ت254هـ/895م) [3]، من خلال كتابه الرعاية لحقوق الله، والذي يتناول فيه التقشف الصارم ومحاسبة العبد نفسه في أعماله، والذي يعد من أوائل المصنفات الصوفية التي دخلت إلى المغرب الأوسط[4].

يعتبر التدريس الشرعي أهم شيء تقوم به الرابطة، فيجمعون بين العبادات والطاعات وبين طلب العلم، ومن القرائن الدالة على ذلك رابطة عبد السلام التونسي بالعباد من تلمسان(ت604هـ/ 1207م) [5]

([1])- الطاهر بونابي : الحركة الصوفية، ج1، ص36.

([2])-البكري: المصدر السابق،ج2، ص746.

([3])- أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي ،هو فقيه وعالم وزاهد له دراية في علم الظاهر وعلم الباطن، وله كتب كثيرة في الزهد وأصول الديانات والرد على المخالفين من المعتزلة والرافضة وكتبه كثيرة الفوائد وجمة المنافع، توفي سنة254هـ/895م ، انظر السمعاني: الأنساب، تق: عبد الله عمر البارودي، ج5، ط1، دار الجنان، بيروت، لبنان، 1977، ص 207.

([4])- المحاسبي: الرعاية لحقوق الله، تح عبد القادر أحمد عطا، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص45، صلاح الدين آدم الزبير: الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، حياته وعصره وأثره في التصوف، مجلة العلمية لجامعة الامام المهدي، ع11، 2018، ص77، الطاهر بونابي: الحركة الصوفية، ج1، ص36.

([5])- وهي مدفن للصوفي الغوث أبي مدين شعيب (594هـ) انظر، ابن الزيات: المصدر السابق، ص 110.

سماها صاحب بغية الرواد بمنطقة الرهبان[1]، وتكون عملية التدريس بها عن طريق التلقين حيث يجتمع الطلبة بشيخهم في حلقات تقوم على تدريس مختلف العلوم، و هذا ما أشار إليه الباحث بن مقلة، حيث نبه إلى وظيفتين أساسيتين تقوم عليهما العملية وهما الانقطاع للتعبد والاجتماع مع الطلبة لكن الملاحظ في مقاله أنه جمع بين وظيفة الربط ووظيفة الزاوية على حد سواء[2]، ومن الكتب التي كان يدرسها عبد السلام التونسي لطلبته ومريديه كتاب إحياء علوم الدين، وهذا ما يبين طريقه الصوفي القائم على التفلسف، ومن أبرز المريدين الذين كانوا يحضرون مجلسه و يتذاكرون معه في رباطه عبد المؤمن بن علي الكومي(ت558هـ/ 1163م)، وأبو زكرياء بن يوغان الصنهاجي(ت537هـ/1142م) [3] وآمنة بنت يغروس، وقد وظف عبد السلام التونسي تجربته في التصوف العملي القائم التي تلقاها خلال تكوينه الصوفي خاصة بأغمات على يد عمه عبد العزيز التونسي[4].

إضافة إلى رابطة ابن الزيات [5] التي تأسست على يد محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري وأبو علي منصور المليانى، متبعين أراء أبي مدين النظرية التربوية في التصوف، وقد اتخذوا بجاية مكانا للنشاط الصوفي، وكانوا يقيمون مع عدد من طلبة أبي مدين شعيب يؤدون فيها أورادهم ومجاهداتهم كالصلاة، وكان أبو

([1])- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص163.

([2])- تاريخ الوجود الصوفي في الجزائر و تأثيره على الحياة الاجتماعية للأفراد، مجلة الخطاب الصوفي ، ع7، 2017، ص 250.

([3])- هو تلميذ أبي محمد عبد السلام التونسي وكان من أمراء صنهاجة مات بتلمسان 537هـ/ 1142م، انظر ابن الزيات، المصدر السابق، ص124، هشام البقالي: جوانب من الحياة اليومية في العصر المرابطي، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج3، ع1، 2019، ص584.

([4])-أبو محمد عبد العزيز التونسي أصله من تونس، أخذ الفقه عن أبي عمران الفاسي وأبي إسحاق التونسي واستقر بأغمات وبها مات سنة 486هـ / 1093م، ودرّس الناس الفقه ثم تركه لما رآهم نالوا به الخطط والعمالات وكان ورعا متقللا من الدنيا هاربا من أهلها، انظر ابن الزيات: المصدر السابق، ص 92. الطاهر بونابي: الحركة الصوفية، ج1، ص 36.

([5])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص330.

مدين يتردد على رابطة ابن الزيات لمراقبة طلبته وهم ويذكرون الله تعالى ومنه، يتبين أن الرابطة ساهمت بحجمها الصغير في نشر التصوف ومعظم العلوم العقلية والنقلية [1].

د_الرباط على الشريط الساحلي للمغرب الأوسط –نواة أولى للزوايا–

نلاحظ أن الأربطة كانت تبنى على حواف الطرق بين المدن والحواضر الكبرى، لكونها تحمي المجتمع والممتلكات و المحاصيل الزراعية والحقول فضلا عن البنى الاقتصادية كالأسواق والحوانيت التي تعد المغذي الأساسي للمدينة حين تحل الأزمة، ولم يغفل القائمون عليها من تزويدها بملحقات من المباني على غرار الجياب المشيدة بداخلها المليئة بالمياه والمصانع العظيمة، والأهرام لتخزين الطعام كما زود الحماديون رباطاتهم بالأبراج ذات العلائم النارية والمثبتة على المناطق المرتفعة، التي تضرم النار في أعلاها ليستخدم نورها للاتصال بين الأبراج والمدن ليلا، اتخذت شكل منارات مربعة، وقد زودت بهذا اللون من العمارة الحربية أبراج القلعة الحمادية وكذا بجاية [2].

وقبل الخوض في الحديث عن الدور الدفاعي للرباطات لابد من الإشارة إلى أهم الأربطة التي تميزت بهذه الخصائص نذكر منها الرباطات التي اتخذها بنو حماد للوظيفة الحربية الدفاعية وبنيت على الشريط الساحلي للمغرب الأوسط كرباطات شرشال ورباط مغيلة[3]، ورباط تازة بتلمسان[4] ورباط ملالة الواقع خارج مدينة بجاية[5]، التي استمرت في ممارسة وظيفتها الجهادية ضد النصارى إلى غاية العهد الموحدي، خلال القرن 6هـ/12م، إبان فترة حكم عبد المومن بن علي [6].

([1])– الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص347.

([2])– البشير بوقاعدة: منظومة التحصينات العسكرية الحمادية الثابتة، مجلة قضايا تاريخية، ع6، 2017، ص 18–19.

([3])– البكري: المصدر السابق، ج2، ص 756.

([4])– الزهري: كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، د ت، ص114.

([5])– مجهول: الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: زهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الجديثة، الدار البيضاء، 1979، ص106.

([6])– محمود مقديش: المصدر السابق، ص 453.

كما قدم لنا النميري (حيا سنة 774هـ/1372م) وصفا لأربطة القصور والحصون التي شاهدها في رحلته التي كانت بصحبة السلطان المريني أبي عنان إلى قسنطينة والزاب سنة 758هـ/1356م، ببجاية والأوراس، حيث وصف رباط برج اللؤلؤة في سواحل بجاية في قوله: "بأنه المنار المهتدي بنوره ورباط الجهاد الذي كسر الأعداء بسوره ومقر المثاغرين الذين هجروا المهاد ولازموا الزهاد وباتت أعينهم تكلأ في سبيل الله يتنظرون قدوم أجفان الكفار لاقتضاء حرب تؤذن"[1].

فيعتبر قصر اللؤلؤة الذي بني في القرن 6هـ/12م أبرز دليل موضح لهذه الخاصية من الأربطة، ويبدو أن بجاية كانت محمية بمجموعة من الأربطة وأشهرها هذا الرباط على حد وصف صاحب الاستبصار قائلا أن موضعه: " أنف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة " [2]، وهذا الرباط قد بني على أنقاض القصور الحمادية بسواحل بجاية شأنه شأن ربط القرن 8هـ/14م، التي كان أصحابها يتخذون من القصور والقلاع القديمة موضعا للمرابطة والحراسة ونظرا لحدة الاحتكاك العسكري بين المسيحيين ومجاهدي المغرب الأوسط، حتى تحولت السواحل الواقعة جهة الغرب من بجاية إلى ثغور امتلأت بالسبي والأسرى، ومن هنا يظهر رباط اللؤلؤة الذي جمع بكونه مقرا وسكنا للمجاهدين يقيمون فيه مواظبين على وظائف الحراسة والعسعس والجهاد والاهتداء بما يزاول فيه من نور العلم، كما تجدر الإشارة إلى مدى حصانة سوره ومناعته العمرانية الذي تكسرت عليه محاولات الأعداء [3].

واستخلاصا لما سبق فإن الحصن من بين الأبنية المخصصة لكل رباط، لكونه البناء الذي لا يتم الوصول إليه إلا بقتال، ويبنى على شكلين البناية الأولى تكون منفصلة قائمة بذاتها، وهذا النوع العمراني كان يبنى على الثغور الساحلية، وبجانب الطرق التجارية، والمواقع الاستراتيجية الحساسة المشرفة على حدود الدولة، والنوع الآخر عبارة عن بناء متصل على هيئة برج في سور مدينة أو قلعة أو خان ونحو ذلك وكان طابقه

([1])-فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 267.

([2])- مجهول: الاستبصار، تح: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، د ت، ص 130.

([3])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 597.

الأرضي عبارة عن مزاغل و سقطات لرمي السهام والمواد الحارقة على أي مهاجم، وتحيط به المباني المكملة لحمايته وتحصينه وغيرها[1].

ومن بين مظاهر هذه الخاصية المعمارية في المغرب الأوسط حسب ما أشار إليه البكري في وصفه لإحدى حصون المغرب الأوسط، في قوله: "وعلى ساحل ترنانا حصن تاوينت وهو حصن منيع في جبل منيف قد أحاط به البحر من ثلاث جهات وله مرتفع وعر من ناحية الشرق لا يطمع فيه أحد"[2]، ويحيط به بشكل كامل سور منيع تتوزع عليه عدة أبراج للدفاع و المراقبة، وعددها ستة، خمسة أبراج تقع في الناحية الجنوبية الشرقية، والتي تعتبر النقطة المستهدفة والوحيدة التي يمكن من خلالها الولوج إلى داخل الحصن، أما البرج السادس فكان يتربع من الناحية الغربية من الهضبة، وكان يتخذ كمنارة مؤقتة أثناء مراحل التوسع بالمنطقة، وكان سور الحصن يحتوي على بوابتين أحدهما عسكرية تقع بالجهة الشرقية، والثانية لها وظيفة دفاعية ودينية، ويوجد حوض الماء الذي يتوسط الأبراج الخمس، الواقعة بالجهة الجنوبية الشرقية من الهضبة والتي تشكل باتحادها رباطا مربع الشكل، وليس مستبعدا أن يكون هذا الحوض قد أنجز بالأساس لتزويد المجاهدين الأوائل الذين كانوا يرابطون بذلك الرباط وبالأخص في حالة الاضطرابات الأمنية[3].

والملاحظ أن موضع كل من خزان الماء والمسجد مجهول الاسم كان يقع على مقربة من رباط الحصن على بعد 30 م غرب البرج الأول، وليس مستبعدا أنه تم إنشاؤهما في الأصل لتسيير أداء فريضة الصلاة للمرابطين الذين كانوا قائمين على مراقبة وحراسة سواحلها [4].

ويوجد حصن سيدي عبد القادر الذي عرف أيضا هو الآخر باسم حصن البحر ويعود تاريخ تأسيسه إلى العهد الحمادي، في القرن 5هـ/11م، يقع الحصن على قمة هضبية صخرية، شكله مستطيل، تضرب جدران الحصن في البحر، وهي من مادة الحجارة الكبيرة المتقنة القطع ومن مختلف الاحجار، و يتكون

([1])- عاصم محمد زرق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، ط1، مكتبة مديولي، 2000، ص 81.

([2])-المصدر السابق، ج2، ص 750.

([3])- كريمة عثماني: حصن تاونت الأثري بمنطقة الغزوات حسب المعطيات التاريخية والشواهد المادية، مجلة منبر التراث الأثري، ع5، 2016، ص 220 221.

([4])- نفسه، ص 221.

من طابق أرضي به أربعة غرف، وعلى مساحة مسطحة علوية بها شرفات و هي مخصصة للخيالة، هذا بالإضافة إلى طابق تحت الأرض توجد فيه مخازن مغطاة بأقبية ضيقة وعلى مستويات مختلفة تتصل فيما بينها بواسطة ممرات وسلالم، وكان الحصن يحمي قصر اللؤلؤة في العصر الحمادي[1].

ولا مناص من القول أن الأسوار هي المعمار الأساسي الواقي والهام للثغور العسكرية – الرباط–باعتبارها أحد العناصر الداعمة لمظاهر التحصين الأخرى كالقلاع والحصون والمدن لتفادي أصناف الخطر الناجمة عن هجومات الخصوم العسكرية، وتتحد مستويات النجاعة الوظيفية التي تضطلع بها تشكيلاته بناءً على حجم السُمك المحدد لعرضه ونسبة الارتفاع الكافي لملامسة فعل الغلبة، والصمود وفاعلية السلاح ومقدرته الهجومية [2].

السور يأخذ شكل حاجز ترابي أو حجري يحيط بالمدينة أو القلعة، أو يمتد على حدود الدولة، وتعتبر الأسوار من أهم التحصينات الحربية سواء على مستوى المدن أو العمائر فهي تعتبر خط دفاع أولي، ومن مظاهر هذه الخاصية حسب المصادر التاريخية بجاية العاصمة الثانية للحماديين التي بنيت على سفح جبل وضربت حولها سور امتد من شاطئ البحر ليصعد متدرجا حسب ارتفاع الأرض أو انخفاضها، وامتد في خط يساير تعرج الشاطئ يحيط بالمدينة من الواجهة البحرية [3].

وبسفح الربوة على الحد الغربي لحي الواجهة البحرية لعنابة عثر على جزء من سور يمثل دفاعا ثانيا، وأنشأت مدن أخرى بأسوار مماثلة على طول ساحل المغرب الأوسط منها تلمسان ولها سور حصين منيع، وأيضا وهران عليها سور تراب متقن ومرسى الخزر عليها سور حصين، بالإضافة إلى مدينة هنين التي كان لها أسوار متينة [4].

([1])- عزوق عبد الكريم: التحصينات الدفاعية الاسلامية ببجاية، ص 79-80.

([2])- البشير بوقاعدة: المرجع السابق، ص 19.

([3])- موسى هيصام: الجيش في العهد الحمادي (405_547هـ/ 1014_ 1152م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص 88.

([4])- البشير بوقاعدة: المرجع السابق، ص 20.

في حين نجد رباط البرج وهو نوع آخر من الأربطة التي كانت تبنى في المدن الساحلية ويكون في هاته الحالة أشبه بقلعة صغيرة تشكل خطا دفاعيا متقدما لها، ومن هنا شكل البرج عنصرا دفاعيا هاما في أسوار المدن والقلاع والحصون [1]، فهو يسهل عملية مراقبة الأجزاء السفلى من الاسوار والزوايا والأركان ومن خلاله يمكن اكتشاف الاخطار القادمة قبل وصولها ويماثل ارتفاعها ارتفاع الاسوار أو تفوقها، وتكون بارزة عن الاسوار خارج المدينة ومملوءة من الداخل ببقايا مواد البناء ويتم توزيعها في الأركان الأربعة للسور المحيط بالمدينة وعلى طول مساره بمسافات تصل إلى حدود عشرين مترا بما يسمح بوصول رمية سهم القوس [2] ومن بين تلك الأبراج أبراج المراقبة على ساحل هنين بتلمسان، والتي تقع بالجهة الشرقية المطلة على البحر، نجد برج سيدي إبراهيم الآبلي يطل على البحر مباشرة ويقع على سفح جبل [3]، ويظهر أن الأبراج في مدينة هنين على نوعين مستطيلة ومربعة الشكل، فالمربعة الشكل نجدها متمثلة في الأبراج الركينة أما المستطيلة فهي التي نجدها بسائر السور، كما تحتوي هذه الاب راج على مخازن ومؤن و أسلحة وصهريج المياه وغير ذلك[4]

ونجد أن تلمسان احتفظت بتقاليد الموحدين دون تغير تقريبا، وكانت الستائر والأبراج تشد بالحراسة، أما مداخل الأبواب والبوابات التي كانت دائما رائعة ذات ممرات متعرجة فقد كان الغالب على بنائها الآجر، أكثر من الحجارة وأشكالها التقليدية في التفصيلات [5].

كما نلاحظ كذلك أن هناك ربط بينت في المناطق الداخلية فقد قدم لنا ابن الحاج النميري وصفا معماريا لهته الربط التي أقامها فرسان العرب الهلالية من أدعياء الرباط وأهل الهياط والمياط على حد تعبيره

([1])- عاصم محمد زرق: المرجع السابق، ص 34.

([2])- إسماعيل بن نعمان: التحصينات الدفاعية بمدن المغرب الأوسط، مدينة تنس نموذجا، مجلة دراسات تراثية، ع8، 2014، ص 430

([3])- محمد بن حمو: التحصينات العسكرية لمدينة هنين، دراسات أثرية، ع8، 2014، ص54.

([4])- محمد بن حمو: المرجع السابق، ص 64.

([5])- بيرتون بيج: البرج في العمارة الإسلامية الحربية، تر إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتب للبنانية، بيروت، 1981، ص 50.

[1]، حيث اتخذ الرباط القصر الذي بناه عثمان بن علي بن أحمد الرياحي في سفح جبل قرب تيجمانين بين قسنطينة وباتنة حاليا" شكلا مستطيلا بنيت حيطانه الأربعة بالحجر المنجور وتميزت بعلوها لا ترميه المجانيق إلا كاد يعدو عليها شرره ويضحك عليها من تفتت حجارتها دلالة على حصانته وعلوه"[2]، وكان رباط القصر لأحمد بن عثمان قد جمع بين وظائف المرابطة والاستقرار والعمل الفلاحي[3] .

فضلا عن شقيقه عثمان أبو الدينار سليمان الذي بنى قصرا من مواد البناء في خراب المدينة الرومانية ـلمبيسـ ولم يهتم ابن الحاج بذكر تفاصيله العمرانية ووظيفته بقدر ما انساق إلى وصف كيفية تخريبه من طرف الجيش المريني [4].

في حين نجد يعقوب بن علي صاحب بسكرة قد كان له قصران الأول في منطقة الوطاية ذات المزارع الشهيرة حيث يصفه النميري قائلا: "امتاز بأبراجه العالية وكان محاطا بحدائق ومزارع وبه مستودعات لتخزين الأقوات والذخائر، ويبدو أن تصميمه الهندسي كان جذابا حتى ابن الحاج وصفه بالقصر البديع[5] والثاني بمنطقة الجراية ناحية القنطرة ويسمى بالقصر الجديد وهو أيضا ذو أبراج وقد جعله يعقوب بن علي على حصن نجدة له لقول ابن الحاج" ومنه كانت أقواته المرغدة ومراقده المسعفة ومرافقه المنتجة المنجدة"[6]، ومن جهة أخرى يوجد القصر الجديد المعروف بالحصن العالي البناء المتناسق الأسوار العريضة وبه دور تحتوي على المرافق تسكنه العرب الهلالية [7].

([1])- الطاهر بونابي: الحركة الصوفية، ج4، ص 598.

([2])- النميري: المصدر السابق، ص413.

([3])- محمد حسن: الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن السابع هـ 7_15م فصول في تاريخ الموقع والمسالك والمجالات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2003، ص 43.

([4])- الطاهر بونابي: الحركة الصوفية،ج4، ص 599.

([5])- فيض العباب، ص 426 427.

([6])- الطاهر بونابي: الحركة الصوفية، ج4، ص 599.

([7])- نفسه، ص 599.

ومن هنا تظهر خصائص ربط الزاب والأوراس التي جمعت إلى جانبها طابع الابداع والتحصين الذي ميز عمرانها واكتسابها لصفة الرباط والإغاثة في مواجهة اللصوص وقطاع الطرق والسكن والاستغلال الفلاحي وتخزين المؤونة، وكلها تعكس مقومات الاستقرار الذي توصلت إليه القبائل الهلالية في القرن 8هـ/ 14م، كبديل عن حياة الحرابة وقطع السابلة وهي الصورة التي ذكرتها رواية ابن الحاج على حد تعبير الباحث بونابي، بوصفها الرواية الشاهدة الوحيدة عن وضع هذه الربط وطبيعة نشاط المرابطين فيها [1].

ومن خلال معطيات المظان المصدرية يتبين لنا جليا في الجدول أسفله طبيعة التحول الذي طرأ على مؤسسة الرباط والتي أضحت رابطات [2] مخصصة للعبادة والذكر دون الحراسة، ويبدو أن ظهور وتطور الرابطة خلال العهد الموحدي (6 و7هـ/12/و13م) قد ارتبط في البداية برحلة العلماء إلى المغرب الأوسط والأقصى والأندلس مؤسسين تلك الرابطات المخصص للعبادة وقراءة القرآن الكريم.

جدول يوضح الأربطة والرابطات التي تأسست في العهد الحمادي والموحدي.

اسم الرباط	المكان	المصدر / المرجع
رباط بونة	عنابة	ابن فرحون: الديباج المذهب، ص 339.
رباط ندرومة	ندرومة	البكري: المسالك والممالك، ج2، ص 738.
رباط أرزاو	وهران	نفسه، ج2، ص 783.
رباط شرشال	شرشال	نفسه، ج2، ص 765.
رباط مستغانم	مستغانم	نفسه، ج2، ص750.
رباط برج الؤلؤة	بجاية	النميري: فيض العباب، ص95.
رباط قصر لوطاية	بسكرة	نفسه، ص 426.

(1)- الطاهر بونابي: الحركة الصوفية، ج2، ص 599.

(2)- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج3، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتب، الدار البيضاء، 1964، ص 264.

رباط قصر الجراية	بسكرة	نفسه، ص427.
رباط حصن تاوينت	المغرب الأوسط	البكري، ج2، ص750.
رباط حصن سيدي عبد القادر	بجاية	عزوق عبد الكريم: التحصينات الدفاعية الإسلامية ببجاية، ص80.
رباط حصن الوردانية	تلمسان	خالد جوادي: مشروع مخطط وقائي لأبراج المراقبة بساحل تلمسان، ص 56.
رباط برج البحر	تلمسان	عاصم محمد زرق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ص 34.
رباط برج سيدي براهيم	تلمسان	نفسه، ص 34.
رابطة التونسي	تلمسان	التشوف، ص 110.
رابطة الغار	بجاية	التشوف، ص 312، 343.

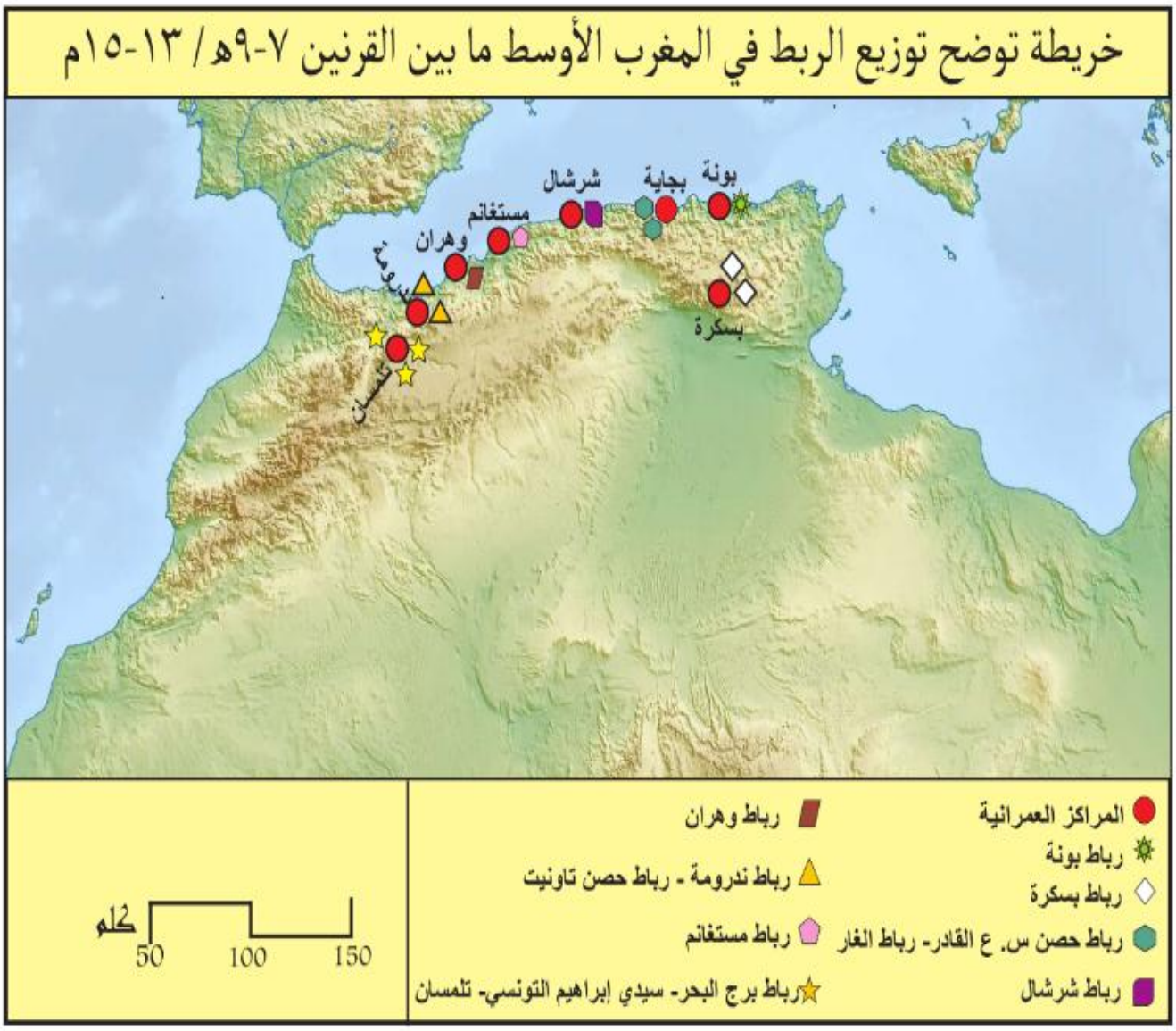
خريطة توضح توزيع الربط في المغرب الأوسط ما بين القرنين ٧-٩هـ/ ١٣-١٥م
بونة
بجاية
شرشال
مستغانم
وهران
ندرومة
بسكرة
تلمسان
المراكز العمرانية
رباط بونة
رباط بسكرة
رباط حصن س. ع القادر- رباط الغار
رباط شرشال
رباط وهران
رباط ندرومة - رباط حصن تاونيت
رباط مستغانم
رباط برج البحر- سيدي إبراهيم التونسي- تلمسان
كلم
50
100
150

الفصل الثاني: الزوايا بالمغرب الأوسط قراءة في المدلول ومسار التطور.

أ_ الزاوية.

1_ الدلالات اللغوية لمفهوم الزاوية.

2_ الدلالات الاصطلاحية.

ب_ الزوايا بين ثنائية العمران المادي والاحتضان الاجتماعي.

ج _ الزوايا في طور ظهورها على ساحة المغرب الأوسط.

1_ الزوايا في حاضرة تلمسان.

2 _الزوايا في حاضرة بجاية.

3 _ الزوايا في حاضرة قسطينة

حفلت مدونة التراجم والطبقات والمشيخات الصوفية ببلاد المغرب الأوسط، بالمعطيات التاريخية ذات الصلة بدرجات التقشف والزهد من الدنيا وأحوالها، إلاّ أن هذه المعطيات التي بحوزتنا لا ترفع سقيفة الغموض عن تجليات الذوق الصوفي في الفن المعماري خلال الفترة المدروسة، وعلى الرغم من بلوغ المجتمع المغرب أوسطي حالة من الثراء والغنى في فترات الدعة والازدهار التجاري، مما أثر على استبحار العمران الديني الذي تنعكس تمثلاته الروحية في تشييد المؤسسات الدينية كالزوايا، فالحقيقة أنّ الإشكال الذي لا يزال قائما يتعلق بتاريخ نشأة الزاوية كمؤسسة دينية بالمغرب الأوسط، ثم هل كانت لهذه الزوايا مصادر تمويل جعلتها تنتشر في الفترة المتأخرة من العصر الوسيط؟، وإذا أسهم هذا الانتشار في تواجدها بكثرة بالمنطقة فما هي أنواعها؟ وفيما تتجلى خصائصها المعمارية؟

أ_ الزاوية.

1_ المدلول اللغوي والاصطلاحي للزاوية.

1.1_لغة:

كملة الزوايا هي مأخوذة من الفعل اِنْزَوَى يَنْزَوِي، وزِي الشيء أي زَوَاهُ بمعنى قبضه معه، وأيضا زَوَى الشيء أي نَحَاهُ وَاِنْزَوَى القوم بعضهم إلى بعض أي تَدَانُوا وَتَضَامَنُوا [1]، ويقال أيضا "انْزَوَت الجِلْدَةُ في النّارِ إذا انْقَبَضَتْ واجْتَمَعَتْ"، وفي حديث ابن عمر كان له أرض زوتها أرض أخرى أي قربت منها وقيل "أحاطت بها" مما يفيد معنى الإحاطة والقرب، كما يعني التهيؤ أيضا زويت الكلام أي حبسته وأَسرَرْتُهُ في نفسي[2] ومن البناء يقصد بها ركنه لأنها جمعت بين قطرين منه وضمت ناحيتين[3] وبمعنى آخر اتخذ ركنا من أركان المسجد بقصد العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيدا عن دنيا الناس ومشاغلهم

([1])-ابن منظور : المصدر السابق، ص1894.

([2])- نفسه، ص 1894، العماري الطيب: الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي _دراسة أنثروبولوجية_مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ع15، 2014، ص 127 128.

([3])- المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص 408.

اليومية[1]، ويطلق عليها كذلك هذا الاسم في علم الهندسة عن الشكل الناتج عن مستقيمين متقاطعين في نقطة[2].

وقال السنوسي: "إن كلمة الزاوية دالة على معناها، إذا جمع الشيء، وبالتالي فالزاوية جامعة، لكونها تجمع العباد على طاعة الله ورسوله، وذكر الله تعالى، وكانت العرب تقول زاوى العرب أي تَزَاوَى القَوْمُ أيْ تَضَامَنُوا وَتَحَلَّقُوا، في نفعة لغرض ما من أغراض الحياة، وما يؤكد هذا التدليل اللغوي، أن أهل الزوايا يتحلقون ويجتمعون ذاكرين الله تعالى"[3].

هذه هي الحال أو الصفة التي أطلقت على الانسان الذي اعتزل الناس وركن في مكان قصد التعبد، وأداء وظائف أخرى فنسب إليه الانزواء، وإذا نظرنا في التصوف فإننا نجد فيه الانعزال والانزواء، وعلى ما يبدو هذا الاسم جاء بعد تشييد مشايخ الصوفية خلوات للعبادة وهي بالطبع الزاوية [4]، وبالتالي يمكن القول أنها الموضع الذي يلتزم فيه للعبادة [5].

إلا أن لفظ الزوايا اليوم يعني مراكز تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم أصول الدين الإسلامي والعلم الشرعي ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية، وهي بذلك حصون العقيدة والإيمان، ومراكز تختزن في صناديقها ورفوفها ذخائر التراث الإسلامي بآدابه وسجاياه الحميدة وملامحه التاريخية [6].

([1])- عبد العزيز شهبي: الزوايا و الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، د ت، ص13.

([2])- شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، مج4، المكتبة العصرية، بيروت، 2010، ص 1722.

([3])- عبد المنعم القاسمي: الطريقة الرحمانية الأصول والآثار، منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل للنشر والتوزيع، 2013،ص 680.

([4])- بن لباد الغالي: الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008-2009، ص29.

([5])-المسند الصحيح، تح: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص 411.

([6])-عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص13.

الملاحظ من خلال هذه التعريفات العديدة والثراء اللغوي الكبير لمعنى الزاوية والذي يحيلنا إلى معاني كثيرة كالبعد، الانعزال، الانطواء، والاعتكاف والقبض والتمكن من الشيء والتضامن، الركن وأساس البناء وكلها مفردات ذات دلالات متقاربة [1].

2.1_اصطلاحا:

إن أول تعريف يمكن تقديمه في هذا المقام هو تعريف أورده ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ/1380م) حينما قال: " أن الزوايا هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين [2]، ثم ذكر أن الزاوية هي ما يعرف في المشرق الإسلامي بالمسجد الصغير [3]، وربما يشير هنا إلى الزوايا التي أنشئت في المغرب الإسلامي لأن الزوايا التي أنشئت في المشرق يطلق عليها اسم خانقاه.

وتطلق كذلك على البناية ذات الطابع الديني الثقافي، التي تقام فيها الصلوات الخمس، فضلا عن الدروس التي كانت تلقى على الطلاب والمريدين [4]، وقد اتخذها الصوفية مكانا لإقامة حلقات الذكر [5]، الجماعي والسماع [6].

([1])-الطيب العماري: المرجع السابق، ص 128.

([2])-المسند الصحيح ، ص413.

([3])- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص681.

([4])- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 148-149.

([5])- عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر،1999، ص 133.

([6])- السماع هو أن الشيخ الصوفي يقيم في مكان من الزاوية يخدمه متطوعون وطلبة نذروا أنفسهم لخدمته ويلتفون حوله يسمعون وينهلون منه شتى فنون المعرفة، ويتلقون عنه طريقته في التصوف، انظر عبد الرحمن بن سيف الحارثي: المنهج الدعوي عند الصوفية، مجلة القلم، ع11، 2018، ص293 ، الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص223.

ومن التعريفات أيضا ما يذكر حولها أنها مدرسة دينية ودار لضيافة الغرباء ومركز لمشايخ الطرق الصوفية، مخصصة للمعرفة العلمية [1]، ويفهم من تاريخ وفاة أبي زكرياء الزواوي (ت611هـ/1214م) [2] أن مصطلح الزاوية قد ظهر في أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري إذ ذكره الغبريني في ترجمته في قوله:" ودخل زاويته دون أن يختم مجلسه بالدعاء المعهود منه، ولما حانت صلاة الجمعة وأخذ الناس في الرواح وجلس الإمام على المنبر، وأذن المؤذن، خرج على الناس من زاويته"[3].

كما أطلق عليها في الشرق اسم خَانْقَاهْ وهو لفظ أعجمي يجمع بين خانقاهات أو خوانق [4] وتعني كذلك دويرة الصوفية [5]، وقيل في تعريف زوايا المغرب الاسلامي أنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة،

([1])- تركي رابح : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2، الجزائر، 1981، ص 237. انظر القاسمي، المرجع السابق، ص 682.

([2])-هو الشيخ الفقيه الصالح العابد الولي الزاهد، منسوب إلى بني حسن من أقطار بجاية، ولد في بني عيسى من قبائل زواوة درس بقلعة بني حماد على يد الشيخ الصالح أبي عبد الله بن الخاط، وغيره ، ثم ارتحل إلى المشرق الإسلامي ، ولقي الفضلاء و الاخيار والمشايخ من الفقهاء والمتصوفة وأهل طريق الحق، ثم رجع من المشرق الإسلامي واستوطن بجاية وجلس بها لنشر العلم و بثه والدعاء إلى الله تعالى، فانتفع الخلق على يده توفي سنة 611هـ_1214م، تتبع ذلك عند الغبريني: المصدر السابق، ص 127.

([3])- عنوان الدراية، ص129.

([4])- هي كلمة فارسية تطلق على المباني التي تقام لإيواء الصوفية الذين يخلون فيها للعبادة، وقد انتشرت هذه المباني منذ القرن11م، وفي العهد العثماني سميت هذه المباني "تكايا" وخصصت لإيواء الدراويش الذين ينقطعون للنسك، وهي كلمة معربة عن الخان وهو البيت ومكان أكل الملك وقيل هو من الخنق لتضييقهم على أنفسهم، انظر محمد شفيق غربال: المصدر السابق، مج3، ص 1429، عبير عنايت سعيد: خانقاهات مصر حتى نهاية عصر المماليك البحرية (648_784هـ/ 1250_1382م)، مجلة الأستاذ، ع203، 2012، ص1456، محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط2، المطبعة الوطنية، الرباط، 1964، ص 25.

([5])- المقريزي: المواعظ والاعتبار لذكر الخطط والآثار، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، د ت، ص 415.

وهي بهذين الوصفين تشبه كثيرا الدير [1] في العصور الوسطى، وعرفت في بادئ الأمر بدار الكرامة كتلك التي بناها يعقوب المنصور الموحدي في مدينة مراكش، ثم أطلق اسم دار الضيافة على ما بناه المرينيون من الزوايا، وقد كان السلطان أبو يوسف يعقوب المريني يهدف إلى جعلها دورا لاستقبال الغرباء الوافدين من الخارج من كبار رجالات الدولة وأعيانها، كما خصص السلطان أبو عنان للمعوزين الوافدين على الزوايا طعاما يوميا فهيأ بذلك الجو حتى أضحت تستقبل المريدين فيما بعد [2] .

ولعل السبب في إنشائها من طرف خلفاء المسلمين الأوائل هو حاجة المعتكفين إلى الخلو والانزواء في العبادة فأنشأوا لهم مساكن ملحقة بالمسجد، ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس، ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين والعلوم الأخرى التي لها علاقة بها سواء النقلية والعقلية، كما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر [3].

ومن منظور تاريخي ارتبط مفهوم الزاوية في بلاد المغرب بوصفها مؤسسة دينية وصوفية متميزة، تقام غالبا باعتبارها مقرا لطائفة من المتصوفة أو موضعا يضم ضريح أحد الأولياء الصالحين الذين نالوا شهرة روحية بين الناس، وقد جرت العادة أن تشيد بجوار هذه الزوايا مقابر خاصة يدفن فيها أتباع الطريقة والمقربون من الشيخ المؤسس، كما ألحق بها في أحيان كثيرة بيوت وخلوات يستقبل فيها الضيوف والمنقطعون سواء قصدوا الزاوية لطلب العلم والتعبد بالإضافة إلى اعتزال مشاكل الحياة، وتبرز المصادر التاريخية أن مفهوم الزاوية ارتبط ارتباطا وثيقا بمعاني الانقطاع والعزلة، بما يبين هروب المتصوفة عن الأسواق ومراكز العمران الحضرية، بحثا عن صفاء الروح والهدوء ولهذا انتشرت معظم الزوايا في الأماكن النائية.

([1])- الدير جمعه أديرة وهي عبارة عن مدارس أنشأت في أوروبا في العصور الوسطى وهي مقصورة على الرهبان أو من مآلهم الرهبنة من الصبيان، وكانوا يتعلمون ويتلقون أمور الدين المسيحي ومبادئ القراءة والكتابة والحساب ويدربون على الغناء، انظر محمود سعيد عمران: حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، 1997، ص 263.

([2])- قاسم الحادك: الزوايا والطرق الصوفية في المغرب من خدمة المخزن وتكريس شرعيته إلى مسالمة المستعمر ومهادنته، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع1، 2013، ص 60.

([3])- عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المرجع السابق، ص 132.

ومن جهة أخرى تعد الزاوية مؤسسة يؤسسها عادة شيخ ذو مكانة روحية شامخة مرتفعة يُعرف بالفضيلة والإحسان والصلاح والتقوى يطلق عليه المتصوفة اسم القطب الصوفي [1]، ويمتاز بدرجة عليا في الناحية الروحية [2] ويتولى هذا الشيخ مهام الوعظ والإرشاد مما جعل الزاوية مركز نشر الاخلاق والمعرفة الدينة وتوجيه السلوك الاجتماعي.

ب_ الزوايا بين ثنائية العمران المادي والاحتضان الاجتماعي.

على ضوء ما سبق بسطه من تعريفات ذات الصلة بالزاوية، فإن الجدير بالتعاطي في هذا المقام هي مسألة النشأة التاريخية للزاوية، وأهم الظروف التي كانت سببا في ظهورها على أرض الواقع كمؤسسة دينية مستقلة، لها مميزات وخصائص تتميز بها عن غيرها من المؤسسات الدينية الأخرى، وعليه فإن أبرز المصادر التاريخية التي تحدثت عن ظهور الزاوية في المغرب الأوسط كمصنف الغبريني المعروف بعنوان الدراية، حيث ساير هذا الأخير في معرض حديثه عن التراجم المنقبية لعلماء بجاية في المائة السابعة، حيث أوردها في قوله أثناء ترجمته للصوفي الزاهد أبي زكرياء يحي الزواوي (ت 611هـ/1214م) ودخل زاويته[3] .

ويفهم من هاته الترجمة أن الزاوية في تاريخ تأسيسها يعود إلى أواخر القرن السادس للهجرة/ 12م، بحيث أنها تابعة للمسجد وليست منفصلة عنه، ومن وجهة نظر تاريخية يبدو أنها بنيت لانقطاع شيخ المسجد فيها وذلك بلا ريب للتعبد فيها بمفرده والتدبر والتأمل في مخلوقات الله تعالى والتقرب منه[4]، وبدية تطور المفاهيم الصوفية وطرق وأساليب ممارستها وتعليمها وازداد عدد أتباع الصوفية وطلابها ومنه توسع النطاق المؤسسي المادي للتصوف خارج أسوار المسجد دون التخلي عن دور المسجد وأهميته والتقليل

([1])- يطلق على القطب حسب معتقد الصوفية الامام المعصوم ويتصف بالرحمة والعصمة وهو عندهم مرآة الحق، انظر الصادق دهاس: المصطلح والمصطلحية عند الصوفية، مجلة حوليات التراث، ع12، 2012، ص69.

([2])- عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المرجع السابق، ص128.

([3])-الغبريني: المصدر السابق، ص 129.

([4])- :Farida khanam:Sufism an introduction, Goodword Books, India, 2009,p 39.

من شأنه، ومن هنا عمل بعض الشيوخ المتصوفة ببناء أماكن تحتضن الفكر الصوفي وتنشره وتعلمه للمجتمع[1] .

وانطلاقا من هذا الرأي فرضت علينا هذه الدراسة طرح التساؤلات التالية: ما هي الظرفية التاريخية التي اختطت فيها الزاوية؟ وهل كانت الزاوية مكانا لإقامة الصلوات الخمسة؟ أم أنها وظيفتها انحصرت في تلاوة القرآن الكريم والذكر؟ وبطبيعة الحال المسجد كذلك مخصص للذكر والصلاة والتلاوة، لكن من خلال ما صرح به الغبريني في ترجمته لأبي زكرياء يحي الزواوي أنه مخصص للذكر أو لتلاوة القرآن فقط، أما الصلوات الخمسة وحلقات التدريس كان يقيمها في المسجد، وفي ظل غياب الدليل التاريخي الذي يثبت إقامة الصلوات الخمس في داخل الزوايا بالمغرب الأوسط، فإن ما يمكن تأكيده هو أن الدافع الكامن خلف تأسيسها يتمثل في الوظيفة الدينية المتعلقة بالتعبد والانعزال عن جماعة المصلين في المسجد والجامع.

وعلى غرار ما قدمه هذا المصدر عن ظهور الزاوية المشار إليها آنفا، فقد صرحت كذلك بعض الدراسات المعاصرة أن الزاوية ظهرت زمن الموحدين أي عصر ما قبل المائة السابعة الهجرية، وأنها كانت مستقلة بمفردها وتعاليمها عن الدولة وهذا ما جاء على حد قول محمد الأمين بلغيث[2]، مستدلا بشاهدة تاريخية عن صاحب شذرات الذهب، أنه هناك تتواجد زاوية جد عبد الواحد المغربي(ت776هـ_ 1325م)[3]

([1])-Omer Spahic : From Mosques to Khanqahs: The Origins and Rise of Sufi Institutions, KEMANUSIAAN Vol. 21, No. 1, 2014,P2.

([2])- الربط بالمغرب الإسلامي، ص 282.

([3])- هو أحمد بن يحي بن أبي بكر بن عبد الواحد المغربي مولدا نزل القاهرة، ومولده كان في أرض المغرب سنة 725هـ بزاوية جده الصالح الزاهد أبي حجلة عبد الواحد، له العديد من المؤلفات العلمية نذكر منها ديوان شعره، غيث العارض في معارضة ابن الفارض، ديوان الصبابة، منطق الطير، مقامات سكردان السلطان، توفي سنة 776هـ 1325م، انظر ديوان ابن ابي حجلة، ص1، أحمد جمال علي: رسالة مغناطيس الدر النفيس لابن أبي حجلة التلمساني(ت776هـ_ 1325م) تمثل في أسلوبه ومراجعة في قضاياه النقدية، مجلة التعليم للدراسات التخصصية الحديثة، ع7، د ت، ص145، قهلوز عبد القادر: غبن أبي حجلة التلمساني وما بقى من مقاماته، دفاتر البحوث العلمية،ع9، 2016، ص 232.

المسماة بزاوية أبي حجلة عبد الواحد التلمساني في تلمسان[1]، وبناء على هذه الإشارة المصدرية يبدو أن الزاوية قامت قبل القرن السابع هجري 13م.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه من جديد، هل الزاوية هي تطور للرباط والرابطة من حيث الوظائف الاجتماعية والإنسانية والتربوية؟ حقيقة لا يمكن الفصل في هذا الإشكال إلى بالرجوع إلى تحديد وظائف الرباط والرابطة على وجه الخصوص حسب ما أوردناه في الفصل الفارط، والتي أنشأت في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م، واستمر نشاطها العسكري والاجتماعي والثقافي إلى غاية النصف الأول من القرن 7هـ/ 13م، ثم اختفت وسكتت المصادر عن ذكرها، فمما لا شك فيه أنه بعد اختفاء هاتين المؤسستين استلمت الزاوية وظائفهما، ولعل هذا أبرز دليل على أن زاوية المغرب الأوسط هي الرابطة في بداية نشأتها وتطورها، ويزكي هذا الرأي جملة من الرباطات التي كانت تقوم بنفس وظيفة الزاوية، أبرزها رابطة عبد السلام التونسي في مدينة تلمسان، التي تأسست أواخر القرن 6هـ/12م، وكانت مقصدا للتبرك[2].

وينطبق المثال كذلك على رابطة ابن الزيات في بجاية، إذ كان طلبة أبي مدين شعيب يؤدون فيها أورادهم[3] وكل هذه الأدوار ستكون من مهام الزاوية فيما بعد، وفي السياق ذاته هناك مسلمات تاريخية أخرى توحي بتطور الرابطة إلى زاوية في الوظائف على حساب التسلسل الزمني، حيث يشير الباحث الطاهر بونابي إلى أن الرابطة في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م لم تقم بدور إعالة الطلبة المقيمين فيها، لكن في غضون النصف الأول من القرن 7هـ/13م أصبحت إلى جانب وظائفها السابقة تقوم بإعالة الطلبة المقيمين فيها ويظهر هذا واضحا في رابطة ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الله المشهور باسمه الثاني ابن يبكى التي كان لها أوقافا ينفق منها على الطلبة والمريدين[4].

([1])- محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص282.

([2])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص111.

([3])- نفسه، ص 330 .

([4])-الغبريني: المصدر السابق، ص213، محمد محمدي: المرجع السابق، ص118، الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ص 347 .

وتبعا لذلك نجد رابطة علي بن أبي نصر فتح الله البجائي (ت 652هـ/1263م) التي جمعت بين التعليم والإقامة وكل هاته الوظائف سوف تحملها الزاوية على عاتقها [1]، لكن لا يفوتنا أن ننوه بأن طلبة أبو مدين شعيب ومريديه الذي درسوا عنده في بجاية، نقلوا هذه الوظائف التي تقوم بها الزاوية إلى أوطانهم، وبالتالي كانت الرابطة مركزا للعبادة، فهذا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري من كبار تلامذة أبي مدين شعيب[2]، ينسب إليه قوله: "كنت ليلا ببجاية برابطة ابن الزيات مع أبي علي منصور المليانى من تلامذة الشيخ في ليلة مقمرة وقد قام كل واحد منا إلى أوراده بالليل [3].

ومن أشهر الرابطات الأخرى التي خصصها أصحابها للتعبد والانقطاع والعزلة عن المجتمع، رابطة أبي الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله (ت 652هـ/1255م) كانت بخارج باب أمسيون حيث كان شيخها في آخر عمره منقطعا عن الناس فيها [4]، ولذلك فالرابطة هي الأب الشرعي لمؤسسة الزاوية وهي نتاج لعملية تلقيح أو تأثير مصدره المشرق الإسلامي [5].

وعلاوة على ذلك فإن الفرق الجوهري بين الرابطة والزاوية، هو أن الرابطة تزول بزوال صاحبها ولم تورث للمرابطين الذين يرابطون فيها مع عملية حراسة الحدود وترهيب العدو، بالإضافة إلى أنّ الرابطة لها دور إضافي مستقل عن الزاوية، وهو بالطبع الجهاد في سبيل الله وحماية المسلمين والأراضي الإسلامية من العدو، ولعل هذا هو الأساس الذي قام عليه الرباط والرابطة، ولذلك فإن هذه الأخيرة كانت تجمع بين الدورين العسكري والديني، فهي عبارة عن ثكنة عسكرية ومؤسسة دينية في نفس الوقت، أما الزاوية ليس من أدوراها المشاركة في الحروب سواء الداخلية أو الخارجية، ولكن يتجلى دورها الأساس بعد التعبد والذكر في إطفاء نار الفتن التي طالما ينجم عنها حروب داخلية محلية بين المجتمعات القبلية، فدور شيوخ الزوايا

([1])-الغبريني: المصدر السابق، ص 176.

([2])-نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص 94.

([3])-ابن قنفد: أنس الفقير، ص 37.

([4])-الغبريني : المصدر السابق، ص 142.

([5])-الولاية والمجتمع، ص 95.

هنا يكون بتقديم جلسات علمية إصلاحية للأطراف المتنازعة يوضح فيها عواقب الفتن ناهيك عن ذلك فهي تقوم بدور التحريض ضد العدو الخارجي وشرح طرق الجهاد في سبيل الله.

الجدير بالذكر أن المرابط الذي هو بالطبع مسؤول عن خدمة الرباط وتنظيم جنده فضلا عن التدريس والتوجيه، كما له الحق في المشاركة في المعارك ضد الأعداء، أما شيخ الزاوية يلتزم فقط بالوعظ والارشاد والتحريض ضد العنصر الظالم دون المشاركة في الحروب، ومن خلال ما أوردناه آنفا من معارف وفروقات بين الرباط الرابطة والزاوية التي تدخل في نطاق نشأتها وجب علينا طرح التساؤل التالي، لماذا الرابطة اندثرت وتلاشت ولم تورث مقارنة مع الزاوية التي ورثت مشيختها وبقت لقرون طويلة؟

هذه الإشكالية حاول الباحث الطاهر بونابي الإجابة عليها، مؤكدا أن الرابطة لم تكن مؤيدة سياسيا ومدعمة ماديا من طرف السلطة الحاكمة التي تعاقبت على حكم المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط على الوجه الأخص خلال القرنين 4-5هـ، 10-11م، وهي بذلك لم تتفق مع زوايا المشرق – الخوانق–في هذا الجانب حول تبعية زوايا مصر للخلافة الفاطمية [1]، وقد يفهم من خلال هذه الرؤية التاريخية أن الجهاد كانت تطوعي وليس رسمي من طرف السلطة السياسية ولهذا تلاشت الرابطة.

وفي مقابل ذلك لعبت السلطة السياسية لعبت دورا كبيرا في نشأة الزاوية من خلال دعمها ماديا ومعنويا، وهذا ربما يعود إلى مصلحتها في كسب الرعية باعتبار الزاوية مؤسسة إصلاحية تربوية للمجتمع، فضلا عن تهدئتها للفئات المعارضة وترويض الجماعات المناوئة للحكم خصوصا المجتمعات التي تعرضت للعنف السياسي والتمييز العنصري التي دائما تخطط للإطاحة بالأسر الحاكمة وبجميع هياكلها وبمن يكره سياستها.

فضلا عن ذلك، فإن شيخ الزاوية كان مقدسا عند المجتمع ومكانته عالية، لأنه أصبح الملجأ الوحيد لحل مشاكل المجتمع، وهو ما سنقوم بذكره انطلاقا من الإشارات التاريخية التي تثبت دعم السلطة للزاوية من أجل إبراز نشأتها وظروف تأسيسها لكن دون التفصيل في ذلك لأننا سوف نفصل فيها في المحور القادم.

([1])- عصر المتصوفة، ص 347.

وفي ذات السياق نجد السلطان الزياني يغمراسن أسس زاوية سنة 881هـ/1282م، لشيخ المتصوفة أبي الحسن الحرالي (ت637هـ_1239م) وكان يقوم بتمويلها ويسهر على خدمة المريدين والمقيمين فيها [1]، وهذا يوحي لمدى تقديسهم للأولياء الصالحين [2].

كما نجد زاوية أبي الفضل قاسم بن محمد القرطبي (ت662هـ-1263م) [3] التي أسسها على ما يبدو سلاطين الدولة الحفصية في النصف الثاني من القرن 7هـ/13م في بجاية، لأنها كانت مقصدهم ويتبين من قول الغبريني أنها كانت عامرة بالطلبة والمريدين المعتكفين فيها للصلاة والعبادة [4].

وفي نفس الصدد ذكر ابن قنفد القسنطيني أن المتصوف أبو هادي مصباح الصنهاجي(ت 748هـ/1246م) [5]،كان يقبل عطاءات الأمراء وجوائز العمال ويطلب ذلك ويوزعها على المحتاجين من تلامذته، وقد استطاع بناء زاويته ببلاد إفريقية ويبدو أنه كان ينفق عليها من هبات السلاطين التي

([1])- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ج4، ص 348.

([2])- شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقية الشمالية، تر محمد مزالي، ج2، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1969،ص210 .

([3])- أبو الفضل قاسم بن محمد القرطبي هو الفقيه المنقطع الصالح الزاهد الورع ، مولده بقرطبة وبها نشأ حبب إليه العمل الصالح وبغضت له الدنيا خرج مهاجرا من بلاده طالبا للعلم ومقبلا على العبادة أخذ العلم عن الشيخ أبي أحمد الذي كان من أولياء الله المتقين، ظهرت عليه البركات وفاضت عليه ينابيع الخيرات استقر ببجاية وأسس زاويته هناك، وتوفي سنة 622 هجرية، انظر الغبريني: المصدر السابق، ص 174.

([4])- نفسه، ص174.

([5])- مصباح بن سعيد الصنهاجي أو هادي هو فقيه مالكي من الزهاد الصلحاء مشارك في بعض العلوم أخذ عن ناصر الدين المشدالي وجماعة، وكان للناس احتفال في مجلسه وانكباب في الأخذ عنه مات بقسنطينة، انظر عادل نويهض: المرجع السابق، ص 198.

كانت تصله، إضافة إلى الزاوية التي بناها أبي يعقوب العشاشي[1] بولاية الشلف حاليا[2] بعد أن زارها ولي الله سيدي واضح بن عاصم المكناسي(ت680هـ_1282م)[3]، وفي أواخر القرن 7هـ/13م، قام السلطان الزياني أبو سعيد عثمان (681- 703هـ/ 1282-1305م) بتشييد زاوية ابن أبي الحسن أبركان(ت857هـ_1453م) [4] وكان يمولها ويقوم بخدمة المقيمين عليها[5].

ومن أسباب دعمها وتأسيسها أنهم كانوا يلجؤون إليها زمن المشاكل والصراعات السياسية، وبذلك فإن الزاوية قد غطت العديد من الثغرات والفجوات السياسية فزادت للسلطان سلطة وللدولة عمرا.

وتماشيا مع ما تم ذكره وما ينبغي الإشارة إليه إلى أن الحياة الصوفية التي كانت تعيشها بلاد المغرب الأوسط على وجه التحديد ما بين القرنين 6 - 7هـ/ 12- 13م قد ساهمت بشكل كبير في نشأة الزاوية، خاصة بعد دخول التصوف إلى بلاد المغرب الإسلامي وانتشاره بشكل كبير في كافة أقطاره على

([1])- الشيخ أبو يعقوب العشاشي هو أحد صلحاء الشلف صاحب كتاب المهذب الرائق كان حيا في آخر المائة السابعة وزاويته متواجد بالشلف انظر الزياني، دليل الحيران وأنس السهران في أخبار مدينة وهران، ط1، تح: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013، ص83.

([2])- الزياني : المصدر السابق، ص 83

([3])-هو الولي الصالح الشيخ أبو البيان واضح بن عاصم المكناسي من متصوفة أواسط القرن 7هـ/13م بمنطقة الشلف، اشتغل خماسا عند أحد شيوخ المنطقة الصالحين وكان صاحب كرامات مأثورة ومقامات و أحوال مشهورة، كبير القدر عند المتصوفة معروفا بالزهد مقصودا بالزيارة من جميع الأقطار، وقد بلغت شهرته مشارق العالم الإسلامي ومغاربه، ذكره موسى المغيلي في ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار أو مناقب الشلفيين لعب أدوارا في عهد يغمراسن بن زيان وبني توجين، ضريحه بمعهد قرب وادي أرهيو، توفي سنة 681هـ_1282م انظر الزياني، المصدر السابق، ص83، نوال بلمداني: سيدي واضح على ضوء نصوص مناقب صلحاء الشلف للمازوني موسى بن عيسى، مجلة عصور الجديدة، مج13، ع2، 2023، ص120.

([4])- صاحب الكرامات سيدي أحمد بن عيسى يعرف بأبركان من جبل بني ورنيد كان عالما يدرس علم الظاهر وعلم الباطن، يقرئ رسالة ابن أبي زيد ومختصر ابن الحاجب الفرعي وعقائد الشيخ السنوسي وألفية ابن مالك وحكم ابن عطاء الله في التصوف، توفي سنة 857هـ_1453م، انظر ابن مريم: المصدر السابق، ص 24.

([5])- الطاهر بونابي: الحركة الصوفية في الجزائر، ج1، ص 235.

يد الشيخ الصوفي أبي مدين شعيب، الذي جلبه معه بعد عودته من المشرق الإسلامي، بالإضافة إلى ظاهرة التبرك وطلب الاستشفاء من الشيخ سواء حيا أو ميتا، وهذه المرحلة يمكن أن نسميها بمرحلة تقديس الزاوية[1]، لكونها أثرت تأثيرا كبيرا على ذهنية وعقيدة مجتمع المغرب الأوسط، وأصحاب الزوايا حسب معتقدات المجتمع جرت على أيديهم الكرامات وذاعت ولايتهم وانتشرت حتى في الأماكن النائية، فيأتي المريدون لزيارتهم والتبرك بهم والتماس الدعاء منهم واذا توفوا دفنوا في زواياهم، ومن الملاحظ أنه عند وفاة شيخ الزاوية يدفن فيها أو بالقرب منها وتحول إدارتها إلى أحد مريديه أو أبنائه أو أقاربه للاشراف عليها [2].

وبناء على ما تم ذكره أشار صاحب الأنس في سياق حديثه عن زاوية يعقوب بن عمران البويوسفي (ت717هـ/1317م) [3]بعد وفاته أصبح ابنه يوسف بن يعقوب بن عمران من يقوم بإدارة شؤونها[4]، كما تعد ظاهرة الانقطاع للعبادة من أبرز الظروف والدوافع هي الأخرى التي أسهمت في تأسيس مؤسسة الزاوية خلال المائة السابعة ببجاية/13م، ولهذا ربما قرر المنقطعون بناء مراكز يكثر فيها الهدوء وتكون

([1])- الطاهر بونابي، عصر المتصوفة، ج1، 349.

([2])-ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987ص 390.

([3])- يعدمن كبار أعلام التصوف في المغرب الأوسط، وقد عرف بتفوقه العلمي وزهده تتلمذ على يد الشيخ مسعود بن عريف أحد أصحاب القطب الصوفي أبي مدين شعيب، وتأثر بطريقته الصوفية، ثم رجع إلى قسنطينة وأسس زاويته الملارية، ونشر بها التصوف متبعا منهج أبي مدين شعيب الصوفي، حتى غدت هذه الزاوية وشيخها قوة روحية ذات أثر واسع في حاضرة قسنطينة والمغرب الأدنى، وصارت مقصدا للمريدين وملاذا يلجؤون إليه في أوقات الشدائد يلوذون بدعاء شيخها وبركته توفي سنة 717هـ_ 1317م، انظر ابن قنفد: انس الفقير، ص 43، عبد العزيز فيلالي: الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة، أفكار وآفاق ، ع3، 2012، ص 9.

([4])-ابن قنفد، انس الفقير، ص 43.

بعيدة عن الفوضى الاجتماعية والسياسية، فنجد أبا زكرياء المرجاني الموصلي (ت 690هـ/1291م)[1] يجتمع في مسجده المعروف حاليا بحومة اللؤلؤة أو مسجد المرجاني الأفاضل والصلحاء والمتعبدون وكانوا يسمعون منه الغرائب ويطلعون من أحواله على العجائب، وكل ذلك مقيد بالكتاب والسنة على منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم[2].

ومثال آخر ينطبق على الشيخ أبو النجم هلال بن يونس(عاش في القرن 7هـ/13م) [3] الذي كان ملازما للجامع الأعظم ليله ونهاره للعبادة والدراسة والقراءة، أما داره فقد كان لا يأتيها إلا أوقات الغداء والعشاء[4]، إضافة إلى الشيخ أبو تمام الواعظ الوهراني (عاش في القرن 7هـ/13م) [5] الذي كان منقطعا للعبادة في الجامع الأعظم ببجاية[6]، والزاهد أبو مروان عبد المالك الداكالي (عاش في القرن8هـ/ 14م)، فقد كان لا يخرج من الجامع ولا موضع له يعرف به غيره[7]، ويبدو أن الانقطاع التعبدي والنشاط التربوي الصوفي للنفس الذي كان يقام في المساجد من طرف الزهاد والصوفية كانت من العوامل المهمة في ظهور مؤسسة الزاوية المستقلة عن الجامع.

ج ـ الزوايا في طور ظهورها على ساحة المغرب الأوسط.

([1])-أبي زكرياء المرجاني الموصلي هو الشيخ الفقيه الصالح العابد الزاهد الورع أحد الأتقياء الأبرار كان مسجده مشهورا بحومة اللؤلؤة، وكانوا يستمعون منه المواعظ من خلال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، انظر الغبريني، المصدر السابق، ص 178، محمد محمدي: المرجع السابق، ص108.

([2])- انظر الغبريني: المصدر السابق، ص 178.

([3])- الشيخ الفقيه الجليل العابد المتقي الولي المبارك، أبو النجم هلال بن يونس بن علي الغبريني من أصحاب الشيخ الفقيه أبي زكرياء الزواوي كان من أهل الجد والاجتهاد، انظر، الغبريني: المصدر السابق، ص 185.

([4])- محمد محمدي: المرجع السابق، ص 108، نللي سلامة العامري : المرجع السابق، ص 90.

([5])- الشيخ أبو تمام الواعظ الوهراني من علماء القرن السابع هجري 13م، انتقل إلى بجاية ودرس بها وبرز في الفقه والحديث وعلوم الشريعة، انظر إسماعيل بن يوب وآخرون: وهران المقام، ط1، المركز الديموقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، برلين، 2022، ص52.

([6])- نفسه، ص 52، نللي سلامة العامري : المرجع السابق، ص 90.

([7])- نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص 90.

إن الزوايا في بلاد المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة المحصورة ما بين القرنين (7-9هـ/13-15م)، هي في الواقع جاءت على شكلين مختلفين، الشكل الأول يمكن أن نطلق عليه بالزاوية الصوفية وهي التي تأسست لغرض أساسي وهو نشر التصوف خاصة بعدما تغلغل في أوساط مجتمع المغرب الأوسط بمختلف شرائحه، وفي هذا الصنف يكون الشيخ[1] هو الفاعل الرئيسي في إنشائها وتسيير شؤونها من جهة، ومن جهة أخرى يتحدد كذلك دور شيخ الزاوية في الإشراف على إقامة المريدين[2] مع إخضاعهم لنظام معين

([1])- الشيخ له مكانة مرموقة داخل الزاوية له خدام يخدمونه و يخدمون زاويته، كما يكلفون بخدمة الضيف وقاصد الزاوية من مكان بعيد وعابر السبيل والفقراء الذين يبحثون عن الطعام والشراب، فعلى سبيل المثال نجد زوجة الشيخ أبي زكرياء يحي الزواوي هي التي كانت تخدم زاويته، ومن مظاهر مكانته ترك مكانه خاليا وهذا من عظمة تقديس المريدين والخدام له حيث يذكر المستغانمي إذا كان المريدون مع شيخهم في غير زاويتهم ثم فارقهم الشيخ فالواجب عليهم أن يتركوا موضعه خاليا كما تقدم، انظر الغبريني: المصدر السابق، ص 128 ،129 المستغانمي: الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية، تح: إبراهيم الكيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ص 78، فتحة محمد: النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6إلى 9هـ/ 12-15م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1999، ص206، عبد الله مصطفى نومسوك، البوذية تاريخها و عقائدها وعلاقة الصوفية بها، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1999، ص 487 489، نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص 153، 199.

([2])- قد جاء في كتب التصوف أن المريد هو الموظف والمسير للزاوية، تنسب وتوكل له جملة من الأعمال والوظائف من طرف الشيخ، فقد يتجرد عن إدارته ويترك ملذات الدنيا وشهواتها ويختار طريق الله تعالى وينقطع لعبادته، وله جملة من الصفات يتميز بها عن غيره حسب ما أورده ابن الحاج" ومن آداب المريد النظر إلى ما هو دونه في الرزق و إلى من هو فوقه في العمل للآخرة ولا ينافس أهل الكبر و الفخر والرياء والتكاثر ولا يأخذه ما أخذه لنفسه، وما أخذه فإنها نية القوة على دينه وإقامة فرائضه والاستغناء من غيره ويدع جميع ما كان للناس من ذلك، ومن آدابه مع شيخه، أن لا يكون له بقلبه اعتراض عليه، والاعتراض على الشيخ والتطاول عليه عمل قبيح ولا يحصل ذلك إلا في النادر وأن يكون مخلصا في عمله ويتخلص من عيوب أفعاله، ولا بد أن يطيع شيخه حتى لو كان منغمسا في المحرمات ولا يخالفه ولا يرتد عليه ويكون مؤدبا معه ويخاطبه بما فيه وقار و تعظيم وتبجيل، كما يفرض على المريدين عموما الخلوة والانفراد عن الناس حتى لا تميل نفسه إلى الراحة وهذا ما يجعله يسلم من مضرة الاجتماع بهم، وينبغي عليه أن يقرأ كتب مشايخه

في التربية الصوفية، وإلزامهم بالسير وفقا للمناهج الفقهية والعلمية التي يضعها لهم، ويفرض الشيخ عليهم معالم الطريقة ومسالكها من أذكار وأوراد وعهد ولباس خرقة[1]، كما تركز على تحفيظ القرآن الكريم وتقوم بوظيفة الإفتاء والتدريس، وما يميزها عن الشكل الثاني أنها لم تحتك بالسلطة السياسية[2]، فهي ذات الطابع الشخصاني لعلاقتها العضوية بمؤسسها بطريقته الصوفية الخاصة بشخصيته الفريدة بأوراده أو أذكاره التي ينفرد بها عن غيره في أسلوبه الخاص الذي يتمظهر في تربية مريديه أو إدارة شؤون زاويته، بكرامته وعلاقته بجهود معتقديه وذلك حتى بعد وفاته و تقَدُم غيره للقيام برسم زاويته التي تبقى تعرف باسمه فتعددت الزوايا واختلفت بتعدد واختلاف الشيوخ[3]، ومن خصائصها أننا نجدها تتألف من خوانق أو بيوتات لإقامة المريدين والطلبة وقاعة مخصصة للذكر والصلاة وبيوت لتخزين الطعام ومطابخ لتحضيره، وهي التي توافرت لدينا حولها أكبر المعلومات التاريخية.

أما الشكل الثاني وهو الزاوية المدعمة من طرف السلطة ظهرت خلال القرنين 8 و9 الهجريين وقد أطلق عليها عدة تسميات كالزاوية الدولة أو الزاوية الرسمية والتي انتشرت في المناطق الجبلية والساحلية التي يمكن القول عنها أنها كانت مراكز ارتباط وتعليم، كما كانت السلطة هي المحرك الأساسي في تأسيسها وتشييدها وإقطاع الأراضي والأوقاف لها ويسميها البعض بزوايا الدول [4]، من أجل ضمان سيرها فضلا عما فرضته عليها من أطر تعليمية دينية واجتماعية.

1_ زوايا حاضرة تلمسان:

لكي يعرف طريقهم الصوفي، انظر ابن الحاج: المدخل، ج3، ط1، المطبعة المصرية بالأزهر، 1929، ص 50، ص 131، القشيري، المصدر السابق، ص 574، الماجري: المصدر السابق، ص 72، ص171، ص 65، عبد اللطيف الشاذلي: المرجع السابق، ص141

([1])- عبد الله مصطفى نومسوك: المرجع السابق، ص487-489.

([2])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 617.

([3])- نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص 213.

([4])- هشام جعيط: أزمة الثقافة الإسلامية، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2000، ص 176.

بالنسبة للزاوية الصوفية التي تأسست في تلمسان، فقد نحاول عرض ما تميزت به هذه الزاوية على غرار زوايا الصنف الثاني، لنكشف مدى الاختلافات والتطورات التي كانت بينهما على مستوى التأسيس والمعلم والوظائف والتنظيم والموارد، فقد نجد زاوية الشيخ أبي عبد الله في تلمسان[1] لم تذكر المصادر عنها شيئا من ناحية العمران، لكن ذكرت طريقة شيخها في عملية التدريس والذي كان يفرض على المريدين وعلى كل من يدخل زاويته أن يتقيد بأخلاق السلف الصالح وأن يلتزم بالسنة النبوية في سلوكه ومأكله وملبسه، ومنه يفهم أن طريقته الصوفية قائمة على الكتاب والسنة[2].

ومن خلال ما سبق يفهم من المشيخة الصوفية أنهم كانوا شديدي التركيز والحرص على النمط التربوي مع المريدين والمقبلين على الانخراط في الزوايا، فالشيخ هنا في الزاوية جد ضروري لا وجود لزاوية دون شيخ يتحكم فيها ويسهر على تسييرها، ويصدر الأوامر للمريدين ويعمل على وحدتهم وتكتلهم، وإليه تعود ضبط سلوكياتهم، ويحدد آدابهم وأخلاقهم فضلا عن دوره التعليمي المعتمد على طريقة التلقين في التدريس[3]، فضرورة الشيخ دينية من جهة أولى وتربوية من جهة ثانية، وبالتالي فالزوايا بشتى أنواعها وبما تحتويه من خدم ومريدين كانت خاضعة لإدارة الشيخ الذي يعد المؤسس والمرشد الأول لها، وبفضله استطاعت الزاوية أن تكسب ثقة الرعية[4]، وكل شيخ زاوية له منهج خاص في التسيير الإداري والتربوي[5]،

([1])- عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج1،ص141.

([2])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج1،ص 349.

([3])- نور الدين الزاهي: بركة السلطان، دفاتر وجهة، د ط، د ت، ص122.

([4])-الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989،ص405.

([5])-أحمد زروق: عدة المريد الصادق، تح: الصادق بن عبد الرحمن العرياني، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2006، ص151.

كدعوة الناس إلى اتباع الحق وعبادة الله عز وجل[1] و الدعوة إلى السلم و نشر الأمن والاستقرار زمن الحروب والمحن [2].

وقد جاء في كتب التصوف أنه ينبغي على كل شيخ زاوية أن يعتبر حال المريد من خلال ما تتوفر فيه من شروط وآداب، حتى يجب أن يكون مدركا للحقيقة أي يستطيع قراءة وتربية المريد ويطلق عليها الصوفية إفحاص صدق الخاطر، والمريد لا يعرف التمييز بين الخاطر والصالح إلا بيد الشيخ أو بمرشد ناصح[3]، حيث يقرأ فيه نور الإيمان و قوة العلم والمعرفة لأن هناك مريد يصلح للتعبد المحض وأعمال القوالب وهناك من المريدين من يكون مستعدا صالحا للقرب وسلوك طريق المقربين بمعاملة القلوب والمعاملات السنية[4] فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له، وهذا حسب اعتقاده أنهم يقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم حينما كان يكلم الناس على قدر عقولهم ويأمر كل شخص بما يصلح ويعرف أوضاع الناس وما يصلح لكل واحد [5] كما يجب أن تكون له خلوة خاصة[6] ربما لتكون له مكانة عالية عند أتباعه من مريدين وخدم وتلاميذ، بالإضافة إلى ترويض وتهذيب نفسه حتى يذهب عنه الحقد والحسد، كما أن للخلوة نتائج خمسة الواقعات والمشاهدات والمكاشفات والتجليات

([1])- مثلا منهج الشيخ الصوفي أبي مدين شعيب يقوم على ثنائية الظاهر والباطن والسلوك والوجدان ويجمع بين الشريعة والحقيقة وقد استقاه من إمام الطريقة الصوفية الشيخ عبد القادر الجيلاني، انظر بلعيد رجاء، مصطفى أوشطار: التصوف الإسلامي عند الشيخ أبي مدين شعيب _مكانة ومنهجا_، مجلة اللغة العربية، مج24، ع3، 2022، ص199.

([2])-محمد ضريف: مؤسسة الزاوية بالمغرب،ط1، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، المغرب، 1992،ص75.

([3])-عبد القادر الجيلاني: الطريق إلى الله، ط2، تح: محمد غسان ، دار السنابل، سورية، 1994، ص 53.

([4])-شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف،مج2، ط1، تح: أحمد عبد الرحيم السايح و توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص459.

([5])- شهاب الدين السهروردي: المرجع السابق، ص459.

([6])-نفسه، ص459.

والوصول[1]، ومن الصفات التي يجيب على الشيخ التحلي بها متابعة مجاهدات مريديه وأعمالهم اليومية[2] لكي يميز بين الحريص المجتهد وغير المجتهد ثم يزكيهم وأن يكون صادقا أمينا عادلا عند الله تعالى، ويجب عليه أن يبذل قصارى جهده في الصدق وآداء حق الله تعالى [3] .

ويبدو أن شيوخ الزوايا كانت كلمتهم مسموعة عند الرعية أثناء خروجهم للنصح والإرشاد والصلح بين المتخاصمين، ولهذا فقد نلاحظ أنه خلال القرن 8هـ/14م، بداية تدخل السلطة السياسية سواء الزيانية أو الحفصية في شؤون الزاوية الصوفية ومشيختها من ناحية دعمها أو تشييدها، وذلك من أجل احتوائها وكسب مريديها ومتعاطفيها من المجتمع، وما يؤكد ذلك أننا وجدنا في إحدى المسائل الفقيهة المذكورة في المعيار المعرب عن حكم ما يعطيه الملوك للزوايا وأبناء الصالحين من أجل التبرك ونيل الرضى فضلا عن عمارتها والقيام بمقاصدها وبالتالي فإن هذه الهبات السلطانية عدت أحد المواد الداعمة لاستمرارية وظائف الزاوية بالمغرب الأوسط[4]، وبالتالي نجد زاوية [5] سيدي الحلوي (ت 737هـ/1339م) [6] بتلمسان التي شيدت سنة 754هـ 1353م من طرف السلطان المريني أبو عنان

([1])-عبد القادر الجيلاني: المصدر السابق، ص 59.

([2])-السهروردي: المصدر السابق، ص459.

([3])-الترميذي: آداب المريدين، تح: عبد الفتاح عبد الله بركة، مطبعة السعادة، القاهرة، د ت، ص 13.

([4])-الونشريسي : المصدر السابق،ج6، ص 171.

([5])- انظر وصفها المعماري فوزية سعاد بوجلابة، فايزة براهيمي: السمات المعمارية والملامح الفنية للعمارة الفنية بتلمسان-دراسة أثرية_، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والانسانية، مج 16، ع2، 2022، ص482.

([6])- هو الشيخ الصوفي أبو عبد الله الشوذي الحلوي الاشبيلي، من كبار العلماء العباد العرفين بالله انتقل إلى تلمسان مدرسا بها ودرس عنده المفسر النحوي ذو النون شرف الدين المرسي، وعرف بعدة كرامات توفي مقتولا سنة 737هـ/ 1339م، انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ط1، تح: صالح السمر، مؤسسة الرسالة، 1983، ص315، عبد الحق شرف، من أعلام التواصل الروحي بين الاندلس وتلمسان الشيخ أبي مدين شعيب الاشبيلي والشيخ الشوذي الحلوي، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج2، ع1، 2019، ص89 وبعدها.

فارس (747هـ/1347م) [1] وكانت مركز المنقطعين وملتقى الصالحين [2]، كما نالت زاوية أبي عبد الله محمد التميمي (ت 756هـ/1355م) [3]، المتواجدة بطريق العباد في تلمسان، دعما من طرف السلطة الزيانية من أجل مواصلة عملها، كما حظي أولاد شيخها بالدعم لأنهم عرفوا بالصلاح والخير [4].

أما زاوية إبراهيم التازي (ت 866هـ/1461م) [5] التي تعتبر مجمعا عمرانا دينيا كبيرا جدا متواجد بوهران جمعت بين العمارة المشرقية والعمارة المغربية فأصبحت فريدة من نوعها، فقد كانت هذه الزاوية مكونة من عدة مداخل ومجموعة من المرافق الدينية، العلمية والاجتماعية بها مسجد للصلاة ومكتبة مزودة

([1])- مريم سكاكو: سلاطين بني مرين في مدينة تلمسان تشييد العمائر واستقطاب العلماء .. أية علاقة؟، كان التاريخية، ع28، 2015، ص101.

([2])-ابن مريم، المصدر السابق، ص 25 ، نور الدين حاجي: دراسة ابستيمولوجية لمخطوطات تلمسان منذ القرن العاشر هجري إلى يومنا هذا، مجلة الحوار الثقافي، مج7، ع2، 2019، ص118.

([3])- هو الصوفي محمد بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي كانت له همة عظيمة وعلم وشأن كبير تحجب للسلطان أبي عنان وتوفي ببجاية أميرا عليها سنة 756هـ، وسيقت جنازته إلى تلمسان فدفن فيها بزاويته الكائنة بطريق العباد، انظر ابن مريم: المصدر السابق، ص 228.

([4])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج4، 617.

([5])-هو الشيخ الصوفي إبراهيم التازي الزاهد الولي الصالح ولد بمدينة تازة بالمغرب الأقصى، درس القرآن الكريم عند الشيخ أبي زكرياء يحي الوازعي الذي اعتنى به كثيرا، انتقل إلى تلمسان وتتلمذ عند الشيخ محمد بن مرزوق الحفيد الذي أجازه، ثم انتقل إلى وهران وتعرف على الشيخ محمد بن عمر الهواري ووثق صلاته به ومنها رحل إلى تونس وتتلمذ على يد الشيخ أبي القاسم عبد العزيز العبدوسي ثم شد رحاله إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ليدرس عند الشيخ القاضي تقي الدين علم الحديث، وأجازه عام 830هـ، اشتهر بنظم الشعر في الزهد والتصوف، وكان له كناش كبير من الأشعار متداول في الحجاز، ولبس الخرقة الصوفية عند الشيخين شرف الدين المغراوي وصالح بن محمد الزواوي ثم عاد إلى تلمسان وتصدى للتدريس ومن تلامذته أحمد زروق توفي سنة 866هـ/ 1461، وكان مدفونا قرب ضريح شيخه الهواري انظر، ابن صعد التلمساني : روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تح يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009، ص21.

بالكتب المتنوعة الفكر سواء عقلية أو نقلية وغرفة الخلوة[1] الخاصة بالشيخ المسؤول عن تسييرها لانقطاعه في العبادة ومدرسة مكونة من عدة أقسام مخصصة للتلقين والتدريس[2]، ويتبين لنا من خلال هذا الوصف العمراني مدى تطور الزاوية من ناحية هياكلها وخدماتها الاجتماعية والثقافية، وقد خصّص شيخها قاعة للذكر الجماعي الذي يتماشى مع الطريقة التازية[3] ولاستقبال الزوار فيها، الذين يتوافدون عليها من أنحاء المغرب الأوسط وخارجه، أما مرافق الإيواء المخصصة للزوار وأبناء السبيل، فقد جهزها بالميضات الأنيقة[4] والحمامات، في حين خصص للشرفاء من آل البيت حجرة خاصة بهم وجهزها بما يستوجب حق الضيافة[5]، والخزائن المملوءة بالكتب العلمية وآلات الجهاد والسطح المظلل بعرش من شجر الياسمين العنبري الرائحة التي لا نظير لها ولا مثال[6].

كان الشيخ التازي يمول زاويته [7] بما يأتيه من نفقات وهدايا وكميات كثيرة من الطعام من حاكم مدينة وهران أو من أعيانها وغيرهم كما اعتمد شيخها في تنفيذ مشاريع زاويته على ما كان يقترضه من أموال كثيرة من التجار وأصحاب المال [8]، فضلا عن أهل وهران الذين ساهموا في تزويدها بالطعام [9]، وكان

([1])- الخلوة تعني العزلة والانفراد، انظر Hassan Abu Hanieh : sutism and sufi orders :gods spiritual paths adaptation and renewal in the context of modernization,friedrich- ebert- stiftung ,amman office,2011, p159.

([2])- ابن صعد: المصدر السابق، ص 149.

([3])- محمد سعداني: الشيخ إبراهيم التازي وزاويته بمدينة وهران خلال القرن التاسع هجري /15م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج7، ع4، 2022، ص 757.

([4])- ابن صعد: المصدر السابق، ص 149.

([5])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة،ج4، ص 616.

([6])-ابن صعد: المصدر السابق، ص149.

([7])-عبد الرحمن عبان، العيد جلولي: إبراهيم بن محمد التازي ت866هـ نزيل وهران حياته وآثاره الشعرية، مجلة الأثر، ع25، 2016، ص1.

([8])- محمد سعداني: المرجع السابق، ص 762.

([9])- نفسه، ص762.

شيخها لا يرفض الهدية ويثيب عليها بالدعاء الصالح [1]، حتى أن التازي كان كلما أكمل بناء موضع عجل بالشهادة عليه وأنه حبس على الزاوية حتى لا يترك لوارثه من الأرض شبرا [2].

ومن وجهة نظر تاريخية يبدو أن كثرة الهبات التي كانت تقدم لشيوخ الزوايا سواء من طرف السلطة أو الرعية، تدل على مدى غناهم حتى أصبحوا هم في حد ذاتهم يخصصون أوقافا لزواياهم، فقد حبس الشيخ الصوفي إبراهيم التازي على زاويته التي قام ببنائها [3].

كما كان للطلبة الفضل الأساسي في تدعيم الزوايا بما كانوا يقدمونه من هدايا عند ختمهم للقرآن أو استكمالهم لدورة تدريبهم الروحي بالزاوية، فقد حصل الشيخ عبد الرحمن بن عزوز إمام زاوية الشيخ إبراهيم التازي على مائة دينار ذهبا نظير تلقينه القرآن الكريم لأحد أبناء الأعيان [4].

ومثال آخر ينطبق على زاوية عبد الرحمن بن البنا (ت 898هـ/1486م) [5]، الذي كان بمثابة مربي الطلبة من خلال تدريسه لأهم العلوم النقلية فقد كان سكان تلمسان يتبرعون لها بالطعام[6] فضلا على بعض الزوايا التي نالت بموجبها حق استغلال الأراضي والإعفاءات من الضرائب، فقد أعفيت زاوية سيدي سينا[7] في سهل البطحاء[8] من الاتاوة و الضرائب لأن شيخها كان وليا صالحا ذاع صيته في إفريقيا وآسيا وبه اشتهرت زاويته حتى بلغ عدد مريديها خمسمائة مريد، وبذلك أخذ يتقاطر عليها جمهور غفير من

([1])- الطاهر بونابي : عصر المتصوفة، ج4، ص 763.

([2])- نفسه، ص 761.

([3])- ابن صعد: المصدر السابق، ص149.

([4])- بونابي : عصر المتصوفة، ج4، ص 763.

([5])- الطاهر بونابي: الحركة الصوفية، ج2، ص617.

([6])- بونابي: عصر المتصوفة،ج4، 617.

([7])- هادي جلول: دور الزوايا التعليمي في المغرب الأوسط 7-9هـ/13_15م، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج8، ع 2، 2022، ص145.

([8])- البطحاء مدينة كبيرة متحضرة وآهلة بالسكان بناها الأفارقة في سهل فسيح ينبت فيه القمح بكثرة وكانت تحقق لملك تلمسان دخلا كثيرا، كان بها وليا صالحا، أسس بها زاوية كانت مقصدا لطلبة العلم والعلماء، انظر الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 28.

الناس بغية الطعام ومنه يظهر أنها كانت غزيرة الصدقات[1]، وكان مريديها يمتهنون الزراعة وفلاحة الأرض والإنتاج مخصص لها، ينفق على المريدين والوافدين إليها مما يدل قيام هذه الزاوية بوظيفة الإيواء والإطعام، وكان شيخها يفرض على المريدين الصلوات العادية وبعض الأوراد، وعرفت هاته الزاوية بالعمل الجماعي والتطوعي بين أفراد القبيلة [2].

ويبدو أن مشيختها الصوفية قد ساعدت على إنجاحها، لأنهم كانوا على قدر كبير من الحرص والصرامة في تطبيق نظامها التربوي والتعليمي، خاصة المجاهدات القاسية الصارمة، وفي الالمام بالنظريات الصوفية والتبحر في العلوم وخاصة الشرعية منها التي تعد الضامن لحصانتهم من البدع والخرافات [3].

وأثناء تعرضنا لعمران الزوايا الصوفية واختلافه من زاوية إلى أخرى، فلم تكن على شاكلة واحدة، فهناك الزاوية المرفقة بالجامع في مكان ضريح مقدس [4] على النموذج المريني بتلمسان خلال القرن 8هـ/14م، وهناك الزاوية دون مسجد وضريح يعكسه النموذج الحفصي خلال القرن 9هـ/15م، بقسنطينة وبسكرة، والزاوية في موضع أضرحة السلاطين والمدرسة الملحقة بالزاوية في تجربة العمران الصوفي الزياني خلال القرنين 9/8هـ،15/14م [5].

أما النمط الثاني وهو الزاوية التي شيدتها السلطة ودعم مشيختها [6] واتسمت بالطابع اللاشخصاني نتيجة لتماهيها وتشابهها مع بقية زوايا التصوف والتي لا يميزها عنها شيء لا من حيث المعلم ولا من

([1])- نفسه، ج2، ص 28.

([2])-حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص29، الطاهر بونابي: عصر المتصوفة،ج4، ص 623.

([3])-الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج1، ص 351.

([4])- الضريح يكون على شكل غرفة مربعة مغطاة بقبة تبنى من الطوب أو الحجارة فوق قبر ولي صالح أو إمام أو سلطان أو أمير ويكون محل زيارة عند الناس، سليم درنوني: التحولات الوظيفية لمساجد الزوايا والأضرحة بين الأمس واليوم دراسة أنثروبولوجية بالزيبان وجنوب الأوراس، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج13، ع1، 2021، ص 201 .

([5])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة،ج4،ص 619.

([6])- عبد الرحمن بالأعرج: الحياة الثقافية في مدينة تلمسان خلال العهد العثماني، كان التاريخية، ع 26، 2017، ص 58.

حيث الوظائف [1]، بحيث يكاد المرء يخلط بينها لولا اختلاف الموضع وأحيانا هوية المؤسس، وحتى هذا الأخير نجده لم يسعَ إلى إضفاء شحنة شخصية أو ذاتية على المؤسسة التي يبعثها فهي لا تحمل اسمه [2].

وهذه الزوايا تتميز فيما بينها من ناحية الغرض والوظائف، حيث أنها تأسست لعدة أغراض فمنها الزاوية الملجأ التي خصصت للإيواء من طرف السلاطين فقد ذكرتها المصادر " منهلا للوارد من أي أفق كان يأوي إليها عشية إلى أن يشخص من هنالك سحرا"[3] وهناك زوايا خصصت للملجأ والتدريس في نفس الوقت ونالت أوقافا عظيمة سواء من السلطة أو الفئة الغنية من المجتمع من أجل مواصلة سيرورتها التعليمية ووظيفتها التعبدية.

إن ما سنعكف على بسطه هو هذا الصنف من الزوايا الذي ظهر مع السلطان أبو الحسن المريني (ت749هـ/ 1445م) الذي قام بإنشاء زاوية العباد[4] قال عنه العبدري: "رباط مليح مخدوم مقصود"[5] وأخذ اسم الزاوية به[6]، وهي بالطبع تتكون من ضريح القطب الصوفي أبي مدين

([1])- يقصد بالوظائف الأدوار التي تقوم بها الزوايا بكلتا أصنافها اتجاه المجتمع كالإطعام والإيواء والتعليم بالإضافة إلى الأدوار السياسة، انظر، إسماعيل خنطوط، خليفة صحراوي : الزوايا النشأة والتطور، رسالة المسجد، ع1، 2021، ص59 وبعدها.

([2])- نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص 213.

([3])- الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضود، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص 116.

([4])- عندما حل أبو الحسن المريني بمنصورة تلمسان سنة 735هـ/ 1335م انشغل مدة سنتين بحصار المدينة وإصلاح وترميم معالم المنصورة وما إن استولى على تلمسان حتى بادر إلى تشييد مجموعة من المباني بربض العباد من تلمسان وذلك ابتداء من سنة 737هـ/1337م وانتهت الاعمال بها سنة 748هـ/1348م، انظر، عبد العزيز لعرج: مجموعة المنشآت المعمارية للسلطان المريني أبي الحسن بالعباد 737_749هـ/1336_1348م، دراسات تراثية، ع2، 2008، ص 57.

([5])- المصدر السابق، ص28.

([6])- مصطفى علوي: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين ،كان التاريخية، ع18، 2016، ص 77.

شعيب(ت595هـ/1197م) [1]، مع الجامع والمدرسة [2]، وقد دقق في وصفها المؤرخ عبد العزيز فيلالي من ناحيتها العمرانية، حيث كانت تتألف من طابقين علوي وسفلي وتحتوي على فناء فسيح به صهريج للماء مزخرف، وبالقرب منه صحن دائري من الرخام مخصص للوضوء، وبها أقواس مكسرة مبنية بالآجر المطلي باللون الأخضر، ويتوسطها محراب يتكون من قوس دائري [3].

وفي الطابقين غرف للطلبة يحتوي الطابق السفلي على عشرة غرف، والطابق العلوي على ثمان حجرات وكل غرفة يسكنها طالبان، وبها مخازن للسلع والفرش، فضلا عن المراحيض والحمامات التي كانت متواجدة بالطابق السفلي ونافذتين مستطيلتي الشكل وبأعلى كل واحدة منها قوس تحته سقيفة مغطاة بالقرميد الأخضر أما مدخل الزاوية فيشمل باب المدرسة وفوقه أشكال هندسية وزخرفة جميلة، ويزين الباب فصائل ذهبية ذات مسامير كبيرة [4] ويبدو من خلال هذا الوصف المعماري للزاوية المدعمة من طرف السلطة، أنها تجاوزت في وظائفها الزاوية الصوفية.

كما يظهر أنها بنيت خصيصا للإقامة وإطعام العباد والمنقطعين من الصوفية الذين كانوا يعتكفون بالعبادة، إذن من خصائص زاوية السلطة نجدها مدعمة بمدرسة وجامع يبنى بالقرب منها، وقد تجمع بين التدريس وإيواء الوارد، كما كان لها دور التعبد والاعتكاف، فالسلطة السياسية رخصت للمتعبدين الاعتكاف فيها، حيث نلاحظ انقطاع جماعات صوفية مغربية في العُباد خلال النصف الأول من القرن8هـ/14م، ونجد ولي من المصامدة اعتكف وانقطع بالعباد مع أربعين من أصحابه قرابة الشهرين[5]، ونزل بها أيضا أبو هادي مصباح بن سعد الصنهاجي مع أتباعه[6].

وتماشيا مع ما تم ذكره نلاحظ ما جاء به صاحب الأنس في زيارته إلى العباد في النصف الثاني من

([1])- التنبكتي: المصدر السابق، ص 198، ابن مريم: البستان، ص 114.

([2])- الطاهر بونابي، عصر المتصوفة، ج4، ص619.

([3])- تلمسان،ج1، ص 143 144.

([4])- عبد العزيز فيلالي: تلمسان،ج1، ص 143 144.

([5])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة،ج4، ص 619.

([6])-نفسه، ص619.

ق8 هـ/14م، عن مداومة عمليات الانقطاع والتعبد بهذه الزاوية واستمرار نشاطها الاجتماعي في الانفاق على المنقطعين [1] وقد أوكلت مهمة تسيير الجهاز الصوفي إلى ناظر [2] الزاوية، ومهمة تسيير الزاوية من ناحية المطعم والمشرب وتوفير شروط الإيواء، فقد جمع أبو الحسن المريني لمحمد بن مرزوق بين مهمة الخطابة في الجامع والنظارة في الزاوية وتحت مسؤولية خدم يأتمرون بأمره [3].

([1])-ابن قنفد: أنس الفقير، ص 106-107.

([2])- الناظر أو المراقب هو من يتولى الأشياء والأموال الموقوفة على الزاوية والاشراف عليها وتوزيعها إلا على المستحقين والمحتاجين، وللمحافظة على مداخيل الزوايا وأحباسها وحفظها من الزوال ولكي تواصل عملها التعليمي ودورها الاجتماعي والسياسي بصفة أخص، وضعت السلطة جهازا رقابيا قائما على حقوقها من مداخيل مجال الأحُبُس لأنها كانت تتأثر بالاضطرابات السياسية والاجتماعية فيترتب عنها حدوث سرقة التي ربما تكون من طرف الطلبة أو حتى من طرف شيوخ الزوايا الذين كانوا ينفقون على أهلهم من مال الزوايا، وبدأ يعمل هذا الجهاز الرقابي منذ عهد السلطان أبي الحسن المريني وصرح أنه يتكون من الناظر الذي كان يجمع بين الخطبة في الجامع والاشراف على الزاوية وله موظفون وخدم ويعتبر أن الجهاز المسير لأحباس الزوايا التي أسسها أبو عنان هو فرع للزاوية من مقومات التصوف والتي لم يبق منها حسب رأيه سوى وظيفة الإطعام والإيواء وتركيزها على التربية المشروعة التي تتماشى مع سياسة الدولة المرينية، انظر ميمون جمال الدين: الوقف في الجزائر دراسة فقهية قانونية مقارنة، ط1، دار المتنبي للطباعة والنشر، المسيلة، 2024، ص14، الطاهر بونابي: الحركة الصوفية، ص 627، الطاهر بونابي: عصر المتصوفة،ج4، ص 757.

([3])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 619.

كما قام السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (760هـ-791هـ/1359-1389م)[1]، ببناء مدرسة وزاوية على قبور أخويه أبي ثابت وأبي سعيد عثمان ووالده أبي يعقوب [2] عند باب إيلان [3] سنة (765هـ/ 1364م)، وخصصها لإيواء عابري السبيل وللطلبة وإطعام الفقراء وتعيين الأوقاف ورتب فيها الجرايات بها من الأراضي العقارية حاضرا وباديا [4]، فأنفق عليها عقارا أرضيا بجميع هياكله التجارية، وهذا ليس بالأمر الهين أن ينفق جميع هاته المحلات التجارية، فالعقار الذي حبسه للزاوية اليعقوبية مكون من طاحونة وثلاثين دكانا وفرنا ومخبزة وغيرها [5] .

وقد سمى هذه الزاوية بالمدرسة اليعقوبية نسبة لأبي يعقوب والد مؤسسها ووصفها بأنها مليحة البناء واسعة الفناء، شيدت بضروب من الصناعات ووضعت في أبدع الموضوعات، سمكها بالصبغة مرقوم وبساط أرضها بالزليج مرسوم...وضع بها صهريجا مستطيلا وعلى طرفيه من الرخام حصنان...خيالها من بنية ما أبهجها وأشكالها وأحسنها شكلا وأجلها، والجدير بالذكر أن نظامها المعماري يكشف مستواها العلمي[6].

([1])- أبو حمو موسى الثاني: هو حاكم زياني تولى إدارة الدولة الزيانية واحد وثلاثين سنة760_791هـ/1389_1391م ،حدثت في زمن حكمه اضطرابات سياسية حتى وجد نفسه منفيا، لكن عاد مرة أخرى لحكم بني زيان ووطد دولته من جديد معتمدا في حروبه على أعراب بنو هلال في الدفاع عن عاصمته تلمسان. انظر ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ط1، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2001، 34.

([2])-التنسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح :محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 139، قويدر عباس: المؤسسات الثقافية في بلاد المغرب الأوسط خلال ق8هـ/14م، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج2، ع4، 2016، ص91.

([3])- باب إيلان هو باب من أبواب مدينة تلمسان، انظر ابن أبي زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والنشر، د ت، ص61 .

([4])- يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج2، ص101، عباس قويدر: المرجع السابق، ص 91 .

([5])-الطاهر بونابي: عصر المتصوفة،ج4، ص 758.

([6])-الطاهر بونابي: عصر المتصوفة،ج4، ص 622.

وقد عرفت هاته الزاوية إقبالا كبيرا من الطلبة و الفقهاء والخطباء والقضاة [1] والمتصوفة حتى صارت مدرسة إطارات التوحيد العرفاني[2] وكانت لها مجالس علمية كثيرة ودرس بها أبو عبد الله الشريف التلمساني(ت792هـ_1391م) [3] وساهمت في تطوير الحركة العلمية بتلمسان[4].

والجدير بالملاحظة فإن هناك بعض المتصدقين بهاته الأحباس أرادوا كتابة أسمائهم في معالم ومؤسسات دينية خصوصا يضمنون في استمرارها ويبينون محاسنهم وانجازاتهم بعد وفاتهم لكي تصبح شاهدة على أعمالهم ويتحصلوا بها أجر الدعاء والثواب عند الله تعالى، إلا أن هذه الأحباس كانت تتأثر بالاضطرابات السياسية وبظروف المجاعات والأوبئة [5].

كما نلاحظ أن بعض الزوايا لم تقوم بدورها التعليمي، بل مخصصة إلا للعبادة والاعتكاف، لأن السلاطين يؤسسون مدارس بالقرب من الزوايا من أجل التعليم وتبقى الزاوية مخصصة إلا للتعبد، فقد شّيد أبو العباس العاقل 834_866هـ/ 1430_1462م مدرسة، وألحقها بزاوية أبي الحسن علي بن مخلوف

([1])- عباس قويدر: المرجع السابق، ص 93.

([2])- العرفان الصوفي هو فلسفة خاصة ونظرة مختلفة للكون والأشياء والانسان، وكلمة العرفان تدل في اللغة المعرفة وتتعلق بذات الشيء، لا يصل إليها إلا من كل انسان جد زاهد، والعارف حسب ما جاء في كتب التصوف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول والمقصود بها أن العالم علمه أوسع من حاله وصفته، والعارف حاله وصفته فوق كلامه، انظر ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج3، ط1، تح: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص531، محمد حطاب: اللغة في العرفان الصوفي، مجلة حوليات التراث، ع6، 2006، ص 56 وبعدها.

([3])- انظر سيرته، ابن مريم: المصدر السابق، ص 117.

([4])- فاقة بكوش: علماء تلمسان ومسألة تأسيس المدارس التعليمية خلال العهد الزياني بين التأييد والمعارضة، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، مج1، ع3، 2021، ص1210.

([5])- الطاهر بونابي: الحركة الصوفية، ج4، ص 758.

أبركان (ت 857هـ/1453م) [1]، وهي التي عرفت بالمدرسة الجديدة واختصت بدورها في تدريس العلم للطلبة[2].

ولا يخامرنا شك في أنّ هؤلاء السلاطين كانوا يسعون إلى تأمين موارد قارة لما شيدوه من مؤسسات للإنفاق عليها، لكي يتسنى لها الاضطلاع بهذا العدد من الوظائف على تنوعها وتشعبها وتطلبها لقدرات وموارد هامة لا سيما وظيفة تقديم الطعام للوارد والمقيم إلى جانب تكاليف القيام بالمدرسين والطلبة القاطنين بها، وغايتهم كذلك أن تشهد هذه المعالم وهذه المؤسسات على تقواهم وتدينهم وما أنفقوه في سبيل الفقراء والمساكين ولإعلاء الدين و نشره هذا ما نستشفه من الوصف الذي تركته لنا المصادر لهذه المؤسسات وما أوقف عليها من أحباس[3] إذن أصبح الوقف والحبوس إحدى أهم المصادر المساهمة في تمويل الزوايا فهناك من خصص لها أحباسا عقارية وأموالا عينية لتسيير أمورها.

والزاوية المدرسة التي أسسها أبو عنان المريني[4] على ضريح سيدي الحلوي (ت737هـ-1337م) [5] متبعا نهج والده[6] ومشاريعه العمرانية دعما للحياة الثقافية واحياء لتقاليد المذهب المالكي وفروعه[7]

([1])-هو الصوفي الزاهد أبي الحسن علي بن مخلوف أبركان صاحب الكرامات ينتمي إلى قبيلة مزيلة الأمازيغية التي تنحدر من بني راشد ومسقط رأسه قرية الجمعة القريبة من تلمسان، حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه ثم انتقل إلى تلمسان واعتكف على الدراسة والتعلم وتلقي العلوم والفنون على أجلة شيوخ وعلماء المدينة أمثال الشيخ إبراهيم المصمودي والعالم ابن مرزوق الحفيد حتى أتقن علوم الحساب والفرائض والفقه والنحو والمنطق والسيرة النبوية وتصدى للتدريس فأخذ عليه كل من الحافظ التنسي والشيخ محمد بن يوسف السنوسي وقضى حياته في التعليم والوعظ والإرشاد و أكبره سلاطين تلمسان وأمراؤها توفي عام 857هـ،1453م، انظر ابن صعد: المصدر السابق، ص 20.

([2])- التنسي: المصدر السابق، ص 248.

([3])-نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص246.

([4])- نور الدين حاجي: المرجع السابق، ص 118.

([5])-ابن مريم، المصدر السابق، ص 25.

([6])- عباس قويدر: المرجع السابق، ص 90.

([7])-مريم سكاكو: المرجع السابق، ص 102.

وأوقف عليها عقارات وطواحين ودكاكين[1] حتى أصبحت مقرا للصالحين وملتقى الأولياء والعلماء[2]كما تتألف من جامع الخطبة الأعظم، في حضيض البيت الذي يضم ضريح الحلوي فجاء محكم العمران مزخرفا بديعا، وتتصل به زاوية الأرجاء مزدانة بقبة إلى جانبها مدرسة متعددة البيوت، وبها دار مجهزة بالضروريات من لوازم الحياة مخصصة للموظفين القائمين بالتدريس فيها وكذلك للقائمين بشؤون المنقطعين العاكفين والزائرين للضريح[3] وبالتالي أصبح هذا النمط من الزوايا مؤسسة رسمية يعين موظفوها.

ويبدو أن الزاويا عموما استغلت الأراضي الزراعية الموقوفة عليها حتى استطاعت أن تغطي معظم حاجاتها من التمويل وبالتالي التحكم في الوظائف، فنجد زاوية بني راشد التي بنيت للولي يحي المديوني فقد استغلت الأراضي الموقوفة لها أحسن استغلال، وقام مشيختها بتخزين محصولها في المطامير ليكون قوت العاكفين في الزاوية [4] ، ويعد هذا الدور المنقذ الاجتماعي لقاصديها زمن القحط وندرة الغذاء.

وتتابع الأدلة التاريخية المعززة من أطروحة الدعم المادي والسياسي لزوايا القرن 9هـ/15م، والتي كانت تحت إدارة وتصرف السلطان، فزاوية أبي الحسن أبركان(ت857هـ/1453م) قد زاد السلطان أحمد العاقل (834-866هـ/ 1430-1462م) من أحباسها و أوقف عليها أوقافا كثيرة [5] ، مع العلم أن صلة شيخها بالسلاطين الزيانيين كانت جد متينة حيث كان بعض رجال الدولة الزيانية يقفون عند باب بيته ينتظرون الاذن وهم في غاية السرور والابتهاج فتارة يخرج لهم وأخرى لا يأذن لهم بذلك، ولما زاره السلطان أبي محمد بن أبو تاشفين ووزيره أحمد بن يعقوب الخالدي في بيته ووضع له بطنية فيها مال ردها إليهما ولم يقبلها، كما أنه كان لا يقطع مجلسه العلمي إذا حضر السلطان وقد فعل ذلك مع أحمد العاقل الذي كان يدخل المسجد ويقبل يد الشيخ ويجلس إلى غاية أن ينقض مجلس العلم، وبالتالي كانت زاوية أبركان مستفيدة أشد الاستفادة من أوقاف السلطة السياسية ثم بعدها أصبحت تحت تصرف السلطان

([1])-الطاهر بونابي: عصر المتصوفة،ج4، ص 758.

([2])-عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 685.

([3])- عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ص 148، بونابي: الحركة الصوفية، ج2، ص620.

([4])-بونابي: عصر المتصوفة،ج4، ص 623.

([5])- التنسي: المصدر السابق، ص 248.

أبوعبد الله المتوكل(688_873هـ/1462_1468م) الذي اقترح على الصوفي محمد يوسف السنوسي الاستفادة من غلاتها[1].

يبدو أن أوقاف السلاطين ودُوامهم المختلفة كما صرحت بها النصوص، تحمل دلالات واضحة على رغبة السلاطين في إبراز حضورهم داخل المجتمع وإشهار أعمالهم، ويكشف ذلك عن إدراكهم العميق لتنوع وظائف الزاوية وحاجتها الدائمة إلى الموارد التي تضمن تغطية نفقاتها سواء ما يصل بوظائف الاطعام والايواء أو بما يرتبط بتكاليف المدرسين والطلبة والمريدين.

ومن جهة أخرى فقد كان الشيخ الصوفي الحسن أبركان معروفا عند العامة والخاصة يقصده الناس بالصدقات التي كانت تأتيه من كافة أقطار المغرب الأوسط، وحتى من بلاد السودان، ومن كثرتها حتى أصبح يوزعها على الفقراء والمساكين وطلاب العلم [2]، ونفس المثال ينطبق على الشيخ أحمد الغماري (ت 874هـ/1470م) الذي كانت تقدم إليه الصدقات والثمرات مما زاد من وظائف الزوايا الاجتماعية والثقافية [3].

2_زوايا حاضرة بجاية:

لا غرو أن الزوايا التي قامت في حاضرة بجاية وقسنطينة قد كانت تابعة للدولة الحفصية، وهي لا تدخل في مجال الدراسة الذي نحن بصدده، لكن أردنا ذكرها لكون المعلومات جد شحيحة وقليلة على الزوايا التي قامت جهة تلمسان بالإضافة إلى كون حاضرة قسنطينة وبجاية تنتمي أحيانا إلى المغرب الأوسط أوفي إطار مقولة تنتمي إلى مجال المغرب الأوسط، ومنه سوف نعرض أهم العينات عن الزوايا التي قامت وتأسست في هذه الناحية بنمطيها الصوفي والسياسي.

إن أقدم زاوية وقفنا عليها في بجاية هي زاوية أبي زكرياء يحي الزواوي(ت611هـ) وهي أقدم إشارة إلى زاوية في مصادرنا الإسلامية، وقد ذكرها الغبريني حين أورد خبر وفاة صاحبها[4]، لكن هذه الزاوية حسب

([1])-الطاهر بونابي، الحركة الصوفية، ج2، ص 628.

([2])-ابن صعد: المصدر السابق، ص 120.

([3])- نفسه، ص 186.

([4])-الغبريني: المصدر السابق، ص135.

ما جاء في الغبريني أنها غير مستقلة وتابعة للجامع الأعظم، أي مجانبة له، وكانت مقرُ سكنى شيخها يخدمه فيها لا فقراءه وإنما أهله أي زوجه ومجلسه كان في الجامع، إذن هذه الزاوية فريدة من نوعها مقارنة مع الزوايا التي تأسست فيما بعد من ناحية وظائفها وخدماتها فهي مجرد نواة مستقلة متاخمة وتابعة لخدمات الجامع الأعظم ببجاية، مخصصة لصاحبها فقط لا للمريد أو المجتمع وعابر السبيل والجوعان، وتاريخ تأسيسها كان بعد رجوع الزواوي من المشرق الإسلامي واستطانه ببجاية حيث أن في بداية أمره تعلم في القلعة الحمادية، على يد الشيخ الصالح أبي عبد الله بن خراط وغيره، ثم ارتحل إلى المشرق الإسلامي ولقي الفضلاء والأخيار والمشايخ والفقهاء والمتصوفة وأهل طريق الحق، استوطن بجاية بعد رجوعه من المشرق، وبالتالي فمن المعقول أن نفترض هنا تأسيسه لزاوية كان بتأثير أو بتأثر من مشاهداته بالمشرق ومجالساته للشيوخ هناك[1].

بالإضافة إلى زاوية أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي (ت 622هـ/1264م) ببجاية الذي ترجم له الغبريني في عنوان الدراية حينما صرح قائلا في النص التالي:" وذكر معاوية الزواوي وهو من خدّامه قال جئت يوما لأراه فلما وقفت عند باب الزاوية أصابتني هيبة"[2]، كما يذكر لنا اثنين من أصحابه كانا يزورانه في زاويته وهما أبو يزيد محمد بن عنوان ومسعود بن عمر، ويفهم من هذه المعطيات الدلالية أن هذه الزاوية كانت مقر لسكنى ولي يقصد لغرض معين ربما الاستشفاء أو طلب العلم أو المبيت، وتضم مجموعة من العباد المنقطعين مهمتهم خدمة المقبلين إلى الزاوية من زوار أو رحلات رسمية أو عابري السبيل طالبين المبيت و المأكل والمشرب [3].

لكن ما تجدر الإشارة إليه أن هذه الزاوية لم تكن تّأوي الفقراء حسب المعطيات التي بحوزتنا، ولو قارنها في وظائفها مع زاوية الزواوي يظهر بداية تطور هذه الظاهرة لكن جد محدودة في خدماتها اتجاه الرعية [4] والملفت للانتباه أن شيخ هذه الزاوية لم يرتحل إلى المشرق بل إنما خروجه من بلده الأصلي بالأندلس –

([1])-نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص 119.

([2])- المصدر السابق، ص 163.

([3])- نفسه، ص 175.

([4])- نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص 129.

قرطبة–دون العشرة أعوام مهاجرا إلى الله مقبلا على العبادة، وقصد الشيخ أبي محمد وكان من أولياء الله المتقين ومن أوليائه المخلصين، ونحن نفترض أن الولي المقصود هنا هو أبو أحمد صالح الماجري (ت631هـ-1273م) صاحب رباط آسفي[1]، إذن بجاية هنا من ضمن شبكة الزوايا التي أنشأتها طائفة الحجاج[2].

وفي ظل ندرة المعطيات التاريخية حول زاوية القرطبي ببجاية لا يمكننا حقيقة أن نتبين مدى تأثره بنمط الزاوية التي أسسها أبو محمد صالح، والتي لم تكن في آخر التحليل سوى النمط المشرقي والاسكندري تحديدا حيث أقام الولي قرابة العشرين سنة بهذه المدينة، وبالإمكان هنا الوقوف على نموذج هذا النمط من خلال الوصف المعماري لزاوية أبي الحسن الشاذلي (ت656هـ- 1298م) [3] بالإسكندرية حيث وصفت بأنها برج من أبراج السور الذي حبسه السلطان عليه وعلى أولاده، ومهما يكن من أمر يمكن أن نفترض أن دخول مؤسسة الزاوية إلى مدينة بجاية لم يكن بغريب عن تأثيرات بلاد المشرق سواء كانت تأثيرات مباشرة كما هو الحال بالنسبة للزواوي الذي أقام بالمشرق فترة من الزمن أو بواسطة القناة المغربية كما هو الحال بالنسبة للقرطبي القرشي [4] بالإضافة إلى زاوية أبي الربيع بن حبوش الحسناوي[5] المسماة بالزاوية الحسناوية ببجاية كانت تتبع طريقة الصوفي أبي محمد صالح المجاري (ت 631هـ/1234م) الذي يلزم المريد بأن يقر بذنوبه وأخطائه التي يرتكبها ثم يفرض عليه بعض الأوراد الدينية التي سوف يتقيد بها حتى تطهره من ذنوبه [6].

([1])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 41.

([2])- نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص 129.

([3])- هذه الزاوية تمثل الطريقة الصوفية الشاذلية وتقوم على خمسة أصول، تقوى الله تعالى في السر والعلانية، اتباع السنة في الأقوال والأفعال، الاعراض عن الخلق في الاقبال والادبار، الرضا عن الله تعالى في القليل والكثير، الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء، ولها فروع كثيرة في مصر كالمحمدية والحامدية والفاسية والقاسمية والمدنية والسلامية والحندوسية والادريسة، وتعتبر ثاني طريقة انتشرت في السودان ولها فروع هنا بالجزائر، انظر ابن الصباغ: المصدر السابق، ص 7، 8.

([4])- نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص129.

([5])- عبد القادر دحدوح: المرجع السابق، ص 1169.

([6])- الطاهر بونابي: الحركة الصوفية، ج2، ص 349.

وقد نستخلص من خلال ما أوردناه على زوايا حاضرة بجاية خلال القرنّ 7هـ/13م، أنها كانت مقر خاص لسكنى ولي وأنها لم تنفصل على الجامع بل تابعة له حتى في خدماته، ولم تنفرد بتاتا في أدوارها.

ومن الزوايا التي شهدتها حاضرة بجاية خلال القرن 8هـ/14م، والتي سوف نقف على عرضها فقط لكون المعلومات جد قليلة، نذكر منها الزاوية أبو الربيع سليمان بن حبوش الحسناوي المعروفة باسم الزاوية الحسناوية تأسست ببجاية في النصف الأول من القرن السابع الهجري /13م، والتي كانت منارة يلتقي فيها المريدون التصوف على طريقة أبي محمد صالح الماجري، وقد استمر التواصل بينها وبين رباط آسفي بعد وفاة الماجري سنة 631هـ/1234م، وأضحت أحد أهم المحطات المشرفة على موكب الحج الذي كان ينظمه رباط آسفي كل سنة، لذلك كان أبناء الماجري، وأحفاده وصوفية الطائفة الماجرية يعرجون في النصف الثاني من القرن السابع الهجري /13م، لزيارة الزاوية الحسناوية أو الإقامة فيها بل أن أحد أحفاد البيت الماجري وهو عبد الرحمن بن أحمد بن أبي محمد صالح فضّل الإقامة الدائمة في هذه الزاوية[1].

ويبدو أن هذا النمط من الزوايا كان جد متقدم من ناحية الوظائف فقد وصفهم الورثلاني بزوايا القرآن الكريم يكثر فيها العلماء والعباد والزهاد [2] كما نجد زاوية أحمد بن إدريس الأيلولي البجائي (ت 760هـ_1460م) [3] وزاوية عبد الرحمن الوغليسي (ت 786هـ-1384م) [4] من بني وغليس ببجاية

([1])-الطاهر بونابي: الحركة الصوفية، ج2، ص 71.

([2])- نزهة الأنظار، د ط، د ت، ص 270.

([3])- كان واحد قطره في حفظ مذهب مالك متفننا في المعارف والعلوم جمع بين العلم الغزير والدين المتين، وتخرج على يده جماعة من الفضلاء الأئمة كالإمام عبد الرحمن الوغليسي ونظرائه، وكان يطلق عليه فارش السجاد ولكثرة صلاته وكان كثير الصوم والصدقة وكان على طريقة السلف الصالح في الأتباع كثير التواضع جميل العشرة صبورا على الاشتغال حسن التعليم وله تعليق على بيوع الآجال من مختصر ابن الحاجب، انظر ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج1، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ت، ص 255. أحمد ساحي: أحمد بن إدريس البجائي الأيلولي (ق8هـ-14م) ودور زواوة في التراث العربي الإسلامي، مجلة الدراسات التاريخية، مج5، ع1، 1993، ص 55 وبعدها.

([4])- هو أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي الفقيه الأصولي المحدث المفسر عمدة أهل زمانه وفريد عصره وأوانه شيخ الجماعة ببجاية، أخذ عن أبي العباس أحمد بن ادريس البجائي وغيره، وعنه أبو القاسم المشذالي وغيره، له تآليف كثيرة منها الأحكام الفقهية تسمى بالوغليسية ومقدمة في الفقه وفتاوى مشهورة، توفي سمة 786هـ_1384م انظر

أما خلال القرن 9هـ/15م، نجد زاوية محمد التواتي[1] التي كانت عامرة بالطلبة والعلماء[2] إضافة إلى زاوية يحي العيدلي(ت 881هـ-1476م)[3] الواقعة في قرية تامقرة ببني عيدل وتنسب إلى مؤسسها[4].

فضلا عن زوايا أخرى أشار إليها الوزان في قوله " بالإضافة إلى زوايا المتصوفة"[5]، كما يشير الباحث أبو القاسم سعد الله إلى زاوية فقهية متواجدة بجزائر بني مزغنة وهي زاوية أحمد بن عبد الله والتي كانت تتألف من مسجد ومقبرة وبيوت للعلماء والغرباء والطلبة، وقد استمر نشاطها حتى دخل المستعمر الفرنسي وعطل أوقافها [6].

لكن في الغالب هذه الزوايا كانت خالية من الأضرحة إلى غاية القرن 9هـ/15م، الذي يشهد زوايا الأضرحة المقدسة، وبالتالي أصبح الضريح يمثل المركز الديني الذي يؤمن به ويقضى به الحاجات، وفي الغالب تضم هذه الزوايا الضريح الذي يبنى في المكان المرتفع ويتم تغطيته بتابوت وفوقه أقمشة حريرية ملونة مذهبة تستره، وغرف خاصة للخدم الذين يقومون بتنظيف الضريح واستقبال الزوار والمرضى [7] وهو ما يميز هذه الزوايا، ومن بين الأمثلة كذلك تبرز زاوية عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر في هذا المقام، والتي

محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، ص 237.

([1])- هو محمد التواتي كان مولى بجاية ولي صالح كبير الشأن عالم على الاطلاق له مؤلفات عديدة اشتهرت زاويته بتعليم العلم وتخرج منها العديد من طلبة العلم وكانت لها أوقافا كثيرة وكانت هذه الزاوية دارا للمجاهدين وملجأ لغزاة البحر، انظر عبد المنعم القاسمي: أعلام التصوف في الجزائر، ص 304.

([2])- محمد محمدي: المرجع السابق، ص 113.

([3])- انظر سيرته، علي أمقران السحنوني: هذا الشيخ المجهول الشيخ أبو زكرياء يحي العيدلي (ت 881هـ _1476م)، مجلة الدراسات التاريخية، ع4، 1988، ص 31 وبعدها.

([4])- محمد محمدي: المرجع السابق، ص 112..

([5])-وصف إفريقيا، ج2، ص 50.

([6])-تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الاسلامي،ط1، بيروت، 1998، ص 118.

([7])- أسامة بأحمد: دراسة أنثروبولوجية لزيارة أضرحة أولياء الله الصالحين في الجزائر ضريح الولي سيدي ناجي بولاية المدية أنموذجا، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج4، ع4، 2020، ص 66.

كان على شكل مجمع ديني يضم الضريح ومسجدا به منارة مربعة ومزينة بالزليج الملون وقبة ضخمة ومسكن وغرف مخصصة للموظفين ومائضات ومطامر[1].

ومن خلال ما أشرنا إليه سالفا حول زوايا المغرب الأوسط، فقد توصلنا إلى أنها مقسمة إلى نمطين – شكلين– هناك زوايا مخصصة لقراءة القرآن الكريم ونشر التصوف وهي ذات طابع شخصاني لعلاقتها العضوية بمؤسسها وبطريقته الصوفية الخاصة بشخصيته الفريدة وأدواره وأذكاره التي ينفرد بها عن غيره، وبأسلوبه الخاص في تربية مريديه أو إدارة شؤون زاويته بكراماته وعلاقته بجمهور معتقديه وذلك حتى بعد وفاته، وتقدم إلى غيره، للقيام برسم زاويته التي تبقى تعرف باسمه، فتعددت الزوايا واختلفت باختلاف مناهج الشيوخ، ومن جهة أخرى فإن هنالك زوايا استحدثتها السلطة السياسية وظيفتها التدريس وإيواء الطلبة والمسافرين، يوقف عليها الأحباس ويعين على من يقوم ويُدرس بها وهي في الغالب تعرف بالموضع التي تأسست فيه [2].

ويبدو لنا أن نظام سير هذه الزوايا عموما مختلف باختلاف الطرق الصوفية والمناهج التربوية التي اتبعها المتصوفة وأساليبهم المعاملاتية لكنهم اتفقوا جميعا على مبدأ التربية الروحية والأخلاقية للمريد سواء في مأكله أو مشربه أو ملبسه بصرف النظر عن عبادته حتى أصبحت قاسما مشتركا بينهم حتى أصبحنا لا نستطيع التفرقة بين وظائف وأدوار هاته الزوايا، وعن مدى تزايد أهمية الزوايا في بجاية، فقد أصبحت قبلة للناس في طرح قضاياهم وملاذا يلجؤون إليها وقت الشدائد والمحن والأزمات الدورية، مثلها مثل زوايا تلمسان، فأضحت الزوايا حاملة لمشروع تنظيم المجتمع وتأطيره، وصارت ضميرا اجتماعيا فأشدوا أزرها وأمدوها بالعون، وتنوعت مصادر إعانتها، فهناك مصادر دائمة التدفق كالأوقاف والزكاة السنوية وموارد مؤقتة تمثلت في هدايا السلاطين وصدقات العامة من الناس خاصة في مواسم جمع المحاصيل، فضلا عن النذور وعائدات النشاط الزراعي للزوايا الريفية على وجه الخصوص[3]، فكثر سوادها وزاد نشاطها وخدماتها

([1])–أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ج5، ص 122.

([2])– نللي سلامة العامري، المرجع السابق،ص212.

([3])–الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 756.

اتجاه المجتمع[1]، وزاد التصوف انتشارا وتغلغلا في أوساط المجتمع، وتعددت طرقه وأساليبه وعم التعليم لدى جميع شرائح المجتمع [2] وزاد الاعتقاد في مشيختها، وبالتالي عكست مستوى التفكير الديني عند الساكنة ببلاد المغرب الأوسط من خلال تكييفه مع الأوضاع الاجتماعية السائدة وقتئذ[3] وأصبحت الزاوية على وجه الخصوص المكان الذي يلجأ إليها الفقراء والمحتاجين كونهم وجدوا من متطلبات وحاجيات لدى شيوخها[4].

([1])-الطاهر بونابي: عصر المتصوفة،ج4، ص 626.

([2])-عبد العزيز فيلالي: تلمسان،ج1، ص 141.

([3])- الطاهر بونابي:عصر المتصوفة، ص 756

([4])-سمية مزدور: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، (588_927هـ/ 1192_1510م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، قسنطينة، 2008-2009، ص 71.

3_ زوايا حاضرة قسنطينة:

إن أول ما يمكننا بسطه في هذه الحاضرة هي الزاوية الملارية أو زاوية ملارة الواقعة بإقليم حاضرة قسنطينة[1] التي أسسها الشيخ يعقوب بن عمران البويوسفي (ت717هـ-1317م)، ومن خصائصها المعمارية أنها تتركب من خوانق أو بيوتات لإقامة المريدين والطلبة ومسجد للصلاة وغرف للذكر تكون مخصصة للشيخ والمريدين[2]، وبيوت لتخزين الطعام ومطابخ لتحضيره فحسب أحد زوارها الذي قال عنها " فلما قضينا زيارتنا واحضر لنا الطعام قرب الطعام الذي أشتهيه، وحدي، ورأيت ذلك ما كنت أظن أني أقف عليه[3]، وقد تعكس هذه الخصائص مدى تطورها في وظائفها اتجاه المريدين والمتعلمين وعابري السبيل فقد تعد مجمعا دينيا كبيرا ومركز اشعاع فكري وصوفي يقصده طلاب العلم من كل حدب وصوب[4] فقصدتها زيارات صوفية مغربية وأندلسية على حد قول المؤرخ عبد العزيز فيلالي[5].

ومن شدة تكاثف الزيارات حتى أصبحت ملتقى كبار المتصوفة فقد التقى متصوفة تلمسان بالزهاء الفاسيين بها وجرت بينهم مجادلات في مسائل فقهية عديدة، وكانوا يخصصون مجالس لقراءة القرآن الكريم، ويذكر أنه التقى صوفية تلمسان بالصالحة بفاس وكان مجلسها يضم الفقيه العالم محمد المقري والشريف التلمساني وابن قنفد الخطيب القسنطيني ويقول عنها هذا الأخير أنها كانت تطلعني على آداب دقيقة وتنبهني ما أنتفع به [6] .

وكنتيجة لهذه المكانة والقيمة السامية التي حظيت بها الزاوية الملارية سواء عند العامة أو الخاصة حتى أصبحت السلطة لها زيارات رسمية لكسب وُد مشيختها، فقد اهتموا واعتنوا بشيوخها مع تقديم يد العون

([1])- واقعة بفرجيوة وتبعد عن قسنطينة بمرحلتين ، انظر عبد العزيز فيلالي: الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة، ص 9.

([2])-عبد العزيز فيلالي: الصلات الثقافية بين تلمسان ومدينة قسنطينة، ص 9.

([3])-ابن قنفد: أنس الفقير، ص 45.

([4])-عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص685.

([5])-الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة، ص 10 .

([6])- عبد العزيز فيلالي: الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة ، ص 10.

لهم سواء بقضاء حاجاتهم أو بمساعدات مالية[1]، فيبدو أنها كانت تخدم مصالحهم اتجاه الرعية ، ومن جهة أخرى لم ترد هناك إشارة مصدرية تدل على أن بعض شيوخ الزوايا رفضوا هبات السلاطين وصدقاتهم وهذا ربما يعود لمصلحة الزاوية وما يخدم الشريحة الاجتماعية، فقد كان يوسف بن يعقوب الملاري(ت764هـ/1363م) يقبل عطاءات السلاطين الحفصيين وهباتهم، مما جعل زاويته عامرة بالخيرات وقد كان جده يوسف بن يعقوب كثير العطية ينفق على المحتاجين من أقاربه ومعارفه دراهم كثيرة من ثروته، حتى وصلت ثلاثمائة دينار ذهبا وجعل ذلك أكداسا تحت فراشه ولا يخرج الزائر المحتاج حتى يناوله بقدر حاله وقسم سائر كسبه على ورثته وهذا ما يبين مدى غناه وغنى زاويته[2] .

ومن جهة أخرى فقد كان يدير الزاوية ويتحكم في جميع هياكلها الشيخ و المريد والخديم وكل له دوره الخاص في سيرورة نشاطها العلمي والاجتماعي كما أن لكل زاوية لها نظام خاص بها، أي حسب اتجاه شيخها وأسلوبه في تربية المريدين ودرجة إلمامه بالعلوم العقلية والنقلية[3]، فزاوية يعقوب بن عمران البويوسفي(ت 717هـ/1317م) الذي اقتبس صاحبها نظامها التربوي والتعليمي عن الطريقة الصوفية المدينية[4] والطريقة المدينية تركز على التربية الروحية والإفادة والتعليم والعبادة والاقبال على الله تعالى في الظاهر والباطن كما تركز على الزهد والعلم والتوكل واليقين والصبر والرضى والحق[5]، فيبدو أنها كانت تلزم المريد العمل بهذه المجاهدات القاسية من خلال تكليفه بجملة من الأوراد التي يمكن أن تجعل المريد

([1])-محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6إلى 9هـ/ 12-15م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1999، ص 192.

([2])-ابن قنفد : أنس الفقير، ص 45.

([3])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة ، ج1، ص 349.

([4])-والظاهر أن طريقة أبي مدين شعيب الغوث وطقوسه في مجال التصوف السني قد عرفها شيوخ مدينة قسنطينة وطلابها وصلحائها الذين تتلمذوا عليه مباشرة في حاضرة بجاية التي أقام فيها مدة طويلة والطريقة المدينية كما هو معلوم التي يرى فيها شيخها بأن التصوف ليس بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة ولا بلبس الصوف الخشن والخرقة وإنما يكون بالصبر على الأوامر واليقين والهداية وهو السلوك الذي التزم به أبو مدين وأسرة ابن مرزوق في تلمسان انظر: عبد العزيز فيلالي: الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة، ص 8.

([5])- ابن قنفد: أنس الفقير، ص 17 18.

أثناء تأديتها بإخلاص يصل إلى الكشف، إذن يمكن القول أن الطريقة الصوفية المتبعة في هذه الزاوية تتبع طابع المجاهدات والزهد ومن يخالف هذه الشروط فإنه خالف تيار التصوف وأسقط هيبته أمام الناس وبالتالي تزول امتيازات الزاوية. [1]

كما تجدر الإشارة إلى الصوفي أبي هادي مصباح سعيد الصنهاجي (ت 748هـ/ 1347م) الذي أنشأ زاويته بقسنطينة منهجها يقوم على مبدأ التربية البدنية والروحية يتمثل في المجاهدات والخلوة وقراءة الأوراد اليومية كالأذكار والتهليلات سواء فردية أو جماعية [2].

ومن الملاحظ أن شيخها كان يقسم تلامذته إلى عدة أفواج وكل فوج مخصص للذكر وقراءة القرآن، وقد توقفت الزاوية عن النشاط الصوفي بعد وفاته، إضافة إلى التوغل المريني بقسنطينة وإفريقية سنة 747هـ/1346م، وما نجم عن ذلك من مصادرة السلطة المرينية لممتلكات الزاوية وأوقافها [3].

كما نالت دعما من طرف السلطة الحفصية فقد كان المستنصر الحفصي (647-675هـ/ 1236-1298م) يبرمج زيارات متكررة لبيت الشيخ علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله (ت 652هـ/1252م) في بيته ويغتنم مسرته ويلتقي باليد والقبول حاجاته ويلتمس منه الدعاء والتضرع[4]، والشيخ أبو هادي مصباح الصنهاجي يقبل عطايا الأمراء وجوائز العمال ويطلب ذلك ليوزع على المحتاجين من تلامذته ومنه أقام زاوية أخرى ببلاد إفريقية [5] في حين يذكر ابن صعد أن صدقات الشيخ محمد الهواري كانت يصرفها على الفقراء والمساكين ولا يحتفظ لنفسه بشيء وهو في حد ذاته كانت الصدقات والنذور ترد عليه من كافة أطراف البلاد [6].

([1])-محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1999، ص 201.

([2])-الطاهر بونابي: عصر المتصوفة،ج4، ص 613.

([3])- نفسه، ص 616.

([4])- الغبريني: المصدر السابق، ص 137.

([5])-ابن قنفد : انس الفقير، ص 52.

([6])-المصدر السابق، ص 47.

أما بالنسبة للزاويا التي شيدتها السلطة الحفصية، والتي تعد من أشهر أنواع الزوايا في قسنطينة التي عرفت عن غيرها بانعدام وجود الأضرحة فيها، وهو الفرق الجوهري بين النمطين، ولعل من بين أبرز الأمثلة عن ذلك هي زاوية شيدها السلطان أبو فارس عبد العزيز بمدينة قسنطينة سنة 801هـ/ 1399م، في موضع فندق كان يباع فيه الخمر، كما أقيمت زاوية في بسكرة بمساعدة السلطان أبي عمر وعثمان (839_893هـ/ 1435_1487م)، حيث أوقفوا عليها الأوقاف [1]، وكانت مركزا للطلبة الذين يدرسون فيها مختلف العلوم العقلية والنقلية ويقيم بها الطلبة الأجانب [2].

كما نالت زاوية قجال _ بولاية سطيف حاليا_ دعما من طرف السلطة الحفصية، وهذا ما أكدته الوثائق السطانية الصادرة عن البيت الحفصي خلال فترة تولي الحكم من لدن السطان أبي زكرياء، حيث أشارت معطيات الوثيقة الحفصية إلى مجموعة من الحبوس والأوقاف التي كانت مداخيلها تعود على زاوية قجال، من ذلك المساحات الواسعة من الأراضي وكذلك الانتفاع بعشر الزكاة العينية التي يتم جمعها من المناطق القريبة من الزاوية لتكون من موارد المال [3].

فأوقاف هذه الزاوية مسبل يمشي في ديمومة مستمرة طوال السنة كالزكاة خاصة التي تخرج في موسم جني الثمار، فضلا عن محاصيل الأرض الموسمية المنقطعة لها، كمحصول القمح أو الشعير أو محاصيل الجنان المتبوع بها، كما أن هناك نوع آخر من الزوايا ظهرت في أرياف المغرب الأوسط نتيجة التحول الاجتماعي الذي شهده المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، حيث بدأت القبائل الهلالية تستقر وتمارس مهنة الزراعة، فتم إنشاء بناء صغير أمام هاته المزارع وسمي بالمدشر، بني من أجل حراسة المزارع وكي يحتمون فيه من برد الشتاء[4]، فيبدو أنها كانت بمثابة رباط للحراسة والعسعس، وفي

([1])-ابن قنفد: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح، محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، الإسكندرية، 2002، ص 196.

([2])-الزركشي: المصدر السابق، ص 120.

([3])-عبد الملك بكاي: السلطة الحفصية وأوقاف الأشراف ،قراءة في ظهير لصالح زاوية قجال بسطيف، سنة 888هـ/1483م، من خلال كتب النوازل، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ،قسنطينة، الجزائر، 2011، ص 236.

([4])-الطاهر بونابي، عصر المتصوفة، ج4،ص 623.

القرن 9هـ/15م، تحولت وظيفتها العسكرية إلى وظيفة دينية اقتصادية اجتماعية وسياسية، وأشهر هذه الزوايا زاوية الأعرابي سعادة الموجودة بنواحي طولقة، تأسست في أواخر القرن 7هـ/13م، إذ كان شيخها يقيم فيها مع أصحابه المرابطين ولما قتل سنة 705هـ/1305م، تولاها أبناؤه وأحفاده من بعده[1].

جدول يوضح نماذج من زوايا المغرب الأوسط تاريخ تأسيسها وأماكن تموقعها.

اسم الزاوية	تاريخ تأسيسها	مكانها	المصدر
زاوية أبي زكرياء يحي الزواوي	أسسها الشيخ الفقيه الولي الصالح أبو زكرياء يحي بن أبي علي المعروف بالزواوي (ت611هـ) خارج مدينة بجاية، باب البحر بعد عودته من المشرق، وجلس بها لنشر العلم والدعوة إلى الله تعالى ودرس بها علم الحديث والفقه والتصوف	بجاية	**الغبريني، عنوان الدراية، ص 57.**
زاوية أبي الفضل قاسم القرطبي	**662هـ/ 1263م**	**بجاية**	**عنوان الدراية، ص174.**
زاوية يعقوب بن عمران البويوسفي. المعروفة بالزاوية الملارية	**أسسها الشيخ يعقوب بن عمران البويوسفي 117/630هـ، في قسنطينة، نشرت التصوف بمنطقة قسنطينة**	**قسنطينة**	**ابن قنفد: أنس الفقير، ص 40**
زاوية الهادي مصباح بن سعيد الصنهاجي	**748هـ/1347م**	**قسنطينة**	**انس الفقير، ص 49.**

(1)-نفسه، ص 623.

زاوية يعقوب بن يعقوب البويوسفي	**767هـ/ 1362م**	**قسنطينة**	**أنس الفقير، ص 43.**
زاوية الحسن بن أبي القاسم بن باديس	**أسسها الشيخ حسن بن أبي القاسم بن باديس (787هـ) الذي كان من مشايخ الطريقة القادرية وهو مدفون بزاويته**	**قسنطينة**	**الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص125.**
زاوية سيدي الحلوي	**شيدت سنة 754هـ، من طرف السلطان المريني أبي عنان على ضريح الولي الصالح الشيخ سيدي الحلوي حيث كانت مقرا للصالحين وملتقى الأولياء والعلماء.**	**تلمسان**	**بغية الرواد، ج1، ص 127.**
زاوية أبو عمرو التميمي	**756هـ/ 1355م**	**تلمسان**	**ابن مريم، البستان، ص 235.**
زاوية أبي يحي السادات	**895هـ/1489م**	**تلمسان**	**البستان، ص306.**
زاوية محمد بن عبد الجبار الفجيجي	**950هـ/1543م**	**تلمسان**	**البستان، ص 287،288.**

زاوية أبي الحسن بن مخلوف	**857هـ/1453م**	**تلمسان**	**نظم الدرر، ص248.**
زاوية الشيخ إبراهيم التازي	**بها خزائن الكتب وآلات الجهاد**	**وهران**	**عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص689.**

زاوية أبهبول المجابي	أسسها الشيخ علي بن احمد المجاجي بمدينة مجاجة بنواحي الشلف في القرن 10هـ/16م، من أجل الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الأرض من الغزو الاسباني ومركز للاجئين والفارين من الأندلس شيخها ينتسب إلى شرفاء غرناطة كان يتبع الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد بن شعاعة، انتقل إلى مجاجة وبنى فيها زاويته، ت 945هـ/1515م، وكان من أشهر رجال هذه الزاوية محمد بن على أبهلول المجاجي	الشلف	معجم أعلام الجزائر، ص 286. عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص 686.
زاوية أبي مسعود بن عريف	/1317م	الشلف	أنس الفقير، ص40

خريطة توضح توزيع الزوايا في المغرب الأوسط ما بين القرنين ٧-٩هـ/ ١٣-١٥م
ش
الشلف
بجاية
وهران
قسنطينة
تلمسان
المراكز العمرانية
الزاوية الملارية - زاوية الهادي الصتهاجي- زاوية الحسن بن أبي القاسم (قسنطينة)،
زاوية أبي يحيى زكريا الزواوي- زاوية أبي الفضل قاسم القرطبي (بجاية).
زاوية الشيخ إبراهم التازي (وهران).
زاوية المجابي- زاوية أبي مسعود بن معروف (الشلف).
زاوية السادات- زاوية الفجيجي- زاوية ابن مخلوف- زاوية الحلوي - زاوية التميمي (تلمسان).
كلم
50
100
150

الفصل الثالث: الزوايا كإطار اجتماعي لمواجهة الأزمات والتحولات.

أ_ الجوع في بلاد المغرب الأوسط: أسبابه وآليات مواجهته.

ب_ هل شكلت الزوايا بديلا طبيا شعبيا؟

1_ الرقية الشرعية.

2_ التفل بوصفه ممارسة علاجية شعبية مع المسح واللمس.

3_ التداوي بالتبرك بقبور الأولياء والشرفاء.

ج_ الوظيفة الاجتماعية للزوايا في مجال الايواء.

د_ الزوايا وسيط بين السلطة والمجتمع.

هـ_ الزوايا بين حفظ الأمن المحلي وحمل راية الجهاد.

1_ كيف ساهمت الزوايا في تأمين الطرق والمسالك التجارية؟

2_ كيف جسدت الزوايا مفهوم الجهاد في مواجهة التهديدات الخارجية؟

أ_ الجوع في بلاد المغرب الأوسط أسبابه وآليات مواجهته.

شكلت شريحة الفقراء المظهر الاجتماعي البارز في تاريخ المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة بسبب الكوارث الطبيعية والتقلبات المناخية فضلا عن مختلف الأزمات السياسية، وقد يبدو أن هاته الموجات والضربات الدورية التي عصفت بمجتمع المغرب الأوسط، قد أثرت على التراتبية الاجتماعية فأصبحت الطبقة المتوسطة في أسفل الهرم السكاني لتصير طبقة فقيرة محرومة من الأقوات وتعاني من توفير المعاش، لذلك تمركزت التكوينات الفقيرة من النسيج الاجتماعي بالحواضر الموزعة على مجالات المغرب الأوسط، وبالأخص تلكم المراكز الحضرية التي تحتوي على أشكال العمران الصوفي، أو ما أطلق عليه في المصادر التاريخية بمصطلح الزاوية، والالتفاف بالمشاهير منهم الذين ذاع صيتهم بسبب ما كانوا يوفرونه من إيواء وإطعام وصدقات لهؤلاء الفقراء[1].

إن إشارة ابن مرزوق لواقع الأزمة التي كانت ترزح تحتها الجماعات السكانية بالمغرب الأوسط، يؤكد فداحتها فعلا فهو يحصر هذه المصائب التي مست شرائح المجتمع وفعالياته كالحطب والكلأ والعشب والماء والمغارم، ويذكر أن الماء هو المصيبة العظمى التي كانت تسقى به الجنات والحقول والمحاصيل فيقع تحت ضغط الحصار من طرف السلطة أو الفئة الغالبة [2] بالإضافة إلى سنوات الجفاف والقحوط فتحدث الكارثة، والتي من خلالها يهلك المجتمع ويصبح غير قادر على إنتاج قوت يومه.

وفي ضوء هذا المعطى فقد ارتأينا أن نرسم ملامح لصورة هذه والانعكاسات والآثار التي طالت الساكنة وأثرت عليها، حتى لجأت فعالياته للبحث عن بدائل وحلول بغية تجاوزها والخلاص من آثارها، ولا ريب أن الفكر الغيبي والمعتقدات الشعبية من كرامات وخوارق وولاية صلاح وسحر وادعاء للنبوة والكهانة والتنجيم وغيرها تمثل تعبيرا حقيقيا عن مواقف ووسائل وسبل حتمية لتجاوز الأزمات والمعوقات لكونها تقدم حسب معتقد الناس حلولا للسيطرة على الواقع بآفاته وتحاول أن تعالج مسببات الخوف

([1])-بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 797.

([2])-المسند، ص 285.

والاضطهاد، فضلا عن الزاوية التي كانت تقوم بعدة مهام في هاته الظروف المزرية، من إطعام الطعام، وإيواء الغرباء والفصل في الخصومات والإصلاح بين المتخاصمين وإقرار الأمن وتأمين الطرق.

عرف إقليم المغرب الأوسط في فترة العصر الوسيط المتأخر أزمات طبيعية أفرزت كوارث جسيمة لا حصر لها، حتى أصابت الانسان بمخلفات خطيرة وعطلت حركة الإنتاج الحيواني والنباتي، فضلا عن البنى التحتية لا سيما المنشآت العمرانية، مما قعّد لواقعٍ مريرٍ صرحت به المصادر التاريخية من جوع وفقر وعري وانعدام السكن، وعلى إثر ذلك ترتبت عنه آفات اجتماعية خطيرة في وسط الرعية نتيجة صعوبة المعيشة بالإضافة إلى الخوف والهلع ونقص في الأموال، وبطبيعة الحال المناخ يؤثر على طبائع الناس وعاداتهم وحتى على ذهنياتهم.

ومنه ينبغي أن ننوه مع ما تم ذكره من قبل المصادر التاريخية عن الجوائح والكوارث الطبيعية التي اجتاحت المغرب الأوسط وتنوعت من حيث طبيعتها كالقحط [1] والرياح الجراد الزلازل والفيضانات المؤثرة على سلوك البشر، إلى أن القحط هو المسبب الرئيسي في حدوث المجاعة وتفشي ظاهرة الفقر في أي مجتمع ما.

ويبدو أن المغرب الأوسط كغيره من المجالات الجغرافية الأخرى، قد عرف سنوات جفاف وندرة في الأمطار والتساقط مما ألحق خسائر كبيرة على الثروة النباتية والحيوانية، فانعكست بالسلب على إنسان المغرب الأوسط الذي هدد غذاءه ومتطلباته اليومية، فضلا عن إضعاف ما كان يكسب من حقول زراعية ومواشي فأصيبوا بمجاعة شديدة[2]، ويبدو أنها أثرت كذلك على طبيعة سلوكه حتى اقتضاه الأمر إلى اللجوء إلى اللصوصية والعنف بشتى أشكاله، وأصبح من البديهي وجود عصابات امتهنت مهنة اللصوصية وسرقة القوافل التجارية، بالإضافة إلى قطع الطريق للقوافل الحجية القاصدة بيت الله الحرام [3].

([1])- والقحط في اللغة هو احتباس المطر ويُبس الأرض، انظر مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص716.

([2])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 429.

([3])- اللصوصية هي نتيجة حتمية للأزمة فأصبحت مهنة يمتهنها المحتاجون لسد رمق عيشهم وبالتي فهي وسيلة من وسائل كسب المال وجلب الرزق، بالإضافة إلى انتشار ظاهرة البغاء والمتمثل في عرض بعض النسوة أجسادهن لكي

ولعل من القرائن الدالة على ذلك هي المجاعة الشديدة التي وقعت ببجاية سنة 610هـ/1214م بسبب القحط وندرة التساقط، وقد ألحقت بالساكنة خسائر كبيرة حتى أخصب الناس في العام التالي[1]، ولم يزل هذا القحط والجفاف متواصلا تقريبا طيلة النصف الأول من القرن 7هـ/13م، ففي سنة 616هـ/1218م شهد المغرب بصفة عامة قحط وانحباس في المطر إلى غاية619هـ/ 1221م، ومن شدته جف نهر أمسيون الجاري لمدة سنوات عديدة [2]، ويظهر أن هذا القحط والجفاف قد أثر على عدوة المغرب الإسلامي بأجمعها فغلت الأسعار نتيجة نقص المواد الغذائية وكثرة الطلب عنها، وهذا ما أكده ابن أبي زرع أنه في سنة 617هـ/1220م، كان الغلاء الشديد بالمغرب والقحط والجراد [3].

ومنه أصبح الناس المتضررون يأكلون الميتة جميعها[4]، لكن في هذه الوقائع المزرية كان يتدخل بعض شيوخ الزوايا لمساعدة المتضررين، حيث يُذكر أن أبي زكرياء يحي الزواوي قام باكتراء فندق بنحو ثلاثمائة دينار ثم مر على أعيان بجاية فكلمهم واحدا بعد الواحد في معونة المساكين، فيدفع كل واحد منهم ما يطيقه فلما اجتمع عنده مال كثير دفع إلى العامل كراء الفندق بعد أن رغب إليه ثم مشى بطرقات بجاية فكلما مرّ بمسكين دفع له ما يقيه وأوصاه بالذهاب إلى الفندق الذي اكتراه لهم ثم اشترى لهم من اللباس ما يدفع عنهم البرد واشترى لهم ما يقوم بهم من الطعام وجعل عليهم قيما يقوم بهم وأغناهم عن السؤال إلى أن أخصب الناس فانصرفوا إلى مواطنهم[5].

يحصلن على بعض الدريهمات فمنهن من تزني ومنهن من ترقص في الأعراس ومنها من تباع في الأسواق، فقد كانت ببجاية أسواق النخاسة، انظر نوال بزة، علي عشي: الفقر والجريمة في المغرب الأوسط، جدل السببية والحتمية ق 2_10هـ، 8_16م، مجلة الاحياء، مج22، ع30، 2022، ص 962.

([1])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 429.

([2])- الغبريني، المصدر السابق، ص 149.

([3])- روض القرطاس، صور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972، ص 273.

([4])-الحموي: تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تح: أبو العيد دودو، مطبعة الحجاز بدمشق، 1981، ص 101.

([5])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص429.

أما في النصف الثاني من القرن 7هـ/13م وبالضبط في سنة 673هـ/ 1239م، شهدت غالبية المغرب الإسلامي قحطا شديدا واحتباسا للمطر، فأحدث هو الآخر معضلة في أسعار المواد الاستهلاكية، فكانت أكثر الأمصار غالية الأسعار وزاد الأمر سوء بكثرة الفتن والحروب [1].

فضلا عن سلسلة القحوط الأخرى التي اشتدت على سكان بلاد المغرب الإسلامي عموما وأبرزها القحط الذي طال المجالات الغربية من المغرب الأوسط وبالأخص مدينة تلمسان سنة680هـ/1136م، حيث وصفه العبدري في رحلته " ثم وصلنا إلى مدينة تلمسان فوجدناها بلدا حلت به زمانه الزمان وأخذت به حوادث الحدثان فلم تبقى به علالة ولا تبصر في أرجائه للظمآن بلالة من شدة الأزمة وغلاء المعيشة حتى قصد أهلها ملكها ما ينفقون "[2] وهذا يعكس صورة تلمسان المزرية في تلك السنة.

وبعد هذه الواقعة الطبيعية حلت موجة حرارية أخرى كانت شديدة بكافة أقطار المغرب الإسلامي سنة 683هـ/ 1284م، حتى لم ير الناس قطرة ماء منذ بدايتها إلى غاية اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان من تلك السنة [3] وتشير بعض الدراسات أنه حل بمدينة مليانة[4] سنة725هـ/1324م حر شديد[5]، وقد أدى ذلك بلا شك إلى حدوث خصومات بين المزارعين حول شبكة المياه وأوقات السقي لدى الساكنة.

([1])- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 5، تح: ج. س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ت، ص 351.

([2])- الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2007، ص 27.

([3])- السلاوي: الاستقصا، تح، جعفر الناصري، ومحمد ناصر، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص 89.

([4])- تقع مدينة مليانة على وادي شلف شرقي المدينة، كبيرة في حجمها وكريمة المزارع سكانها يمتهنون مهنة النسيج والخراطة ويصنعون أواني من الخشب في غاية الجمال وهي على أربعين ميلا من البحر، ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، مج1، تح: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1997، ص158.

([5])- سمية مزدور: المرجع السابق، ص 114.

وحلّ الجفاف أيضا بالمغرب الإسلامي كله بسبب الرّياح الجافة التي أحدثت أزمة غذائية خطيرة جدا سنة 763هـ/ 1355م، وذلك ما يؤكده توصيف ابن الخطيب لهذا المناخ بقوله" .. وانتهى أمر هذه السنة الشهباء الإيضاحية الى العشر الآخر من يناير العجمي الموافق لأخريات ربيع الأول من العام 769هـ/ 1361م، عظم الجفاف وعصفت الريح والرجف [1]".

كما حدثت مجاعة شديدة في كافة أقطار المغرب الأوسط بسبب هبوب الرياح ذات إعصار سنة 776هـ/1374م، واشتملت هذه السنة على مجاعة شديدة أهلكت زرع صائفتها وحيوانها [2].

وكان للرياح الجافة أو الحرارة الشديدة التي تمس بلاد البربر عموما بالأخص في شهر ماي ويونيو تأثير كبير في فصل الصيف[3]، فيبدو أنها من شدة حرارتها كانت تحترق الثروة الغابية والأشجار المثمرة التي تعتبر قوت الانسان في هذا الفصل ومدخراته في فصل الشتاء، ومنه فكارثة الرياح الصيفية طالما أحدثت أزمة الجوع وقلة كبيرة في المواد الغذائية وهذا ما يؤدي إلى عملية السرقة واللصوصية من أجل الحصول على الغذاء وغدا العدوان على أموال الناس وأمتعتهم الخيار الأسهل لمقاومة تداعيات الازمة الصعبة وغيرها من الانحرافات الاجتماعية الاخرى[4].

والجدير بالملاحظة أن هذه الموجات القحطية الطبيعية التي شهدها بلاد المغرب الأوسط كانت جد متقاربة في فترات معاودته، فأثرت على سلوك الساكنة الاجتماعية بمختلف شرائحها، حيث أصبح المجتمع يفكر في إيجاد حلول لتجاوزها حيث عندما يشتد القحط يلجأ الناس إلى ممارسة طقوس أسطورية مرتبطة

([1])- ابن الخطيب: نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب، تح: السعدية فاغية، ج3، ط1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1989، ص 61.

([2])- سمية مزدور: المرجع السابق، ص 114.

([3])- مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 31.

([4])- محمد عيساوي: الكوارث الطبيعية على بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (9/7هـ_ 15/13م)، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج2، ع3، 2018، ص 238.

بالجفاف والخصوبة، لا يفهمها إلا الولاة الصالحون وحتى المشعوذون[1]، فضلا عن المتصوفة وشيوخ الزوايا وقد تعود جذورها إلى العصور القديمة، ولعل ما يذكر منها كانوا يربطون بعض فروع أشجار العشر والسلع في أذناب البقر ويصعدونها إلى جبل مرتفع ويضرمون النار فيها زعما منهم أنهم يمطرون من وقتهم، ويفهم من خلال هذا المعتقد أن البقر يتحكم في السحب ونزول المطر ويرمز إلى الصيب والإرواء[2].

وفي منحى آخر فالعامة تتجه إلى تفسير هذه الأزمات بما يجري من الظلم والموبقات، لهذا لجأوا إلى الزوايا[3] ومشيختها الصوفية يطلبون منهم الدعاء لاعتقادهم بأن دعاءهم مستجاب ولهم القدرة على النظر في المستقبل الذي لم يستطع أن يطلع عليه أحد دونهم، وما زادهم اعتقادا أن بعض الفقهاء أجازوا أن يكون علم الغيب كرامة لأولياء الله على العادة وممن عرف عنهم ذلك من أولياء الله الحسن أبركان وإبراهيم المصمودي وسيدي الحلوي وأبومدين شعيب وعبد الرحمن بن محمد التامرتي الذي كان يحدث

([1])- برز عند عوام المغرب الأوسط نوع من المشعوذين ادعوا فك الطلاسم من خلال النظر في كتف الشاه وعلم الاكتاف هو علم يبحث في الخطوط والاشكال التي ترى في أكتاف الظأن والماعز، إذا قوبلت بشعاع الشمس من حيث دلالتها على أحوال العالم وقد تخصص بعض الدجالين باسم المتوسمين في تفسير أسرار الطبيعة المكنونة في الكتف، واتخذ كثير من الناس السحر والشعوذة للتكسب السريع بعد أن ضاقت عليهم سبل الرزق، انظر رضا رافع: السحر والشعوذة والتنبؤ ببلاد المغرب الإسلامي، قراءة في الأسباب والمعطيات، مجلة معارف، مج16، ع2، 2021، ص1019 1020.

([2])- عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والأندلس، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2008، ص 142.

([3])-ارتبطت الزوايا تاريخيا بوظيفة الاطعام والايواء التي كانت توفرهما لطلبة العلم وللوافدين سواء معلمين أو طلبة أو غرباء، ومنه أصبح اسمها مرتبط ارتباطا بالإطعام وما توفره خاصة أثناء فترات القحط و المجاعات التي كانت تضرب مناطق عديدة من بلاد المغرب الأوسط، وكانت سمعة الزوايا وعلو شأنها ودرجة الارتباط بها رهينا بعدد الجائعين الوافدين عليها لتناول الطعام، كما كان الطعام الغالب في ذلك الوقت وفي غالب الأحيان عبارة عن خبز وحساء الذرة أو الفول مع بعض الفواكه الجافة كالتين والزبيب والزيتون، انظر نور الدين بلغازي: الطعام في الطريقة الصوفية بين الرمزية والوظيفة الزاوية القادرية البودشيشية نموذجا، نشر كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البضاء، 2018، ص3.

الناس بالمغيبات في زاوية أدغاغ[1] وغيرهم من المتصوفة حيث كانوا كلهم مقصدا للرعية حين تحل الأزمة من أجل التماس الدعاء منهم والتضرع لنزول الغيث وزوال الجفاف.

ويذكر أنه في تلمسان كان أهلها يلجؤون إلى أبي زكرياء أحد الأمراء الملثمين الذي تزهد وأصبح متصوفا يلتمسون منه الدعاء للاستسقاء فقالوا يا أبا زكريا استسق لنا فقام أبو زكرياء ورمى بقلنسوته عن رأسه إلى الأرض وقال يا رب هذا الأقرع يسألك الغيث ثم بعد ذلك "والله ما نزل الناس عن ذلك المكان حتى مطروا مطرا غزيرا"[2].

وفي رواية أخرى عن الولي أبي الحسن الحرالي (ت637هـ/1239م) حين أصاب الناس جفاف ببجاية دعا الله بأن يمطر فاستجاب الله له وأمطرهم مطرا غزيرا وأخذ يغسل ويشرب [3] كما نجد الولي الشيخ واضح الذي ذاع صيته في مدينة الشلف في القرن 7هـ/13م له كرامات تتمحور حول شفاء المرضى وسقاية الزرع وجلب الغيث [4].

وسببت الأعاصير هي الأخرى حالة الفقر [5] من بينها أعاصير وقعت سنة 776هـ/ 1373م، بتلمسان وخلفت دمارا كبيرا حتى أنها أهلكت زرع صائفة تلمسان وحيوانها، وافتقروا إلى ما لدى السلطان الذي تصدق بنصف جبايته على الضعفاء من أهلها [6]

([1])- منصور بختي دحمور: ظاهرة الولاية وتأثيراتها على مجتمع المغرب الأوسط فيما بين القرني 6و9 للهجرة/ 12و15للميلاد، ط1، صفحات للنشر والتوزيع، 2017،ص 131.

([2])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 138 139.

([3])- الغبريني: المصدر السابق، ص 149.

([4])- نوال بلمداني: المرجع السابق، ص131.

([5])- عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج1، ص 255.

([6])- يحي بن خلدون، بغية الرواد، تح: عبد الحميد حاجيات، ج2،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2011، ص 300.

كما يعتبر الجراد[1] آفة طبيعية خطيرة على الانسان وموارده في كل عصر وفي كل مصر، فهو يهدد الأمن الغذائي للإنسان والحيوان، فلم ينجو المغرب الأوسط من ضرره حيث أنه يتلف الزرع ويفسد المحصول خاصة حقول الشعير والقمح، مما يحدث نقصا في المواد الغذائية وخللا في تحقيق الاكتفاء الذاتي للمجتمع ويسبب مجاعات كبرى في وقت وجيز جدا، فقد ذكرت المصادر التاريخية أن الجراد حل بالمغرب سنة 617هـ/ 1220م وكان من نتائجه غلاء شديد[2] ولهذا كان الفلاحون يتنبؤون له في بداية موسم الحرث، فيمتنعوا على الحرث خوفا من خسارة منتوجاتهم[3].

كما اجتاحت موجة جراد أخرى سنة 630هـ/ 1232م، أكل الأخضر واليابس، حتى انعدمت فيه الأقوات ونقضت الغلات وقلت مردودية الأرض وذهب معظم الإنتاج فتضرر الإنسان والحيوان معا[4]، وفي النصف الثاني من القرن7هـ /13م، اجتاح الجراد المغرب الإسلامي وكان ذلك سنة 677هـ/1278م، وبعده بسنتين 679هـ/ 1280م، عم الجراد بلاد المغرب من جديد فأتلف الزرع ولم يترك بها مخضرا[5] حتى لجأ المجتمع إلى المشيخة الصوفية لالتماس الدعاء منهم من أجل زواله، فنجد الشيخ الصوفي أبي محمد عبد الغفور قصده الناس يشكون وضعهم له منن آفة الجراد، فقال لهم لعل الله يصرفه عنكم حتى لا

([1])-أثرت آفة الجراد على الحقول الزراعية وهذا ما ينبئ بحدوث أزمة اقتصادية عابرة تؤثر بشكل كبير على الشريحة الاجتماعية الدنيا، مما يترتب عنها غلاء في أسعار المواد الغذائية خصوصا القمح والشعير نظرا لأهميتها الأساسية في غذاء المتجمع، ويرتفع ثمن القمح بشكل كبير لأنه يحتكر من كبار التجار المتحكمين في هذه السلعة، وقد سجلت لنا المصادر التاريخية بعض الأسعار المرتفعة زمن الأزمات الطبيعية ، فقد أشار ابن زرع إلى أن صاع القمح وصل سنة 624هـ/1228م إلى 15دينارا بسبب هذه الآفة التي عمت عدوة المغرب الأوسط بأكملها ووصل صاع القمح إلى 10دراهم في سنة 677هـ/1278م وبلغ كذلك 10 دراهم سنة 679هـ/1280م، وأهلك الناس بالجوع، انظر الروض القرطاس، ص 274، السلاوي: الاستقصا، ج3، ص 89.

([2])- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 273.

([3])- الونشريسي: المصدر السابق، ج8، ص 164.

([4])- محمد عيساوي: الكوارث الطبيعية على بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (7_9هـ/ 13_15م)، مجلة قبس للدراسات الإنسانية و الاجتماعية، مج2، ع2، 2018، ص235.

([5])- السلاوي: المصدر السابق، ص89.

تعلموا هل غاص في الأرض أم صعد في السماء فدعا لهم وانصرفنا، ثم بعد اليوم التالي ذهب الجراد من تلك المنطقة[1] وهذا ما زاد من تعلق قلوب المجتمعات بالمتصوفة ومدى اعتقادهم بكراماتهم وخوارقهم حتى أصبحوا يقصدونهم في كل وقت وحين.

ومن جهة أخرى صارت مكونات المجتمع تلجأ إلى البحث عن حلول لتجاوزها مثل أسلوب الادخار الذي يعتمد على تخزين المواد الغذائية في المطامير وتجفيفها كاللحوم وبعض الفواكه، وهذا ما فعله الصوفي أبو العباس أحمد بن مرزوق (ت741هـ/1340م) الذي كان يخزن الزرع والفحم في المطامير ويتصدق به للفقراء حين تحل العواصف الثلجية ويهلك الناس [2].

أما بالنسبة للأزمات السياسية وما ترتب عنها من حروب وصراعات شرسة التي كان من انعكاساتها القهر والجوع والحرمان نتيجة تخريب الحقول وحرق المحاصيل وإفساده، إذ شكلت هذه الحروب والغارات أهم معضلة لحقت بالنشاط الفلاحي الغذائي، خاصة أن هناك من يذكر أنه إذا أراد أي سلطان غزو بلد ما والاستيلاء عليه بكل سهولة فينبغي عليه أن يخرب ويحرق المحصول ويهجر الفلاحين ويطردهم من أراضيهم ويجوع المجتمع حتى تفسد أحوالهم ومعاشهم [3].

ولهذا فالسياسة التي انتهجها بنو مرين لإنجاح حصارهم على تلمسان هي القيام بإخضاع مختلف المدن الواقعة على المنافذ المؤدية لمدينة تلمسان وأحوازها [4] وبعدها تحكموا في هاته المنافذ وضربوا حصارا شديدا على مدينة تلمسان وكان في البداية لفترات قصيرة كما حدث في سنة 670هـ/ 1271م، والهدف من هذا الحصار ضرب اقتصاد بني زيان وتجويعهم عن طريق حرق وتخريب الحقول [5]، كما كان يغمراسن بن زيان يقوم بشن غارات على المغرب الأقصى ويخرب ويحرق كل ما مرت به جيوشه حتى أهلك الفلاحين[6]

([1])- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 253.

([2])- ابن مرزوق: المناقب، تح، سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2008، ص 191.

([3])- حميد تيتاو: الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، منشورات كعاظ، الدار البيضاء ، 2010، ص 229.

([4])-محمد ناصري: المرجع السابق، ص 18.

([5])-ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 386.

([6])- بختة خليلي: الحرب وأزمة الغذاء بالمغرب الأوسط الزياني، دراسات وأبحاث، ع16، 2024 ص 241.

وفي مقابل ذلك لم يتوان المرينيين عن شن الغارات على البسائط واكتسحها وخرب الرباع والجنات وقطع الثمار وأفسد الزرع وأحرق القرى والضياع وهو الفعل الذي أهلك الفلاحين وأفقرهم [1].

كما أهلك القائد الزياني أبو سعيد عثمان بلاد بني توجين بتكرير هجماته العسكرية عليها، فمن بين غزواته نحوهم سنة 686هـ/1285م، حاصرهم و ألحق بهم الفساد و الخراب ثم قام بنقل كل منتجات بلادهم النباتية من زروع وحبوب إلى مازونة الزيانية[2].

وفي مقابل ذلك قام بنو توجين بإعلان ولاءهم للمرنيين وألحقوا بالزيانيين خسائر كبيرة عندما قطعوا الثمار ونسفوا الآبار وخربوا الربوع وأفسدوا الزروع ولم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم [3]، كما شن بنو غانية غارات على بسائط إفريقية والمغرب الأوسط فاكتسحوها وعاثوا فيها فكسبوا الأمصار واقتحموها بالغارات وأفسدوا السابلة وانتسفوا الزرع وحطموا النعم إلى أن خربت[4] وكنتيجة لهذه الممارسات العنيفة بين الطرفين عطلت حركة التجارة بينهما بسبب تلف المحصول والخوف من التنقل فارتفعت أثمان مختلف السلع الغذائية في أسواق المدن بسبب قلتها، وغالبا ما كانت تحدث المجاعات في كثير من الأحيان[5]،

([1])- حميد تيتاو: المرجع السابق، ص 233.

([2])- عربية روميلة: إمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين 7،8هـ/ 13،14م، من خلال كتاب العبر لابن خلدون، ماجستير، جامعة معسكر، 2009، 2010، ص 53.

([3])- نفسه، ص 76.

([4])- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، ضبط المتن ووضع حواشيه وفهارسه خليل شحادة، راجعه سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ص 99.

([5])-سمية مزدور: المرجع السابق، ص 96.

بسبب قبض الناس أيديهم عن الفلح في الكثير من الاوقات[1]، فقد تشير بعض الدراسات الحديثة أنه وقع قتل شديد جراء الجوع [2]

وفي ظل ما أوردناه سالفا خصوصا حديثنا عن الأزمات السياسية والحصارات العسكرية التي كانت بين الدول الثلاث في حالة شبه دائمة، فإنّ هاته الحروب [3] كانت مثالا واضحا لهذه المعاناة من حيث الضرر والخراب الذي انجر لطول أمدها وتعدد مجالات الصراع بها [4].

وهذه النزاعات على وجه الخصوص التي نشبت على أرض المغرب الأوسط وكانت كذلك نموذجا واضحا في عملية تخريب الحقول الزراعية والمجال الرعوي خاصة في مجالات التخوم، إذ ألحقت تأثيرا كبيرا على القطاع الفلاحي الذي يشكل في حد ذاته المورد الأساسي لغالبية سكان المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، ولا شك أنّ الحرب عموما ترتبط أشد ارتباطا بالفقر، حيث تصبح في هذه المحن الصعبة قوام معاش البدويين ومصدرا عاديا للكسب والعيش [5].

([1])- لجأ مجتمع المغرب الأوسط إلى عملية تجفيف الثمار أثنا قبض الناس عن الفلح بسبب الحروب وغيها من الأسباب الأخرى ويعتبر التجفيف والتخزين هو الحل الوحيد الذي امتهنه المجتمع لتجاوز أزمة الجوع، أو كاحتياط لمواجهة الحروب المتوقعة والتي ينجم عنها حصار شديد، ويكون الطعام المخزن هو الحل الوحيد للعيش، فقاموا بتجفيف التين و العنب لأنه لا يتلف لفترات طويلة، انظر: موسى هواري: قطف الثمار وتجفيفها ببلاد المغرب في العصر الوسيط من خلال المصادر، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج7، ع4، 2022، ص 281 282 283.

([2])- خالد بلعربي: الصراع العسكري الزياني المريني: أسبابه ونتائجه، مجلة الحضارة، ع14، 2010، ص188.

([3])- نجم عن هذه الحروب معاناة شديدة لدى مجتمع المغرب الأوسط وعم الخوف أوساطه الاجتماعية كما أنه عاش في وسط معرض للأسر والسبي في كل لحظة، فقد سبى أبو ثابت حرم وبنات أبي الحسن المريني في أحدى معاركه ضد المرينيين كما أغر أبو حمو موسى الزياني الثاني على سويد بملال وسبى العديد من نسائهم ثم توزع هذه السبايا على الجنود واختلفت وضعياتهم فمنهم من بيع في الأقواس ومنهم من يسجن ويعذب، انظر محمد ناصري، خالد بلعربي: الحرب والانسان بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني: الأسر نموذجا، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات، مج4، ع8، 2018، ص 107 108.

([4])-بختة خليلي: المرجع السابق، ص 239.

([5])- نفسه، ص 238.

ومن البديهي أن يتأثر مستوى معيشة العامة بالأوضاع السائدة وحسبنا أنه كان يتحسن نسبيا إبان فترات الاستقرار، ثم يتدهور تدريجيا أثناء حدوث الكوارث سواء الطبيعية أو الأزمات السياسية، وبناء على هذا فيبدو أن مأكل ومشرب الفقراء مرتبط بجلمة معايير تتمثل في الأسعار، الدخل، القدرة الشرائية، الصدقات والإحسان التي تكون دائما من طرف المؤسسات الدينية بما فيها الزاوية [1].

هذه بعض النماذج عن الصراع العسكري والحروب التي كانت تدور رحاها بين الزيانيين والمرينيين، وغالبا ما ينجر عن هذه الأوضاع المزرية هجرة الناس لأراضيهم خاصة الفلاحين وتركهم لها حتى أضحت أراض موات ومهجورة[2]، وينطبق المثال ذاته على المداشر التي خلت وهاجر عنها أهلها[3]، فأهلكت الفلاحة وأصيبت بالتدهور والانهيار[4]، ومنه ضاق الحال على العديد من الأسر الفقيرة ذات الدخل المحدود، حيث تدهورت أوضاعهم وأصبحوا يشتكون الفقر مما اضطرهم إلى التوجه للزوايا والمراكز الدينية الأخرى قاصدين الطعام والأمن من الخوف، وكانت العامة تقطن بالقرب من زوايا الأولياء فنجد زاوية مملوءة بآلات الحرب ومكان استقرار المجاهدين[5] .

وفي هذا السياق تدخلت الزاوية هنا لتقليص هاته الأزمات عن طريق خلق جو التكافل الاجتماعي ومساعدة المتضررين مثلما هو الحال عند المشيخة الصوفية فكان الفقراء يقصدونها في أماكن تواجدها واستقرارهم خاصة في الزوايا والمساجد من أجل التماس الدعاء منهم لزوال هاته الشدائد أو إيجاد بعض الأطعمة عندهم التي كانت تخصصها للطلبة والمريدين وعابري السبيل، فنلاحظ أن المساجد أصبحت مقصدا للمحتاجين المتسولين، خاصة يوم الجمعة حين يجتمع الناس لأداء صلاة الفريضة، ويتواجد بها

([1])-إبراهيم قادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د ت، ص 210.

([2])-حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 217.

([3])-ابن غازي المكناسي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 1988، ص 40.

([4])-حميد تيتاو: المرجع السابق، ص 249.

([5])-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1، ص 466.

المتصوفة فقد كانت أصواتهم تعلو لتبيان مدى حاجتهم وفقرهم[1]، حتى أن هناك منهم من يدخل داخل المسجد وينادي ويشكوا المصلين فقره ويطلب الصدقة[2] ، إذن هنا أصبح المسجد يقوم بدور الزاوية في إطعام الطعام وتلبية حاجة الفقراء فقد نجد الصوفي أبو زكرياء يحي الزواوي(ت611هـ_1215م) زمن المجاعة التي شهدتها بجاية بجمع قدر من المال من تجارها وأعيالها ثم قام بتوزيعه على المتسولين حتى أغناهم عن السؤال واشترى لهم من اللباس ما يدفع عنهم البرد واشترى لهم ما يقوم بهم من الطعام[3] وهذا ما يدل على مواقفه الإنسانية ومدى اهتمامه بمظاهر التكافل الاجتماعي وبالتالي يمكن أن نعتبر الزواوي المثال الأكمل للزهد المترفع عن الأمور الدنيوية والمنهمك في التفكير في اليوم الآخر كيف لا وهو من إخوان الشيخ أبي مدين شعيب اللذان يمثلان صوفية كبار تزعما العقيدة التومرتية ومثلاها في كل من بجاية وتلمسان خلال القرنين 6و7هـ/12و13م، فكان الزواوي بحق يمثل دور الزاوية الاجتماعي في مواجهة الأزمات ببجاية [4].

بالإضافة إلى ذلك يذكر ابن قنفد القسنطيني أن هناك جماعة من المتسولين كانت ملازمة قبر أبي مدين شعيب الغوث(ت594هـ/1197م) بالعباد، حتى أصبح كل زائر للقبر يتصدق بماله لهذه الفئة المعوزة الملازمة لباب الضريح [5]، ونتيجة تزايد العمران الصوفي [6] وقيامه بوظيفة الإطعام والايواء أصبح أحد أهم

([1])- العقباني: تحفة الناظر، تح، علي الشتيوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، د ت، ص 42.

([2])- الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص 147.

([3])- هذه الاعمال التي قام بها الزواوي اتجاه المجتمع المتضرر تنعكس على الزاوية والادوار التي تقوم بها سواء الدينية التعبدية أو الخدماتية اتجاه المجتمع، وبالتالي أضحت بذلك مؤسسة اكتست أهمية بالغة استمدت أهميتها من طبيعة مؤسسها الذي اتسم بالتعلق بالآخرة ونبذ الدنيا فزاوج في مسار حياته بين متطلبات السماء وحقوق وواجبات الأرض انظر نذير برزاق: أبو زكرياء يحي الزواوي وزاويته ..الانسان والمجال والمقدس، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج8، ع1، 2017، ص249 250.

([4])- نذير برزاق: المرجع السابق، ص249.

([5])-انس الفقير، ص 106.

([6])- تعتبر الزاوية الممثل الرئيسي للعمران الصوفي المتولد عن أفكار وضع أسسه الولي، ثم يكتسب هذا العمران بركة الولي نوعا من الاستقرار والديمومة الكافية لخلق الرواج وخلق إمداد له من محيطه الجغرافي والاجتماعي حتى يصبح له

العوامل الجاذبة للفقراء، فقد صارت لهم الزوايا مكانا آمنا يحصلون فيه على أمنهم الغذائي، لقول أحمد بن يوسف المليانى في وصف زاويته بسفينة نوح من دخلها أمن [1].

فالزوايا عموما تجلت أدوارها الاجتماعية في إطعام الطلبة والمريدين وعامة الناس خصوصا خلال المجاعات والأوبئة، بالإضافة إلى حفر الآبار والسواقي وقد كان الصوفي سيدي الغزواني يقول لإتباعه من حفر ساقية صنع للناس طعاما [2] وهذا من أجل مواجهة ظاهرة نقص الغذاء والحد من مشكلته خاصة في البوادي، هنا الزاوية أخذت على عاتقها التكفل بإطعام أبناء السبيل، حيث تحدث المازوني في ظاهرة قيام المريدين بترك الطعام لابن السبيل في الطريق [3].

ومن هنا تبدو الزاوية المنقذ للمجتمع من ندرة الطعام وهي الأداة التي كانت تحتوي أزمة الجوع، مما جعل الانخراط فيها وسيلة لضمان الحياة، ويتأكد جليا من خلال المعطيات المصدرية أن مشيخة الزوايا الريفية قد وجدوا في حاجة الفرد إلى أمنه الغذائي فرصة لضمان استمرار المزارع الوفي لشيخه، لذلك فإن الزاوية عموما كانت محل للإقامة ومركزا للإيواء والتي يصاحبها في الغالب إطعام المحتاجين من القاصدين [4]، وفي نفس السياق يذكر ابن بطوطة أنه مرّ بزاوية مفتحة أبوابها للوفود القاصدين بها مطبخ لطهي الطعام للوافدين والقاصدين والمقيمين[5].

والواقع أن المتصوفة قد استغلوا هاته الفرصة لكسب المريدين حتى ضاعفوا صدقاتهم وأوقاف زواياهم لدى المحتاجين من الفقراء، كما استخدموا كراماتهم الصوفية خاصة أوقات الحاجة ويلاحظ أن الصوفي يتعرف على المعوزين والمساكين من باب المكاشفة من ذلك أن أبا الحسن علي بن محمد الزواوي (

إمدادا طبيعيا ووظيفيا فالمقصود هنا تحول الفكرة الدينية إلى حقيقة تمدينية إذن فالدين له ارتباطا وثيقا بالعمران، انظر جمال بامي: العمران الصوفي بين الأسطورة والتاريخ، مجلة أمل، ع41، د ت، ص18 19 20 22.

([1])- بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 800.

([2])- جمال بامي: المرجع السابق، ص 22.

([3])-بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 801.

([4])- ابن مرزوق: المسند، ص 413.

([5])- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج4، ص318.

ق7هـ_13م) قد أخرج عائلة بجائية من فاقة غذائية من أواخر الشتاء إلى أوائل الربيع، والامر نفسه مع أبي الحسن الحرالي أعان أهله بكرامة تجسدت في شكارة قمح كفت العائلة وزادتها عن حاجتها وكفت بعض التميرات جوع من أصابه أياما معدودة، ومنه فقد نفهم أن الطعام اكتسى صفة القداسة لدى الفئة المستفيدة منه وأحد أهم روافد التكافل الاجتماعي للمتصوفة زمن الأزمة[1] وممّا يذكر أن السنوسي كان يتصدق بالسر على الفقراء، ويوصي أهله بالتصدق على المحتاجين والفقراء، خاصة أيام المحن والأزمات التي يترتب عنها الغلاء فتهلك الشريحة المتوسطة والفقيرة من المجتمع، وفي آخر عمره كان يتولاها بنفسه حتى أنه كان يدفع لهم على حد تعبير الطاهر بونابي[2].

وكان أبو عبد الله محمد بن مرزوق يملك بستانا يتصدق منه للمرضى والمحتاجين كما كانت له صرة فيها دراهم يتصدق بها على الصبيان والمساكين الذين يتعرضون له في الطريق، أما أبو يعقوب المازوني فتصدق بجميع ميراثه البالغ قيمته خمسمائة دينار ذهبي على الضعفاء والمساكين من الفقراء والايتام والأرامل وذوي الحاجات [3]، فضلا عن الشيخ الحسن أبركان الذي كان شديد الشفقة عليهم يوزع عليهم الصدقات والنذور والذهب [4].

وهناك مشيخة صوفية تعاطفت مع الفقراء وشاركتهم فقرهم وحرمانهم، ليس رغبة في ذلك بل بهدف التخفيف من شدة بؤسهم ومقاسمتهم معاناتهم رغم غنى بعض الصوفية نتيجة الصدقات والأوقاف المحبوسة على زواياهم، فأكلوا الحنطة، الشعير، الذرة، الزيت والتمر، وقد كان الصوفي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب جد متقشف في مأكله، فيفطر على قشرة خبز وثلاث بيضات [5]، وكان أبو العباس أحمد بن

([1])- عفاف غرزول: الخطاب الاجتماعي للكرامة الصوفية في المغرب الأوسط (6_10هـ/12_16م)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج2، ع1، 2019، ص 245 246.

([2])-بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 800.

([3])-صبرينة بولامة، يوسف عابد: سلطة المتصوفة والأولياء في المغرب الأوسط الزياني: الروافد والتأثيرات، مجلة عصور الجديدة، مج13، ع2، 2023، ص162.

([4])- بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 799.

([5])-عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج1، ص 268.

مرزوق (ت741هـ-1340م) الذي كان له كل يوم خبز الصدقة وثياب في كل سنة يصدقها لأهل تلمسان [1].

ومن الأدلة التاريخية كذلك ما يروى عن الزاهد أبركان في تلمسان الذي كان يقتات من الطعام الذي يتساقط في الطرقات ويتواجد في أثقاب الحيطان وكان مداوما على الصوم [2]، أما محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الإمام السنوسي يفطر على يسير الطعام ويصوم يوما بيوم صوم داوود عليه السلام وربما بقي ثلاث أيام أو أزيد لا يأكل ولا يشرب [3].

كما ذكر ابن مرزوق الخطيب في روايته المنقبية أن ضعيفا جاء يشتكي جوعه وجوع عياله، وفي تلك السنة مجاعة كبيرة فطلب من جاء بالفرن وهو صاحب الخبز أن يعطيه خبزا له ولعياله وأهل داره، فأخذ الضعيف جميعه، وخرج ولده يشتكي جوعه ثم خرجت الخادمة تشتكي جوع أهلها فقال لها: " ذهب خبزكم إلى من هو أشد حاجة منكم"[4] وكان التازي يحب الفقراء ولا يدخر شيئا مما كان يصله من صدقات بل يوزعها على الفقراء [5].

ومثال على هذا العمل ما كان يقوم به ابن مرزوق الحفيد، في حين كان أحمد الغماري يحمل أثقالهم ويؤنسهم ويسأل عن حالهم ويوزع عليهم الصدقات والنذور والذهب الذي كان يصله من بلاد السودان، ويتولى خدمة المرضى بنفسه، ويسقي الماء لهم ويحمل إلى بيوتهم الطعام، ويتفقد أحوالهم ويؤنس غربتهم[6].

وعلى غرار ذلك فقد استخدم الأولياء كرامتهم في الإطعام فقيل أن رجلا ذهب إلى الصوفي أبو الحسن علي بن محمد الزواوي يشكو له فقر عائلته وكان هذا الشيخ من كبار العلماء عرف بالعبادة والصلاح والولاية، كانت له كرامات، ومما يروى أنّ شيخا دخل إلى منزله وأخرج أمدادا من القمح وأوصاه أن يتناول

([1])-ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 191.

([2])-ابن مريم : المصدر السابق، ص 88.

([3])-نفسه، ص 243.

([4])- ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 299.

([5])-ابن صعد: المصدر السابق، ص 155.

([6])-بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 799.

منها وهو طاهر، فطبق الرجل كلامه فكفاه هو وعائلته من آخر الشتاء أوائل الربيع حتى دخول زمان الصيف [1].

ويشير الطاهر بونابي إلى اشتداد أزمة الفقر وتراجع المستوى المعيشي خلال القرن 9هـ، 15م، فقد شهد اتساعا في ظاهرة الفقر وانتشار الفقراء، أكثر من ذي قبل وهو ما تعكسه جهود محمد بن عمر الهواري في حث الأغنياء وأرباب الدنيا والتجار، على اخراج زكاة أموالهم وتوزيعها على الفقراء فضلا عن قيامه بتوزيع الصدقات والنذور التي تصله في وقتها على المعوزين من الناس وعلى نهجه سار كل من إبراهيم التازي وأحمد الغماري وأبا الحسن أبركان ومحمد بن يوسف السنوسي [2].

إضافة إلى هذا فإنّ النصوص المنقبية تشير إلى امتلاك الصوفية الميسوري الحال مطامير القمح ومخازن الفحم التي كانوا يخصصون منها نصيبا للفقراء كمطمورة يحي بن عبد الله الهواري[3]، وكان كذلك الشيخ أبو العباس أحمد بن مرزوق (ت741_1340م) مقصودا في زاويته فقد كانت له مطامير من قمح وفحم وكان يعد اللحم المدخر المعروف بالمسلي وبالخليع والزيت، فإذا كان الثلج فتح مطمورة من قمح وأخرى من فحم ويتصدق بالزرع والفحم والإدام طول يومه فلا يرجع إلى داره حتى يفرغ من المطمورتين وكان له كل يوم خبز الصدقة، وثياب في كل سنة [4].

فالغاية من ذكرنا دور المتصوفة[5] في تجاوز أزمة الجوع التي أصابت المجتمع، كونهم الممثلون الشرعيون لدور الزوايا كما أنهم أدركوا أهمية الاطعام في تحقيق الشهرة لزواياهم، لذا فقد استخدموا كل مواردهم المالية

([1])- الغبريني: المصدر السابق، ص 126.

([2])-بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 799.

([3])-نفسه، ص 799.

([4])- ابن مرزوق: المصدر السابق، ص191.

([5])- التصوف في بلاد المغرب الإسلامي عموما وأوسطه خصوصا مقرونا بذكر الزاوية فلا يمكن بأي حال من الأحوال التحدث عن أي صوفي دون الكلام عن المؤسسة التي تلقن فيها علم التصوف وهي بطبيعة الحال تأسست من أجل تلقين المريدين الأوراد واجبارهم القيام بشعائر صوفية والتفرغ للخلوة والعبادة، بل تعدت ذلك إلى تلقين العلوم الإنسانية

والاقتصادية بل حتى ثرواتهم المالية الخاصة بهم لإطعام أكبر عدد ممكن من الوافدين والزوار[1]، وبالتالي تبقى وظيفة إطعام الطعام مرتبطة ارتباطا وثيقا بالزاوية، وفي كثير من الأحيان حتى اعتبرت مؤسسة اجتماعية أكثر منها مؤسسة دينية أو تعليمية[2]، ولهذا أصبحت الزاوية هي الملجأ لإطعام من يقصدها من المحتاجين[3]، ولعل من بين الزوايا التي اختصت كذلك بهذا الدور زاوية يوسف بن يعقوب البويوسفي(ت717هـ/1318م) فقد كانت قبلة للفقراء وشيخها في حد ذاته عرف بإفشاء السلام وإطعام الطعام حسب تصريح ابن قنفد القسنطيني[4].

كما ينطبق المثال كذلك على زاوية إبراهيم التازي فقد يفهم من خلال ما أورده ابن صعد عن زاويته " ورتب لهم ما يجب حق الضيافة" فأنها كانت بها مطابخ مخصصة لطهي الطعام يقدم للزوار والمحتاجين [5] ويبدو أن هذا العمل على مساعدة الفقراء من أولويات النشاط الصوفي الاجتماعي حيث جعل أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي من داره في النصف الثاني من القرن 8هـ/14م، زاوية للوارد يطعم فيها الطعام حتى أنه ينفق على الفقير الجائع وعلى أهل بيته [6].

بكامل فروعها كما أنها الدار المقصودة للضيافة وإطعام الطعام، انظر عبد اللطيف بن رحو: الزوايا ودورها الاجتماعي بالمغرب الأقصى في عصر بني مرين، شبكة الالوكة، د ط، د ت، ص 28.

([1])-عبد اللطيف بن رحو: المرجع السابق، ص 28.

([2])-عبد اللطيف الشاذلي: التصوف والمجتمع، نماذج من القرن 10هـ، المغرب، منشورات جامعة الحسن الثاني، 1998، ص 192.

([3])-صابرة خطيف: فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، ط1، جسور للنشر والتوزيع، 2011، ص 359.

([4])- أنس الفقير، ص 44.

([5])- ابن صعد: المصدر السابق، ص 158.

([6])- صبرينة بولامة: المرجع السابق، ص162.

ويذكر حسن الوزان أن أحد الأولياء كان يقطن بإقليم البطحاء وكان من كبار الأغنياء، إذ يملك الأراضي والمواشي ويصل مدخوله السنوي بين أربعة آلاف وخمسة آلاف دينار، بالإضافة إلى الصدقات التي تأتيه من كل مكان، فكان يطعم الفقراء في زاويته لكنهم يساعدونه في أشغال الزاوية [1].

أما زاوية أبو مدين شعيب كانت أوقافها تصرف على المنقطعين للعبادة [2]، وكذلك المتصوف أبو الهادي أوصى قبل وفاته أن يوزع كل ما يملكه من مال في زاويته على الفقراء والمنقطعين للعبادة في زاويته[3].

وإجمالا للقول فإنّ معظم الزوايا التي قامت في إقليم المغرب الأوسط، قد اهتمت بخدمة المجتمع والفقراء وحاولت فعالياتها الصوفية مواجهة وتجاوز الأزمات التي خيمت على الساكنة المغرب أوسطية، فخصصت مواردها المختلفة والمكونة من الصدقات والتبرعات والأحباس للفقراء والمساكين والزائرين وعابري السبيل وطلبة العلم.

([1])-حسن الوزان: المصدر السابق، ص ج2، ص 28 29.

([2])-ابن قنفد: المصدر السابق، ص106.

([3])-نفسه، ص52.

ب_ هل شكلت الزوايا بديلا طبيا شعبيا؟

شهد المغرب الأوسط العديد من الأمراض الفتاكة [1]، التي أهلكت المجتمع وألحقت به خسائر بشرية كبيرة جدا ومن شدة تأثيرها على صحة المصاب حتى عجز الأطباء عن عملية علاجها وتشخيص حال المريض، أو إيجاد حلول لمواجهة هاته المعضلة، فضلا عن نقص موارد التداوي والعلاج، وغياب الأدوية المقاومة والمخففة للمرض، مما دفع المرضى إلى قصد مراكز الأولياء والمتصوفة، الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية إيجاد العلاج الروحي لهذا الأمراض المتعبة لجسم الإنسان، خاصة الأمراض الوبائية التي أهلكت المريض جسميا والصحيح نفسيا، كما أن هنالك من اعتبر هاته الأوبئة عقابا من الله تعالى فقصدوا أقرب عباده من أولياء وصالحين ومتصوفة يلتمسون الدعاء منهم بالشفاء كونهم مستجابي الدعوة، أو إيجاد طرق لعلاجهم فضلا عن زيارتهم للأضرحة والمزارات الصوفية.

وفي خضم هذا الواقع ظهرت روايات ونصوص منقبية عديدة رسمت لنا ملامح عن صورة الوضع العام، خاصة ما تعلق بالطرق التي اتبعها الولاة في تشخيص وعلاج مرضاهم، وبالطبع فإن المراكز الاستشفائية الصوفية كانت هي الزوايا أو بيوتات الصوفية، فضلا عن الأضرحة التي كان يقصدها المرضى من أجل نيل بركة الشفاء، ومن أشهر الطرق العلاجية المشهورة عند الصوفية ما يأتي:

([1])-من بين الامراض الفتاكة داء الطاعون فقد كان من الأوبئة الأكثر فتكا بالإنسان، سريع الانتشار يظهر بشكل متتالي ومفاجئ على رأس كل عشر سنوات أو خمسة عشر سنة أو خمسة وعشرين سنة ومصدر هذا المرض كان يأتي من المشرق ، حيث تعد بلاد الرافدين وشبه الجزيرة العربية ومصر مهدا لهذا الوباء، وكانت الهجرة البشرية عاملا أساسيا في نقله خاصة في موسم الحج ولم تنجُ بلاد المغرب الأوسط من هذا الوباء، فقد ظهر طيلة سنوات عديدة عانى فيها سكان المغرب الأوسط معاناة شديدة حيث لمس هذا المرض جميع شرائح المجتمع ومن شدته كان الناس يموتون فيه من غير مرض وكان الرجل لا يخرج من بيته حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه في ورقة ويضعها في جيبه فان مات حمل إلى موضعه وأهله فقد فتك بعائلات كثيرة أشهرها أسرة الحفيد العالم التفريسي التلمساني، كما توفي به العالم المعروف بابن الامام أبو موسى عيسى وغيره من العلماء والأهالي بتلمسان، إضافة إلى العالم التلمساني أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن المغراوي الشهير بابن زاغو انظر ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 267، عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج1، ص 252 253.

1_ الرقية الشرعية.

تعد قراءة القرآن الكريم أهم طقس في الرقية الشرعية ولا ينبغي أن تتم كيف ما اتفق بل لا بد أن تكون قراءة تصورية كما يقول أحد منظري الرقية " لا يكفي مجرد القراءة بل لا بد من تصور معاني الآيات والتأثر بها، وإذا أردت معرفة قوة هذه القراءة على الجان أو على الأمراض العضوية فتصور تلك المعاني العظيمة فهي على الجان مؤثرة وعلى المرض العضوي شافية[1] ويقصد بها العوذة التي يرقي صاحب الآفة كالحمى والصدع وغير ذلك من الآفات[2]، وهي من الطقوس القديمة التي كان يمارسها العرب القدامى قبل ظهور الإسلام[3]، حيث نجد الولي قد اعتمد إلى جانب القرآن الكريم للاستشفاء الرقية وكتابة الحروز، فكان أبو العلاء المديوني (ت 735هـ/ 1334م) من أكابر الاولياء الصالحين المخصوصين بالكشف والرقى المبرئات من جميع الداء لأولى العاهات[4]، ويكشف المرض من خلال أنوار الغيوب ما ينال به الصوفي من المعارف ما لا يناله العقل منها[5].

([1])-يونس الوكيلي: الرقية موضوعا أنثروبولوجيا: التطبيب الديني وصراع أنماط التدين في المغرب، Hesperis-Tamuda، ع3، 2020، ص151.

([2])-ابن منظور: المصدر السابق، مج3، ص 1711.

([3])- نللي سلامة العامري: المرجع السابق، ص 343.

([4])-ابن مريم: المصدر السابق، ص 70.

([5])-أبو بكر الجزائري: إلى التصوف يا عباد الله، دار البصيرة، الإسكندرية، د ت، ص 67.

كما استخدم بعض المتصوفة الطلاسم [1] وهي عبارة عن أسماء مبهمة ورسوم توضع في تمائم وتوضع في الصدر، لكن الطلاسم والحروز هناك بعض الولاة من نبذها واعتبرها شركا [2] كالشيخ أبو نصر الزواوي (9هـ/15م)، الذي منذ أن وجدها مترامية على الأرض صار يحذر منها طلبته من كتابتها لما تحتويه من قرآن كريم[3].

لكن معظم المشيخة الصوفية عالجت المرضى عن طريق الرقية الشرعية كالشيخ أبو العباس أحمد بن ادريس البجائي (ت بعد سنة 760هـ/ 1358م) [4]، الذي كان يداوي مرضاه بالرقية وهي قراءة الفاتحة فقط [5].

([1])- علم الطلمسات يبحث عن كيفية تركيب القوى السماوية الفعالة مع القوى الأرضية المنفعلة في الأزمنة المناسبة للفعل والتأثير المقصود مع بخورات مقوية وجالبة لروحانية الطلسم لتظهر من تلك الأمور في عالم الكون، وقيل هو مقلوب مسلط من جهة الغلبة والتسليط تتبع طباع الأدوية والعقاقير وحركات النجوم، وقد انتشر هذا النوع من الطب بانتشار كتبه مثل قبس الانوار وجامع الأسرار للندرومي وكتاب شموس الانوار وكنوز الأسرار، انظر بو عبدالله كريم، عمر سي عبدالقادر: الطب في المغرب الأوسط الواقع والمؤسسات، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج10، ع1، 2024، ص13.

([2])- أصدر الونشريسي فتوة تحرم الاستشفاء بالرقا والكتابة في الحرز، حيث سئل عمن يكتب حروفا مجهولة المعنى للأمراض فتنتج ويشفى بها فقال لا يجوز أن يستشفى بها فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الرقا قال:" أعرضوا عليَّ رقاكم" فلما عرضوها قال:" لا أرى بأسا من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل" وإنما أمر بعرضها لأن من الرقا ما يكون كفرا، وينهى كذلك عن تعلم ما يعرف بعلم جلب الجان، انظر الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص 171.

([3])-بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 799.

([4])- أبو العباس أحمد بن إدريس البجائي الشيخ الصالح العلامة الفهامة أخذ العلم عنه أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي ويحي الرهواني وابن خلدون له شرح على ابن حاجب ، نقل عنه الصوفي ابن عرفة و أبو العباس القلشاني وابن زاغو والمشدالي ونقل هنه جواز الرقية بالفاتحة، انظر، محمد بن مخلوف: المرجع السابق، ص 233.

([5])-نفسه، ص 233.

2_ التفل بوصفه ممارسة علاجية شعبية مع اللمس والمسح.

يعتبر التفل من الطرق التي يتبعها شيوخ الزوايا لعلاج المرضى لاعتقادهم أن ريق الولي يعد بركة ووسيلة للشفاء، فيذكر ابن مريم أن الولي عبد الرحمن بن تومرت خرجت له أكلة في الخد وطال أمرها وصارت تتزايد حتى لقي الشيخ الصوفي أبركان فعالجه عن طريق البصق في يده وطلب منه أن يضعها على تلك الاكلة فقال المصاب بعد عدة أيام لم يبقى لها أثر وكان هذا من عجائب بركات الشيخ أبركان [1].

يكون المسح واللمس عن طريق وضع الشيخ يده على المكان المريض فيقرأ القرآن عليه، وبعض التعاويذ فيبرأ، ومن الأدلة التاريخية على ذلك ما ورد عن مسح الولي أحمد بن يوسف الراشدي بيده على امرأة أصابها مرض في جسدها فشفيت [2]، وكذلك عندما أتاه رجلا آخر يشكو معاناة زوجته من داء عظيم أصاب جسدها فألح الزوج على الشيخ أن يلمس بيده على الداء في جسدها فمسح بيده على موضع الداء فشفيت منه [3].

كما تنوعت الوظائف والأدوار التي اضطلعت بها الزاوية الراشدية، فقد كانت مقصودة لطلب الاستشفاء وقد قام شيخها أحمد بن يوسف المليانى بدوره في مواجهة المرض وكانت تثوى بساحة اويته النعوش ويأوي إليها الموبوؤون، ويلتمس الشفاء على يده عامة الناس وخاصتهم، ويبدو أنه صادقا في عمله فلا يميز بين مرضاه ولا يفاضل بين المحب الغالي ولا المبغض القالي ولا يخشى العدوى فيلامس الداء مباشرة ولو كان نازلا بامرأة وهو يعلم بأن هذه الملامسة من إنكار المعترضين ما هو أشد من العدوى وأفتك من الداء[4].

([1])- ابن مريم: المصدر السابق، ص 80.

([2])- محمد حقي: الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة مانبال، 2007، ص 355.

([3])- سمية مزدور: الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط، مغرب أوسطيات دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الوسيط، مكتبة إقرأ، قسنطينة، 2013، ص 167.

([4])- عبد الله نجمي: التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة (ق16_17م)، منشورات كلية الآدب والعلوم الإنسانية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2000، ص 90.

وإذ كان دور الاستشفاء الذي اضطلع به الشيخ أحمد بن يوسف على صلة بالأوبئة المتفشية على عهده وفتكها الذريع بالبوادي حيث كانت كل الأبواب تغلق في وجه المصابين إلا أبواب الزوايا، لهذا نجد شيخ الزاوية الراشدية يمارس التطبيب والاستشفاء يوميا سواء كان المريض مصاب بالوباء المعدي أو حالة مرضية عادية يشكو منها زائر أو عابر سبيل [1].

ج_ التداوي بالتبرك بقبور الأولياء والشرفاء:

اعتبر مجتمع المغرب الأوسط مؤسسة الزاوية الضريح مراكز للاستشفاء من الأمراض المستعصية، سواء الجسمية أو الروحية، اعتقادا منهم أن الولي المتوفى لا تنقطع كرامته الاستشفائية حتى بعد وفاته[2]، وأثناء زيارتنا لضريح أبي مدين شعيب بتلمسان لاحظنا قواعد السلوك التي تصف ما يجب أن يكون عليه الزائر عند الضريح وربما تعود هذه السلوكات إلى العصر الوسيط، وهي نزع النعل وهو ممارسة إلزامية ينبغي على الزائر أن يخلع حذاءه قبل دخوله إلى القبة وهذا احتراما لصاحب الضريح كونه مكان مقدس وطاهر لا يقبل التدنيس، ثم الوقوف أمام الضريح مع الترحم على الشيخ وبعدها يكون الدعاء مع رفع الأيدي، حيث يطلب فيه الزائر الرجاء ورضا الولي وطلب قضاء حاجاته أو طلب الشفاء من المرض، وهناك من يرقد بجانب الضريح ويطلب الشفاء العاجل ويكون النوم لمدة معينة حسب الحالة المرضية المستعصية.

كما لاحظنا هناك من الزوار من يأخذ قطع من القماش المغطى به القبر ويحمله معه للبركة وهذا اعتقادا منه أن السحر أو داء العين لا تقترب إليه ما دام القماش المبارك بيده، كما كان الزوار يشعلون الشموع والبخور ويقدسون كل ما هو مرتبط بالضريح كالجدران القماش التراب الموجود فوق القبر مع تقبيلها، وأثناء الانتهاء من الزيارة يقدمون مبالغ مالية مع تقديم الطعام من أجل كسب الرضا ونيل البركة.

فيبدو أن ضريح أبو مدين شعيب مقدسا منذ العصور الوسطى وقبلة للزوار والمصادر التاريخية شاهدة على ذلك، فقد وصف العبدري منطقة العباد بتلمسان أثناء رحلته بأنها مدفن الصالحين وأهل الخير وبها المزارات، ثم خصص من بين هذه الأضرحة المقصودة ضريح أبي مدين شعيب واصفا إياه القدوة فرد زمانه

([1])- عبد الله نجمي: المرجع السابق، ص 90.

([2])-ابن قنفد: المصدر السابق، ص7.

ثم قال:" وعليه رباط مليح مخدوم مقصود والدائر بالبلد كله مغروس بالكرم وأنواع الثمار وسوره من أوثق الأسوار وأصحها، وبه حمامات نظيفة ومن أحسنها وأوسعها وأظفها حمام العالية وهو مشهور قل أن يرى له نظير"[1] ومن خلال هذا الوصف للضرح المقصود يتبين أن له شهرة عالية داخل تلمسان وخارجها كما أنه جلب العديد من الخدمات لدى الساكنة التي بحوله، وذكره المقري بقوله أن الدعاء عند قبره مستجاب ثم قال وقد زرته ودعوت الله تعالى عنده بما أرجو قبوله[2]، وذكر قبره كذلك أنه معهود مشهور مُزار رأيت من قبور الأولياء ما رأيت أنور من قبره، ولا أشرق ولا أظهر من سره وليس الخبر كالعيان[3].

كان قبر أبي العلاء المديوني مقصدا ومزارا للمرضى [4] ونالت قبور الشرفاء اهتماما بالغا في علاج المرضى فقبر سيدي أبو سعيد الشريف الحسني المتواجد في شرق باب القرمدين ما زاره مريض إلا وبرئ مرضه، وقيل أنه كان مستجاب الدعاء [5].

د_ الوظيفة الاجتماعية للزوايا في مجال الإيواء.

أدت الزاوية دورا اجتماعيا لدى مجتمع المغرب الأوسط، من إيواء للفقراء والغرباء وحماية الهاربين إليها من المجرمين والسياسيين واستقبال الدارسين، وقد خصصت الزائرين والمقيمين بها نصيبا من أوقافها، ولعل هذا هو الأساس الذي قامت عليه الزوايا وهو الخدمة الاجتماعية، وبالتالي فيمكن اعتبارها مؤسسة منخرطة في أضلاع المجتمع، وتشكيل إحدى لبناته.

إن وظيفة إيواء الطلبة والمريدين والفقراء وغيرهم من أهم الوظائف التي اضطلعت بها الزاوية في المغرب الأوسط خلال القرن 7هـ/ 13م، ثم كثفت نشاط هذه الوظيفة خلال القرن8هـ/ 14م[6]، ولعل الدليل

([1])- الرحلة، ص28.

([2])- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، مج7، دار صادر، بيروت، 1988، ص142.

([3])- أم الخير مطروح ، صبرينة نعيمة دحماني: الأضرحة بمدينة تلمسان دراسة نموذجية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع10، د ت، ص253.

([4])-ابن مريم: المصدر السابق، ص 70.

([5])- نفسه، ص72.

([6])-الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص 225.

على ذلك يكمن في قول ابن مرزوق "والظاهر أن الزوايا عند المغرب هي المواضيع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين" فالمقصود بالواردين هم طلبة العلم الذين قدموا إليها لتّعلم[1] ويبدو أن عملية الارفاق للطلبة والتكفل بإطعامهم عنصرا أساسيا في الجهاز الصوفي وكسب المريد، وبالتالي يمكن اعتبارها مؤسسة ذات طابع نظامي تطوعي تكافلي مبني على التعامل بكيفية توفير لكل مسافر من أجل الدراسة والانخراط في مجال التصوف ما يناسبه، وعليه يمكن القول بأن الزاوية كانت في هاته الفترة مأوى ومكان لإقامة الطلبة والمريدين، ويضاف إلى ذلك المسافرين والمحتاجين والتجار وأعيان الدولة على حد قول الباحث محمد فتحة[2].

وبعد حلول القرن 8هـ/14م، بدأت هاته الوظيفة تنشط حيث أصبحت مكانا للنزول والضيافة وقد جاء في المصادر أنها مأوى للمتصوفين والفقراء وقد كان الملوك والأشراف ينشؤون الزوايا لتقديم الطعام إلى المحتاجين والغرباء وهي بمثابة مطاعم وفنادق للمسلمين، فيذكر ابن مريم متحدثا عن زاوية سيدي محمد بن عبد الجبار بن ميمون بن هارون المسعودي الفجيجي ت 950هـ/1543م، حتى صارت قطبا يأتيها الزوار من كل بلد، ويبدو أنها زاوية مباركة حيث جاء زوار من بلاد المغرب إلى شيخها نزلوا عنده ولم يجدوا طعاما والناس في أمر عظيم من الجوع، فقالت له زوجته ما عندنا طعام لنطعم الضياف وهم ركب عظيم ما يغديهم، قال لها يأتيهم رزقهم فصلى بهم الظهر وجلس ينظر في الكتاب إلى العصر فصلى بهم العصر فاذا برجل يأتي إليه يحمل معه كيس قمح فوق حماره ومعه قصعة سمن ومعزة فوقف على الخيمة فأفرغ لهم القمح وأعطاهم قصعة السمن والمعزة وطهى لهم الطعام[3]، فيبدو من خلال هذه الاشارة المصدرية أن لهذه الزاوية كان لها صدى كبير وقطبا كبيرا معروفا بالضيافة.

كما نجد زاوية إبراهيم التازي، التي كانت تستقبل الزوار وأبناء السبيل حيث كانت تستقطب الكثير من الزوار من مختلف حواضر المغرب الإسلامي خاصة أثناء الأزمات الاقتصادية [4] فقد نجد هذه الزاوية

([1])-ابن مرزوق: المسند، ص 413.

([2])- محمد فتحة: المرجع السابق، ص182.

([3])-ابن مريم: المصدر السابق، ص 287.

([4])- محمد سعداني: المرجع السابق، ص 758.

مقصدا أثناء المحن والأزمات، ولهذا قام شيخها التازي أثناء لجوء أهل وهران إليها طالبين الاستسقاء فقام بتزويد هذه المدينة بالماء وجلبه إلى أهلها بعد أن كانوا في غاية الإهمال الأمر الذي أسقط عنهم عب البحث عنه والمسير أياما في سبيل الاستسقاء منه [1].

ومن جهة أخرى نجد الزاوية الراشدية جمعت بين الضيافة والاطعام، وظلت هذه الزاوية فاتحة أبوابها في وجه قاصديها وزوارها أفرادا وجماعات تأويهم وتطعمهم، زيادة على المقيمين بها من الخدام وطلبة العلم وغيرهم، وتزداد وظيفة الاطعام أهمية إذا علمنا بضنك عيش المجتمع الذي عاش فيه مؤسس الطريقة الراشدية، أحمد بن يوسف للعائل وسده لرمق الهالك من الجوع، ويبدو أن واقع الندرة الذي عاشه معاصروه كان شديد الوطأة عظيم التأثير على الأبدان و الأذهان وهذا باد من تعابير اللذة التي تحملها سطور سيرته وهي التي تذكر أنواع الفواكه والأطعمة العديدة[2].

وقد ذكرت إحدى الدراسات أن الحسن الوزان مرّ بالمنطقة الغربية من المغرب الأوسط، متوجها إلى الحجاز مع ركب الحجيج الفاسي أواخر عام 921هـ_1516م، وقد شاعت شهرة الشيخ أحمد بن يوسف الصوفية والعلمية، فكان طبيعيا أن يأخذ الوزان الرحلة إلى زاويته، ويسعى إلى زيارته، وبالفعل قد نزل في ضيافة الزاوية الراشدية [3] ونال قراها وحظي برعاية وكرم شيخها [4].

([1])- منصور بختي دحمور: المرجع السابق، ص173.

([2])- عبد الله نجمي: المرجع السابق، ص 91.

([3])- قدمت لنا دراسة مغربية وصفا شافيا عن الزاوية الراشدية بالمغرب الأوسط ودورها الكبير في الاطعام حيث قدر عدد الاتباع المستقرين بصفة دائمة حوالي خمسمائة طالب ومريد، ولاحظ أن عدد زوارها وقاصديها لا يحصى وأكد أن الشيخ أحمد بن يوسف كان يطعم هذا الجم الغفير من الاتباع والزوار والقاصدين من ماله، وأنه يملك مائة خيمة أوقف بعضها على إيواء ضيوفه، وخصص بعضها لخدمه، وقصر البعض الآخر على أهله الذين يزيد عددهم على المائة والخمسين فردا من أبناء وحفدة وزوجات، وذكر أنه قد أنزله خيمة خاصة به، أما بالنسبة لمواردها فقد كان للزاوية حقولا مخصصة للحرث وقصعانا بلغ عددها من الأغنام عشرة آلاف ومن الأبقار ألفا ومن الخيل خمسمائة، وأنه لم يكن يؤدي أية إتاوة لا للأمير الزياني ولا للأعراب، بالإضافة إلى أن أتباعه المنتشرين شرقا وغربا كانوا يصلون زاويته بالهدايا والأموال الوافرة، انظر عبد الله نجمي: المرجع السابق، ص92.

([4])- نفسه، ص 92.

هـ_الزوايا وسيط بين السلطة والمجتمع.

كانت الحروب في الغالب تُحدث تحولا كبيرا في العقليات والسلوكيات البشرية منذ القدم لأنها مرتبطة بمفاهيم العنف والقوة والصراع وهي بالطبع اقتتال بين فئتين لأسباب معينة، وتعد الحرب من أشد الأزمات التي تنحت آثار خطيرة على حياة الساكنة، ولهذا يقال قامت الحرب على ساق، اشتد الأمر وصعب الخلاص منه وهي الويل والهلاك [1]، وما من شك أن للحروب التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط خلال الحقبة المدروسة تأثير في سلوكيات وطبائع المجتمع وسلوكيات مكوناته، حتى أحدثت ثقافة فكرية تؤمن بأفكار ملغزة لم تكن في السابق تحمي المجتمع من كيد الحروب وتنزع منه الخوف، وقد تصنف ضمن لائحة البدع.

حيث تجلت في ذهنيات غيبية نابعة من رجال التصوف، وكانت مؤسسة الزاوية مركزا لإذاعتها في الأوساط الاجتماعية، ولعل هذا هو المقصد الأساسي المراد طرحه في إشكالية الحروب وأثرها على المجتمع من الناحية العقائدية، ولهذا فقد لعبت الزاوية دورا هاما بين الرعية والسلطة في الفصل بين الخصومات والفتن الداخلية[2]، إذ كانت تتوسط لدى السلاطين في العفو على العامة أو قضاء حوائجهم، فيذكر صاحب الأنس عن رسائل جده يعقوب بن يوسف الملاري التي أرسلها إلى سلاطين الدولة الحفصية في قضاء حوائج العامة، حيث نال الاحترام والتقدير من طرف السلاطين الحفصيين وتلبية رغباته، ونظرا لتوفيقه في ذلك كان كثيرا ما يدخل السرور على المكروبين خصوصا شريحة المسجونين[3].

([1])- معجم اللغة العربية المرجع السابق، ص164.

([2])- هناك زوايا تأسست بالقرب من السلطة السياسية ومن مقر قائد السلطة العسكرية، وهذا لا يتنافى مع طبيعة طور نشوء الزوايا الذي ينصرف مؤسسها خلاله إلى الاهتمام بالجانب الديني وتغليبه على مختلف أنشطة وأدوار الزاوية مما لا يقلق بال السلطة السياسية القائمة، انظر: عبد الله نحمي: المرجع السابق، ص 96.

([3])-أنس الفقير، ص 44 45.

وفي نفس السياق كان أبو عبد الله محمد الصفار لا يكل في السعي لدى السلطان لقضاء حوائج الناس لدرجة أن الحاجب قال له" أكثرت علينا فلما خرج قابلته امرأة تطلب قضاء حاجة من السلطان فعاد إلى الحاجب وقضى حاجتها [1].

ومن جهة الزيانيين فالسلطة الزيانية نظرت إلى الزوايا بعين الرضى واحترمت مشيختها ولبّت طلباتهم من أجل كسب مشيختها لمزيد من الظهور، فالأسرة المرزوقية لعبت دورا كبيرا في قضاء حاجيات المجتمع لدى سلاطين بني عبد الواد، فكانت هاته العائلة ترسل المكاتبات لهم للعفو عن المساجين رغم مخالفاتهم التي ارتكبوها ضد الدولة، فنجد المرزوقي أبو العباس أحمد الذي كلم السلطان أبو تاشفين في إطلاق سراح مسجونين ولبى السلطان طلبه، في حين نجد هناك من خصص وقتا لاستماع انشغالات ومشاكل العامة من الناس بغية تقديم مساعدات لهم أو إيجاد حل لها إن تطلب الأمر.

حيث كان الصوفي أحمد الغماري مقسم وقت يومه إلى قسمين، فكان يجلس بعد طلوع الشمس لقراءة القرآن الكريم وسماع أسئلة طلبة العلم والإجابة عنها، وفي القسم الثاني من يومه خصصه لمعالجة قضايا مجتمعه فيكاتب فيه السلطان وعمال الدولة الزيانية فيقضي بمكاتباته حوائج الناس ويخرج عنهم معاناتهم [2] وكان الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الخياط يكثر الدخول على يغمراسن لقضاء حوائج الناس فقيل أنه دخل عليه في يوم واحد سبعين مرة [3].

([1])-ابن قنفد: المصدر السابق، ص 46.

([2])-الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 802.

([3])- صبرينة بولامة: المرجع السابق، ص160..

كما توسط الولي الشهير أبو زيد عبد الرحمن الهزميري لدى السلطان المريني يوسف بن يعقوب [1] طالبا منه رفع الحصار عن مدينة تلمسان والذي دام وقت طويل [2] ونجد الزاوية الراشدية كان لها نفوذ كبير داخل الدولة الزيانية ولا شك أن الزيانيين قد مكنوا هذه الزاوية من موارد اقتصادية هامة انتهت بها إلى طور القوة ودخول المغامرة السياسية [3].

ومن جهة أخرى فالشيخ الصوفي الحسن أبركان الذي كانت له قيمة كبيرة عند المجتمع توسط بين الرعية وبين زعماء القبائل الهلالية التي طالما اعتدوا على المستضعفين من الناس في البوادي والمسالك الخالية، فكان يراسلهم ويرسل ممثلا عنه من أجل إغاثة المستضعفين المعتدى عليهم من طرف لصوص البادية، والظاهر أن تكرر عمليات الاعتداء في البادية جعلت أبركان يعمل جاهدا في مساعدة المظلومين من العامة الذين سلبت منهم ممتلكاتهم والتازي الذي كان محبوبا عند العامة وكلمته مسموعة حتى أصبح مقصدا في زاويته من أجل معالجة مشاكلهم وقضاياهم الاجتماعية اتجاه السلطة[4]، إضافة إلى الشيخ محمد بن يوسف السنوسي الذي كان يقضي حوائج الضعفاء عند السلطان وصابرا على إذايتهم حتى وضع له من القبول والهيبة والاجلال في القلوب ما لم يناله غيره من علماء عصره وزهاده[5]، وبتلمسان كان السنوسي يحضر مجالس الخصام ويصلح بين المتخاصمين ويقضي الحوائج [6].

([1])- لعب بعض شيوخ الزوايا دورا دبلوماسيا لدى السلطة وسعوا من أجل إبرام الصلح بين الدول المتنازعة، فقد لعب الصوفي أبو العباس أحمد العاقل دورا دبلوماسيا في فض الصراع الذي كان الدولة الحفصية والدولة الزيانية، بالإضافة إلى الشيخ الصوفي أبو العباس أحمد بن الحسن الغماري واتفقا على الصلح بينهما، انظر صبرينة بولامة، المرجع السابق، ص 158.

([2])- ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص125.

([3])-عبد الله نجمي: المرجع السابق، ص96.

([4])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 802.

([5])-التنبكتي: المصدر السابق، ص 565.

([6])-نفسه، ص 668.

وتماشيا مع ما تم ذكره نلاحظ استمالة السلاطين والحكام للزاوية ومشيختها ومتصوفيها لحل بعض مشاكلهم السياسية، خاصة تلك المشاكل التي تكون بينهم وبين الرعية، أو بين الإمارات المغاربية الثلاث المتصارعة، وبالتالي أضحت الزاوية تضاهي وتنافس في مهمها مؤسسة المسجد، وبناء على هذا فإن الاستناد إلى الصوفية والزاوية التي تعبر عن الدين والإصلاح الاجتماعي، فقد كان يغمراسن بن زيان يلجأ إلى –أجدير– تلمسان القديمة لزيارة الصوفي سيدي محمد بن عيسى في زاويته الذي انقطع هناك للعبادة بغية الشفاعة والتماس الدعاء منه[1]، في حين نجد لجوء أهل قسنطينة إلى الولي أبي الحسن بن مخلوف ليستسقي لهم بعدما حاصرهم بنو غانية ومنعوا عنهم الماء حتى أمطرهم الله مطرا غزيرا فتحطم سد بني غانية وخلص أهل قسنطينة من هذا الحصار[2].

لقد حاولت السلطة في حد ذاتها تأييد هذا العمل الذي تقوم به الزاوية، حتى أصبحت هي التي تقوم ببناء الزوايا، كما نلاحظ مدى تنافس السلاطين في بناء هذه المجمعات الدينية [3]، **لكن السؤال الذي يجب أن يطرح لماذا السلطة لبت متطلبات الزوايا وأيدت عملهم اتجاهها؟** ربما الغاية من ذلك يعود إلى قيمة الولي لدى المجتمع بالإضافة إلى مدى صولة الأولياء وسرعة انتقامهم من كل من يعارضهم أو يعاديهم أو يعصي أوامرهم، وهذا ما أثار الهلع في قلوبهم، وجعل الخوف من غضب الولي وتهديده بالانتقام رافدا هاما من روافد سلطته الولائية، وبالتالي شيد السلطان المريني أبو عنان فارس المريني ضريح الولي

(1)–علي عمر أمينة بوشاقور: الطرق الصوفية والصراع السياسي في المغرب الإسلامي أحمد بن يوسف المليانى أنموذجا، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2012_2013، ص61.

(2)– ابن قنفد: الفارسية، ص 103.

(3)– كانت تحدث خصومات بين الزوايا والسلطة السياسية أحيانا حتى تصل إلى مرحلة الاقتتال والتصارع، فقد حدث خلاف بين السلطة الزيانية وشيوخ الزاوية الراشدية حول معرضة إطلاق يد اليهود في السياسة المالية للدولة، وقيل أن شيخها أحمد بن يوسف سجن في عهد الأمير أبو حمو، انظر عبد الله نجمي: المرجع السابق، ص 98 ،99.

الصالح سيدي الحلوي سنة 754هـ_1376م، بضاحية العباد، وقام السلطان أبو حمو الثاني سنة 764هـ_1386م، ببناء ضريح الشيخ إبراهيم التازي بوهران [1].

كما أمر خليفة يغمراسن أبو سعيد "عثمان" ببناء ضريح على قبر الزاهد الصوفي أبي إسحاق الطيار ت 700هـ/1301م، المدفون قرب تلمسان[2] وحين توفي في تلمسان الصوفي المصمودي أمر السلطان الواثق بدفنه في المقبرة السلطانية[3] وهذا اكراما وتقديسا له، وكان الولي أبي البيان واضح يهابونه رجال الجاه وجباة الأموال يحترمونه ويخشون تغيير خاطره عليهم وإذا أمرهم بشيء ابتدروا له وإذا نهاهم أذعنوا لقوله، وتلقوه بالسمع والطاعة، وقد كان السلطان الزياني يغمراسن يقصده في زاويته وكان الشيخ لا يهابه ويتركه ينتظر حتى يأتي دوره فيأذن له بالدخول وكان يأتيه لطلب الدعاء له ثم يطلب منه الشيخ مساعدة الرعية وتلبية حاجياتهم[4].

و_ الزوايا بين حفظ الأمن المحلي وحمل راية الجهاد.

إن حالة الاضطراب الأمني التي شهدها المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة كان بفعل الصراع الدائم بين الدويلات الثلاث على السلطة والمجال عموما وما نتج عنه من مخلفات اجتماعية اقتصادية ذهنية وسلوكية تمثلت في الخوف والاعتقاد وغيرها من السلوكيات الأخرى، وأمام عجز السلطة عن القيام بإيجاد حل يخلصهم من هاته الأزمة ويخفف من شدة الهلع والخوف للرعية، حتى لجأ المجتمع إلى أصحاب الزوايا والمشيخة الصوفية لكونهم قادرين بخوارقهم الغيبية تأمين المجتمع من العدو فقاموا بما يلي:

([1])- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام،ج2، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 256 .257

([2])- بوشاقور على عمر أمينة: المرجع السابق، ص63.

([3])- نفسه، ص63.

([4])- الطاهر منزل: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، دراسة وتحقيق للجزء الثامن، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة2، 2011 2012، ص275 ،276.

1_ كيف ساهمت الزوايا في تأمين الطرق والمسالك التجارية؟

قبل الخوض في الحديث عن موضوع أمن الطرق التجارية تجدر الإشارة إلى أنه وبعد سقوط دولة الموحدين والصراع الذي كان قائما بين الدول السياسية الثلاث المنفصلة، قد أدى هذا الانهيار السياسي إلى تراجع التجارة البرية نتيجة اللصوصية والأعمال العنيفة التي ترتكبها العصابات والقبائل البدوية ضد القوافل التجارية، حيث تعرض أصحابها للنهب والسلب وسفك دمائهم وفرض الضرائب عليهم، والتعدي على حرماتهم [1].

وقد شهد المغرب الأوسط عمليات سطو ونهب كبيرة جدا فلم ينج منها عابري السبيل أو الزوار والتجار[2]، ومن الشواهد الدالة على ذلك إذ تعرض ابن بطوطة في رحلته وهو في الطريق إلى مجموعة لصوص أرادوا سرقة ما يملكه، وكاد أن يسرق وهو برفقته الشيخ الطنجي، وقيل أن الفئة المتلصصة التي تعرضت لهم كانت مشكلة من قرابة خمسين فارسا، ويبدو أنها كانت جد محترفة في عملية النهب والسطو والسرقة، ويعود تعرضهم لابن بطوطة ومن معه نتيجة توتر العلاقة بين القبائل الهلالية القاطنة في ندرومة مع السلطة الزيانية، فقد أسرتهمُ ثم أطلق سراحهم[3].

كما يصف لنا العبدري طريق تلمسان في قوله "وجدنا طريقها منقطعا مخوفا لا تسلكه الجموع الوافرة إلا على حال حذر واستعداد لأن المجاوزين لها من أوضع خلق الله وإذاية لا يسلم منها صالح ولا طالح"[4]، ويضاف إلى ذلك خطر الأعراب التي أجمعت المصادر على تسميتهم " إذاية الأعراب"[5]، حيث امتهن

([1])-مسعود بريكة: المتصوفة والسلطة الحفصية ببجاية، ضمن كتاب مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، ط1، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2011، ص 132.

([2])- بلخير لبيدي: الشرطة في بلاد المغرب الإسلامي، مجلة كان، ع8، 2010، ص 76.

([3])-سلمى نوري: اللصوصية في المغرب الأوسط، القرن 5_9هـ/11_15م، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ وآثار المغرب الأوسط في العصر الوسيط، جامعة سطيف 2، 2015 2016، ص44.

([4])-الرحلة، ص 25.

([5])-نللي سلام العامري: المرجع السابق، ص 64.

الأعراب مهنة اللصوصية [1]، والسرقة والحرابة وقطع الطريق على المسافرين والمسالك التجارية، وشن الغارات واستحلال دماء الناس حتى اشتكى الناس للفقهاء وحرماتهم فأجازوا قتلهم ومحاربتهم ومن ذلك نجد أن تلمسان لم تسلم من تعسفات الأعراب القاطنين بالجزء المجاور للصحراء [2] وكان سلاطين تلمسان مضطرين إلى أن يهدئوهم بتقديم الأموال والهدايا لهم هذا من جهة لكي يأمنوا شرهم[3].

ويبدو أن الدافع الرئيسي للجوء هاته الفئات إلى السرقة هو إدمانهم لشرب المسكرات[4]، وقد تناولها البعض من أجل تغطية المشاكل والصعوبات التي تعرقلهم في حياتهم اليومية، كالفقر والتمييز والحرمان من الحقوق فقد يذكر أن في ببجاية كان المجتمع يتناول الخمور، فقد رأى الشيخ أبو الحسن الحرالي شخصا

([1])- حتى شيوخ الزوايا تعرضوا للسرقة و العنف أثناء تنقلاتهم بين زوايا المغرب الأوسط، فلم ينجُ القطب الصوفي الكبير أبي مدين شعيب من شر اللصوص والسراق الذين اعترضوا له الطريق وهذا ما يبين مدى وحشيتهم وتسلطهم على المارة دون تمييز، لكنه استطاع بفضل علمه ودهائه أن يقنعهم فلم يأذوه انظر: عبد القادر التليدي: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ط4، دار الأمان، الرباط، 2003، ص 66.

([2])- لم يعد بنو زيان يحكمون من مملكة تلمسان بأكملها منذ تأسيسها إلى غاية سقوطها، ففي آخر عمرها أصبحت تتحكم إلا في حاضرتها وأرباضها وساحل البحر على مقربة من ثغر الجزائر، أما بقية البلاد فقد تقاسمت النفوذ فيها قبائل الأعراب ومعاشر البربر الكبرى، حيث عجزت السلطة في مواجهة المشاكل التي كانت تحدث بينهم وبالتالي انصبت المواجهة في أعقاب الزوايا والصوفية والاولياء فعلى سبيل المثال نجد زوايا الطريقة الراشدية طرفا للصراع والصلح بين القبائل البربرية و الاعراب الهلالية بناحية تلمسان، انظر عبد الله نجمي: المرجع السابق، ص95.

([3])-حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص8 9.

([4])- يعود دخول الخمر والمسكرات إلى بعض رجال الأعمال بالمغرب الأوسط حيث قاموا باستيرادها ربما بحجة أنها مخصصة لعمالهم من أهل الذمة -اليهود والنصارى-، ولهذا فقد سمح لبعض التجار من أوروبا إدخال الخمور إلى بلاد المغرب الإسلامي فكانت تباع في سر دون علانية ويبدو أن الخمور أصبحت من أهم المشروبات المدمن عليها من طرف أصحاب المال وأرباب التجارة، فيذكر أنه في قسنطينة كان اليهود يتعاطون شرب الخمر مع المسلمين دون إحراج، وهذا ما أدى إلى عملية التأثير السلبي من أهل الذمة على المسلمين. انظر، روبار برنسشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13إلى نهاية القرن 15م، ج1، ط1، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي،1988، ص 445.

يتمايل سكرا فألقى يده في الشيخ وقال له يا سيدي ادفع لي ما أتم به هذه السكرة فانتهزه الناس فقال لا عليكم دعوه فتركوه فأخذ سرواله ودفعه إليه لأنه لم يكن عنده غيره، فانفصل الرجل و السروال في يده، فنقد هذا البعض من رآه وسلم بعض من هو من أهل الباطن، وسار الفقيه مع أصحابه إلى المسجد، فبعد ساعة وإذا بالرجل قد وصل تائبا منيبا وهذا بظاهره معترض وبباطنه لأهله مسلم كما كانت الأمهات تذهبن إليه تشتكي انحرافات أبنائهم فقد جاءته امرأة تشتكي إدمان ابنها على شرب الخمر تلتمس الدعاء وطلب الهداية له[1].

وبالتالي أصبح المجتمع يلجأ إلى المتصوفة [2] والزوايا التي كانت تعد مراكز آمنة حسب معتقدهم وإغاثة الملهوفين والمتضررين ومساعدة المحتاجين وتأمين طرق التجار والحجاج، ويعتبر شيخها هو الحامي للمسالك والمدن من خطر المتربصين، فذكر الوزان في هذا السياق أنه لم يكن أحد يستطيع المرور بسلام في المناطق الجبلية في الجزائر ما لم يكن مصحوبا بأحد الأولياء [3]، ومنه فيبدو أن الزاوية كانت توفر للرعية الأمن والاستقرار وتعمل جاهدة على فعل ذلك للرفع من قيمتها ورفع مكانتها وشهرتها لدى الرعية.

([1])- الغبريني: المصدر السابق، ص 150.

([2])- استخدم المتصوفة الكرامة الصوفية في مواجهة قطاع الطرق من أجل هدايتهم، حيث سعوا إلى إيجاد حلول ظرفية لحالات السرقة والتي توسطوا فيها بشكل يضمن عدم تضرر المتعدي عليه واسترجاع مسروقاته، مثلما فعل الشيخ أحمد بن يوسف القلعي الذي ناشد اللص بالموعظة الحسنة لاسترجاع ما سرقه من يحي بن أبي جعة فكان له ذلك كما استطاع الشريف المليتي ارجاع دير السرج الذي سرق في الاسطبل، كما عملوا على هداية المنحرفين من اللصوص حتى أعلنوا توبتهم حيث قام الصوفي ابن مرزوق بالعفو عن لصوص سرقوا جنته دون معاقبتهم، كما تاب على يد أحمد بن موسى الادريسي بعض السراق، فاتبعوا طريقة اللين والدعاء لهم بالهداية وقد ثبت هذا الأسلوب مع المتصوف أبو عبد الحق الذي تعرض عليه سارق بعد خروجه من المسجد حيث تفطن له ودعاه إلى التوبة بالإضافة إلى توبة قاطع الطريق للصوفي أبي عمرو الزجاجي حيث صرح السارق للشيخ قائلا: إن الله أنجاك مني بصدقك وتاب عليّ ببركتك، وقال أبي عمرو:" وما زال الصدق من علامة أولياء الله المتقين وبرهانا واضحا لعبادة الصالحين، انظر أيوب عقوني، عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص 165 ، 167.

([3])-حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 46.

والأصل يعود إلى تأسيس الزاوية الريفية على وجه الخصوص مرتبط بوظيفة الأمن من أجل تأمين المسافر، ويتجلى هذا من خلال إقامة بعض الصالحين في الأماكن الخطيرة لتأمين الطرق بغية استخدام كراماتهم في توفير الامن والاستقرار ثم أصبحت هذه الكارمة تمس الولي الصوفي وزاويته وقبره فيصبح بمجرد وجود الزاوية أو قبر الولي بمجال من المجالات حتى يتحول إلى مجال آمن[1]، ومنه نجد زاوية منصور بن عمر الديلمي التي يتجه لها الناس طلبا للأمان على النفس والأموال، وزاوية أبي الفضل قاسم بن محمد القرطبي ببجاية وزاوية يعقوب بن يوسف البويوسفي إضافة إلى زاوية سعادة الريحاني[2]بطولقة والتي كان من مهامهما حماية الناس ضد قطاع الطرق، فالولي سعادة الريحاني عمل على محاربة المنكر ومحاربة قطاع الطرق بالزاب وبعد مقتله قام أتباعه بمحاربة كل أشكال اللصوصية والظلم في المنطقة وسعوا إلى توفير الأمن للتجار والمسافرين[3].

بالإضافة إلى ذلك نجد الزاوية اليعقوبية التي حاربت غرات بني غانية الهمجية على الزاوية في حد ذاتها حيث سلبوا الأموال والأثاث والمواشي ممّا تصدى لهم شيخها وهو أبي يعقوب[4] بالموعظة والدعاء حتى اهتدى الجيش وردوا جميع ما أخذوه[5]، كما نجد الزاوية الراشدية هي الأخرى حاربت ظاهرة السرقة التي

([1])-عقوني أيوب، قريان عبدالخليل: اللصوصية والولي في مجتمع المغرب الأوسط(5_9هـ/11_15م)،مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج2، ع3، 2023، ص162 163.

([2])-Mossabe merigui , Djeloul Ben Koumar : The impact of Sufism on social life in Algeria during the Ottoman era, Historical studies, vol : 12. N 01, 2024, P87.

([3])-أيوب عقوني، عبدالخليل قريان: المرجع السابق ص161 162.

([4])- هو الشيخ أبي يعقوب كان جليل المقدار عالما صالحا زاهدا تُؤثر عنه غرائب وعجائب قرأ بالبلاد المشرقية زمانا طويلا حتى تفقه وكانت له كرامات عديدة، انظر المازوني: صلحاء وادي الشلف، تح غرداوي نور الدين، ط1، دار الخلدونية الجزائر،2017، ص249.

([5])- نفسه، ص 266 ،267، 268.

في مناطق نفوذها وذلك لتعطل الأنشطة الاقتصادية الاعتيادية [1] فالتجأت طوائف من العوام والخواص إلى التماس أسباب العيش من أسلاب قطع الطرق وسرقة ركائب الحج ونشل المتبضعين في الأسواق، وكان الشيخ أحمد بن يوسف يقوم بوظيفة صاحب الشرطة ويسعى لتمكين الأشخاص من استرجاع ما سرق منهم [2].

كما قام شيخها بدور قيادي ضد الاعراب الهلاليين الذين سيطروا على معظم المسالك التجارية، وقاموا بمداهمة قافلته والاغارة على مسارحه وسلب أنعامه، ونهب مطامير حبوبه، وكانت الصدمة الأولى ضدهم بتوبة رهط منهم على يده وانتسابهم إليه، وكان يرد غاراتهم بالاقتتال وحمل السلاح ويقف في وجه من اعترضه منهم ويتعقب في من طمع في ماله منهم، وكان ينجح في بعض الأحيان إلى السلم والتفاوض معهم في شأن ارجاع ما يغنمونه من الزرع والضرع، ويلجأ إذا فشلت مساعيه لديهم إلى الشيخ أبي عبد الله بن واضح الذي يعتقدون في ولايته وصلاحه فيساعده على استرداد ما أخذوه منه ومن أتباعه[3].

وردت نازلة فقهية أن هنالك أناسا من سكان البوادي يسكنون بالزاوية من شدة البرد والخوف على أنفسهم [4]، حيث أن ما نستشفه من هذه النازلة هي حجم المعاناة التي كان يعيشها أهل البوادي من قطاع الطرق، ونظرا لتدخل الأولياء في حماية المسافرين والتجار وسكان البادية، فقد أصبحوا يمثلون سلطة غير عادية على حد تعبير الباحث محمد فتحة [5]، من خلال مساهمتهم في استقرار الأوضاع وتوفير الأمن فضلا عن تأمين الطرق وإنعاش التجارة بعد ركودها [6].

([1])- قامت إحدى زوايا الطريقة الراشدية وكان موقعها بالقرب من نهر مينة الذي يرفد نهر الشلف، بوظيفة مساعدة المستغاثين المتضررين من الكوارث الطبيعية والعواصف المطرية، وكان الصوفي أحمد بن يوسف يغيث المنكوبين ويحفظهم من الهلاك، انظر عبد الله نجمي: المرجع السابق، ص 96.

([2])- نفسه، ص95، 96

([3])- نفسه، ص94.

([4])-المازوني: الدرر، ج5، و 44.

([5])-محمد فتحة: المرجع السابق، ص 164.

([6])-محمد برشان: الزاوية الزيانية في بلاد السيبة، مجلة عصور، ع20، 2013، ص273.

2_ كيف جسدت الزوايا مفهوم الجهاد في مواجهة التهديدات الخارجية؟

لقد حملت الزاوية خلال القرن (9/8هـ-15/14م)، لواء الجهاد حسب ما أورده محمد حسن في ظل توالي حملات البرتغال والاسبان وتعدد هجومها على شواطئ بلاد المغرب، فأخذت الزاوية ترشد وتحفز المسلمين وتبعث فيهم روح الحماس وتدعوهم للجهاد في سبيل الله [1]، وهذا ما ألزم السلطة السياسية التعاون معها باعتبارها وسيط بينها وبين الرعية [2].

وقد نجد زاوية إبراهيم التازي التي كان لها دورا جهاديا كبيرا ضد الغزو الأجنبي، حيث عملت على تحريض الرعية والحث على الجهاد والترغيب فيه، فيذكر ابن صعد أن هذه الزاوية كانت خزائنها مملوءة بآلات الجهاد [3]، في حين نجد الشيخ محمد تواتي عدّ زاويته ملجأ للمجاهدين وغزاة البحر [4]، ومنه فقد نلاحظ أن الزاوية انتقلت هنا إلى وظيفة الرباط الجهادي وهو الأساس الأول الذي قامت عليه [5].

ونختم فصلنا بأن كل هاته الأدوار التي قامت بها الزاوية تجاه المجتمع، من أبرز العوامل التي أثبتت وجودها، فكرها ومعتقداتها، ووسعت من نفوذها وسيطرتها وأقبلت بقلوب الناس عليها، خاصة الفئة الفقيرة من المجتمع التي طالما تشتد بها الحاجة فتلجأ دائما إلى من يقدم لها الخدمات الإنسانية وتلبي رغباتها حتى تزول الأزمة والشدة.

بالإضافة إلى أن الزاوية لعبت دورا كبيرا في حل الأزمات التي أثرت على المجتمع من عدة مستويات، كالمستوى النفسي والعاطفي الذي يترتب عليه خوف شديد من شدة القتل، فضلا عن التأثير المعيشي الذي ينعكس عن هذه الحروب خلال عملية حرق المحاصيل والمنتجات الفلاحية فيكون نقصا كبيرا في

([1])-صلاح مؤيد: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراقن بيروت، لبنان، 2002، ص 208.

([2])-العيدي طويل: الزوايا الريفية بمنطقة سطيف -دراسة أثرية-، ماجستير الآثار الريفية والصحراوية، جامعة الجزائر2، 2012/2011، ص 47.

([3])- محمد سعداني: المرجع السابق، ص 755.

([4])-أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1، ص 466.

([5])-الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص228.

الأمن الغذائي، فيلجأ المجتمع مباشرة إلى الزاوية اعتقادا منها أنها هي الحامي الأساسي للمجتمع من الفتن والموفر الغذائي لهم.

كما يمكن القول أن المغرب الأوسط زمن الحقبة المدروسة ظلت مجالا لانتشار ظاهرة التعلق بالأولياء واللجوء إليهم لاستجلاب بركتهم، وشاع الاعتقاد في الأوساط الحضرية أن الصلحاء والصوفية هم القادرون على التوسط لدى الله تعالى لتتحقق الحاجيات وتعميم البركات، ولهذا فقد أضحى الولي قادرا على إظهار الطعام وتفجير الماء والغيث زمن العطش ودفع العدو والتخلص منه [1]، وفي ضوء تلك الكرامات التي منحت للولي رصيدا معنويا لا يستهان به اضطلع هذا الأخير بأدوار اجتماعية، سياسية ودينية، ازدادت من خلالها ثقة الجموع بهم، وتعاظمت مكانتهم الاجتماعية وانتفع بهم خلق كثير[2]، وكانوا كثيري الاجتهاد في قضاء حوائج الناس، ومنهم من كان مرغما بإطعام الطعام رحيما بالمساكين شفيعا على المستضعفين[3]، وكلها أعمال أسهمت في تعزيز مكانتهم الاجتماعية ورسخت من استحواذهم على قلوب العامة وعقولها، بل إن السلطة اضطرت إلى طلب استحواذهم على قلوب العامة وعقولها، وطلب ودهم، والتقرب إليهم بالعطاءات وبراءات الاحترام والتوقير فالصوفي أبو عبد الله الصفار قدروه حق تقدير[4].

ولا مناص من القول كذلك أن الحرب أسهمت بدور رئيسي في ترسيخ مكانة الولي لما نسب إليه من خوارق وكرامات، وقدرة خفية على دفع المضرات وجلب المنافع، هو ما جعل الناس ومنهم المتضررون من الحرب طبعا يريدون التقرب إليهم طالبين الحماية والنجاة من الموت فقد كان ببركة أبي مدين تكرمه

([1])-حميد تيناو: المرجع السابق، ص 467.

([2])- نفسه، ص 468.

([3])-ابن صعد: المصدر السابق، ص 155.

([4])- النميري: المصدر السابق، ص 219 220.

السلطة[1]، وبالتالي أصبح شيخ الزاوية أو وليها شخصية محورية فاعلة اجتماعيا وسياسيا، يلجأ إليها المجتمع لحل الأزمة لكون الولي له القدرة على التأثير على الأحداث من خلال ترهيبه للعدو بخوارقه.

([1])-محمد فتحة: انس الفقير لابن قنفد أو الانتصار لزاوية ملارة ضمن كتاب محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني أعمال مجموعة الأبحاث في التاريخ الديني، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة، المحمدية، د ت، ص 168.

الفصل الرابع: زوايا المغرب الأوسط والأداء الثقافي–المَحدِّدات والأدوار–

أ_ الزوايا ودورها التعليمي –القرآن الكريم من التعليم إلى التحفيظ أنموذجا–

ب_ مدى نجاح التعليم في مؤسسة الزاوية –العوامل والمُسَبِّبَات–.

ج_ المنظومة العلمية لزوايا المغرب الأوسط–من المقررات والعلوم المُدَرَّسَة إلى الإنتاج المعرفي والمُصَنّفات البارزة–

1/ العلوم الدينية.

أ_ علم القراءات.

ب_ علم التفسير.

2/ علم الفقه.

3/ علم التصوف.

4/ علم الحديث.

5/ العلوم الأدبية.

أ_ النثر.

ب_ الشعر.

6/ العلوم الفلكية.

7/ العلوم لعددية.

8/ علم المنطق.

لا جرم أنّ التعليم وسياساته أسهمت بشكل كبير في تطوّر الحركة العلمية والفكرية بالمغرب الأوسط وذلك من خلال الأدوار التي لعبها، إذ أنّه أصبح فاعلا أساسيا في تنظيم وترقية الأفراد في الجانب السلوكي والحضاري فضلا عن تسخير مهاراتهم وإمكانياته لتنميته [1]، وعليه فالمغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة شهد تواجد مراكز دينية متعددة كما وكيفا، إذ أسهمت في تطور العلوم العقلية والنقلية، من خلال اتباع طرق ممنهجة ودقيقة في توصيل المعرفة للمتلقين، فضلا عن انتشار مصنفات الشروح والمختصرات العلمية خلال هذه المرحلة.

ومن هذا المنطلق، انصبّ سعينا في هذا الفصل على تقديم جملة أفكار حول الدور الذي لعبته زوايا المغرب الأوسط في المجال التعليمي والفكري التطوعي، وأهم النتائج والمنجزات التي أمكن تحقيقها وإدراكها.

أ_ الزوايا ودورها التعليمي –القرآن الكريم من التعليم إلى التحفيظ أنموذجا.

لا مناص أنّ الزوايا تبوأت دورا محوريّا وفعالا في التوعية الدينية والفكرية إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم ونشره، حتى أصبحت قبلة للعلماء يقصدونها للتدريس و تأليف الكتب والرسائل العلمية في شتى العلوم والمعارف[2]، وعليه ركزت هذه المؤسسة عموما في بداية ظهورها ونشأتها على العلوم الدينية، وهذا لارتباطها بمجال التصوف و الحياة الروحية التي لامست المجتمع بأصنافه بمجال الغرب الإسلامي في القرن 6هـ/12م، فركزت على تحفيظ القرآن الكريم[3]، وتدريس العلوم النقلية وبعض العلوم العقلية، كالفرائض والحساب، وكان يعهد بالتعليم فيها إلى كبار العلماء من أمثال أبي عبد الله أحد كبار الأعلام المشاهير الذي كان يدرس في زاويته الحديث من موطإ الامام مالك بن أنس، وكان الطلبة يُقبلون على التعليم في الزوايا وينهلون من معارفها ويتمتعون بالإقامة في بيوتها، مما جعلها في تعليمها شبيهة بالمدارس فنشرت العلم

([1])- عبد العزيز فيلالي: تلمسان ،ج2، ص 338.

([2])- جلول صالح: تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي و الاجتماعي ق 5_6هـ/ 11_12م، رسالة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران، 2014/ 2015، ص 61.

([3])- عبد الرحيم بوشاقور: مميزات طريقة تحفيظ القرآن الكريم في المغرب العربي، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مج3، ع3، 2020، ص4.

وعممته على طبقات الناس المختلفة وشاركت في تنوير الأمة وفي فك عزلتها الثقافية [1]، ويبدو أن الغاية الرئيسية من التعليم في الزوايا هو إنشاء جيل جديد يفقه الأحكام الشرعية فضلا عن نشر التصوف وبثه في نفوس المجتمعات حتى يصبح عقيدة يؤمنون بها.

كما تتواجد مجموعة من الزوايا انصب اهتمامها على تعليم الصبية وتحفيظهم القرآن الكريم على غرار زاوية أبي زكرياء يحي الزواوي(ت 611هـ/ 1215) والتي كانت عبارة عن بناية صغيرة ملحقة بالمسجد[2]، إذ يبدو أنها كانت مخصصة لتدريس الصبية الحروف العربية وتحفيظهم السور القرآنية القصيرة، لتربيتهم على عدم تدنيس المسجد، إضافة إلى ما سبق اعتمدت بعض الطرق للتدريس في الزوايا مثل طريقة التلقين[3] وهي طريقة جد مهمة لها فائدة تربوية[4] وتسهل على الصبية والمتعلمين حفظ السور القرآنية الكريمة[5]، فيقوم المعلم بإلقاء درسه انطلاقا من قراءته للكتاب أو المتن أو الموضوع المدرس أو شرح نص

([1])- عبد الجليل قريان: التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، جسور للنشر والتوزيع، 2011، ص182.

([2])- الغبريني: المصدر السابق، ص 137- 138.

([3])- محمد برشان: الحركة العلمية في الزوايا _الزاوية الزيانية أنموذجا_ مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، ع2 و3، 2013، ص198.

([4])- ركز التعليم في الزوايا على تربية الصبية والمعاملة الحسنة وهذا ما نصت عليه الشريعة الإسلامية حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" شرار أمتي معلمو صبيانهم أقلهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المسكين"، لكن لا بأس أن يضربهم المعلم على منافعهم، ويؤدبهم على اللعب والتهاون وعدم الحفظ والاهتمام، انظر كتاب الجامع في كتب آداب المعلمين، جمع وتح: أبي عبد الله عادل بن عبد الله بن سعد آل حمدان، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 2009، ص 87.

([5])- كان السلف يشترطون عل المعلم أن يتخلى عن كل شيء للتعليم، وأن لا يشتغل بغير صناعته وأن يعمر أوقات فراغه بالنظر فيما يعود على تلامذته بالنفع والفائدة في تعليمهم، ومراقبة غدوهم ورواحهم، وإعلام أوليائهم عن مغيبهم بغير عذر، كما فرضت الشريعة الإسلامية عليه المساواة التامة في تعليم أبناء الأشراف والفقراء وأن لا يفرق بين الفقير والغني، بل هم سواسية في ذلك قال الامام سحنون: " يجب العدل في التعليم ولا يفضل بعضهم عن بعض ولو تفاضلوا في الجُعلِ إلا أن يبين ذلك لوليه في عقده ويكون تفضيله في وقت غير وقت تعليمه للصبيان كما نصوا على المعلم إذا كان قاصرا أو مفرطا بحيث لم يستفيد منه المتعلمون ما اشترط عليه الآباء أو الأولياء فإنه تناله عقوبة ولا يعطى من

من النصوص مقابل الاستماع من طرف الطلبة[1]، ويظهر هذا من خلال ترجمة الثعالبي (ت875هـ_1471م) متحدثا في رحلة عن العلوم التي تلقاها عن شيخه ولي الدين أحمد عبد الرحيم العراقي (ت 826هـ_1423م) [2] فيقول حضرت عليه علوما جما ومعظمها في الحديث يعني تلقنها عنه، ثم يقول وسمعت عليه وقرأت وحفظت المنهاج، كلها منهج تدريسي له علاقة بالتلقين وهو جد مفيد للطلبة، وهناك طريقة أخرى تعتمد على الالقاء والشرح بحيث يقوم أحد الطلبة بقراءة نص من كتاب مشهور ويتولى المدرس شرحه فقرة بفقرة أما الطريقة الثالثة وهي طريقة الحوار والمناظرة تعتمد على السؤال والجواب، وتبدأ من السهل البسيط إلى المجرد المعلوم[3]، ويبدو أن المشيخة الصوفية وضعت أوقاتا لحلقاتهم العلمية وهي عبارة عن برامج تدريسية موزعة على كافة أيام الأسبوع، يتبعها المريدون وأهل العلم، وكل

الأجرة المتفق عليها شيئا حسبما كان، انظر محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين، تح: حسن حسني عبد الوهاب، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1972، ص49، 50. محمد شربان: المرجع السابق، ص 198.

([1])- يشترط على الطلبة حسن النية في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله تعالى وتنوير قلبه وتحلية باطنه ويبادر وقت شبابه في التحصيل العلمي ويتعض بما قاله السلف عن فضل طلب العلم حيث قال سفيان الثوري ما عجلت شيئا أشد من نيتي ولا يقصد به أغراض الدنيوية من تحصيل الرياسة، والجاه والمال وتعظيم الناس له، وتصديره في المجالس ونحو ذلك فليستبدل الأدنى بالذي هو خير، كما يشترط على الطلبة تقسيم أوقات ليله ونهاره مع التركيز على المذاكرة والمراجعة، كما يتحرى الحلال في مأكله ومشربه وملبسه، انظر عائشة بوطبة، مسعود كربوع: آليات ومناهج التربية والتعليم في بلاد المغرب الإسلامي من خلال المعيار المعرب للونشريسي، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج7، ع2، 2023، ص1772، 1773.

([2])- هو الحافظ الامام الفقيه الأصولي المحدث ولد سنة 762هـ، شرح العديد من الكتب في علم الحديث منها شرح سند أبي داود، والمنهاج، وشرح جمع الجوامع في الأصول، وشرح نظم البيضاوي كما تقلد منصب القضاء بمصر توفي سنة 826هـ، انظر جلال الدين السيوطي، طبقات الحفاظ،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص 548.

([3])- نور الدين مجدوبي: مناهج التعليم وأساليبه في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14_15م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة أحمد بن بلة وهران1، 2019_2020، ص24، 25.

حلقة مخصصة في علم معين كالفقه، علم الحديث، والتفسير، وطالب العلم له الاختيار في أي حلقة علمية يدرس فيها[1].

ويبدو أن هذه الطرق التعليمية التوزيعية في عملية إلقاء الدروس مأخوذة من عند الشيخ أبو مدين شعيب الغوث (ت594هـ/ 1194م) والذي أقام ببجاية لمدة طويلة تفرغ فيها للعبادة والتعليم[2]، فقد كان يلقي دروسه العلمية بمسجد الشيخ الفقيه الصوفي أبو زكرياء المرجاني الموصلي(عاش في ق 7هـ/ 13م) بحومة اللؤلؤة عبر أوقات معينة يدرس عدة علوم من بينها علم التصوف[3]، إضافة إلى ذلك نجد الصوفي أبو عبد الله محمد بن القاسم بن تومرت الصنهاجي يدرس الطلبة بزاوية عبد الرحمن بن البنا في تلمسان الحساب والفرائض والخط والهندسة وعلم الفلك، وكحرية لحب التعليم للطلبة حسب كل رغبته، فقد أعطى الحرية التامة للطلبة في تعلم أي علم[4]، فضلا عن الشيخ الصوفي أبو الحسن علي الحرالي(ت 638هـ، 1240م) الذي درَّس ببجاية وانتفع الناس بعلمه، وكان بارعا في علم الحديث والعلوم اللسانية والأدب وله الشعر الفائق الرائق غزلا وتصوفا وله كتابا في علم الفرائض[5].

([1])– ويقصد بها محاولة ضبط أوقات الدراسة وتكون منظمة فقد ذكرت كتب التعليم أنه يجب وضع كل أيام الأسبوع للتدريس ما عدا يوم الجمعة والنصف الثاني من يوم الخميس، وفي أول النهار إلى الضحى تكون مخصصة لحفظ القرآن الكريم ومن الضحى إلى الظهر تعليم الصبية، وبعد صلاة الظهر تكون دروس في مختلف العلوم كالفقه والحساب والشعر، انظر الطيب بوسعد: تربية وتعليم الصبيان بالمغرب الإسلامي في فترة العصور الوسطى من خلال كتب التربية والتعليم، المجلة الجزائرية للتربية والطفولة، ع4، 2016، ص120.

([2])–ابن قنفذ: أنس الفقير، ص 11 وما بعدها، الغبريني، عنوان الدراية، ص 22– 32، التادلي، التشوف، ص 320، برونشفيك: المرجع السابق، ج2، ص 322.

([3])– الغبريني: المصدر السابق، ص 27. انظر، أنور بن عمارة: متصوفة المغرب الأوسط من خلال كتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لصاحبه أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي ابن الزيات، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج9، ع1، 2025، ص327.

([4])– بونابي : عصر المتصوفة، ج4، ص 625.

([5])– محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 179.

كذلك الصوفي محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/1498م) الذي كان يمتهن مهنة التعليم بزاوية الشيخ الحسن أبركان ومن أشهر الطرق التي اتبعها أثناء تدريسه لطلبته إذا شعر بملل وسئم جلسائه من الطلبة فيتوقف عن التدريس مباشرة ويختم درسه ويترك عناصر درسه المتبقية إلى وقت لاحق، ومن الملاحظ أن كل زاوية لها مؤلفات شيخها الذي أسسها فضلا عن إسهاماته وشروحاته لكتب الفقه والتفسير والتصوف، حيث كان الشيخ التازي يدرس كتاب التنبيه لشيخه الهواري في زاويته التازية[1]، وقد كان الصوفي أبو محمد المكنى بأبي فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف (ت 682هـ_ 1240م) له حلقة علمية مشهورة ببجاية وكان مبارك التعليم ميمون النقية في التفهيم درس عليه العلم خلق كثير وانتفعوا به[2]، في حين نلاحظ أنه في كل عام من شهر رمضان يضع الصوفية برنامجا تعليميا خالصا بهذه المناسبة، فكان أبو زكريا يحي الزواوي (ت611هـ/1214م) يرتب في بجاية ميعادا لتفسير القرآن قبل صلاة الظهر ووقت آخر بعد الصلاة يدرس فيه علم الحديث اقتداء بالسلف الصالح[3].

والجدير بالملاحظة أن الزاوية قسمت مراحلها التعليمية إلى مرحلتين فالمرحة الأولى يمكن أن نسميها بمرحلة التعليم وتربية الصبية أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التعليم العالي والدليل على ذلك يظهر من خلال عملية إلقاء دروس والوعظ والرقائق وقراءة الكتب المتعلقة بسيرة النبي صلى الله عليه سلم ومدحه، مثل

([1])- بونابي: الحركة الصوفية، ج4، ص 625.

([2])- الغبريني: المصدر السابق، ص 63.

([3])- نفسه، ص 137.

كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى [1] للقاضي عياض [2]، والاهتمام بأخلاق الصالحين وأخبارهم والاعتناء الكبير بأنواع ذكر الله تعالى من التهليل والتسبيح والتقديس وأصبحت فيهم عوائد لا يستطيعون التخلي عنها [3].

كما عني الشيخ أحمد بن يوسف الملياني[4] بالعلم والعلماء عنايته بالتصوف والأتباع ولا شك أنه قد انتصب للتدريس في زواياه المتعددة كما تصدر فيها للتنسيب وقصده طلبة العلم، كما شدّ إليه الرحال

([1])- يعتبر كتاب الشفاء من أفضل الكتب المصنفة في سيرته صلى الله عليه وسلم، حيث يبحث في شرف المصطفى عليه الصلاة والسلام، وقدره العظيم ومصبه الجليل، لأنه يتناول ذلك من جوانب فقهية وأصولية وعقدية بأسلوب بليغ وبيان بديع وحجج قوية وبراهين ساطعة مؤيدة بالدليل من قرآن وسنة وأقوال علماء السلف والأئمة، وقد قسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام القسم الأول تناول فيه تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي المصطفى قولا وفعلا والقسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه صلى الله عليه وسلم، ثم يلي هذا القسم فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل من حقه أو يجوز عليه أو يصح من أحوال البشرية أن تضاف إليه، والقسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه الصلاة والسلام، ويعود تصنيف هذا الكتاب إلى حدود سنة522هـ، انظر أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ط1، تح: عبده علي كوشك، نشر وحدة البحوث والدراسات، الإمارات العربية المتحدة، 2013، ص9.

([2])- هو العلامة الحافظ الأوحد شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي، رُبيّ القاضي عياض في أحضان أسرة عربية أصيلة صالحة دينية، فنشأ على العفة والصيانة، والصلاح والتقوى، مقبلا على العبادة شغوفا بالعلم محبا للجهاد، عاملا مجتهدا صواما قواما حافظا لكتاب الله تعالى مكثرا في تلاوته وكان قاضيا عادلا متبحرا في العلوم وألف العديد من الكتب، وكل تواليفه بديعة، انظر القاضي عياض، المصدر السابق، ص32، 33.

([3])- عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص183.

([4])- تتلمذ أحمد بن يوسف على شيخه أحمد زروق في بجاية في مطلع العقد الأخير من القرن 9هـ/16م، وقد كان شيخ الزاوية الراشدية ومتصدر مشيختها مبدع مذهب صوفي متكامل ولابد وأنه كان يصرف جزءا من يومه في عقده لمجلس الدرس في زاويته، كما يصرف الجزء الآخر في حضور مجلس الذكر والورد، عبد الله نجمي، المرجع السابق، ص93، 94.

مريدو الطريق، وقد سبق أن وقفنا على شيء من واقع الحياة الفكرية والثقافية في القسم الغربي من المغرب الأوسط التي كانت تلمسان قطب رحالها وفتيل نبراسها، وقد ساهمت زاويته التي تتبع الطرقة الراشدية بنصيب في الحركة الفكرية بتلمسان والزاوية الراشدية زارها الحسن الوزان ووصف مدى اتساعها في العمران وسعتها في الايواء والإطعام لما مواصفات المركز العلمي والصوفي الممتاز، بما تيسره من أسباب العيش للمعلمين والطلبة، ولهذا قد جذبت عددا من العلماء الذين انصبوا للتدريس فيها إلى جانب الشيخ أحمد بن يوسف المليانى وغالبيتهم من تلامذته من أهل المغرب الأوسط، ومن العلماء الذين وفدوا إلى على هذه الزاوية من المغرب الأقصى محمد بن عبد الجبار الفجيجي وعبد الله الخياط، ومحمد بن علي الحاج الشطيبي، ومن طرابلس محمد بن علي الخروبي، وقد استقر هؤلاء الأعلام في هذه الزاوية مدة ولا شك في استشغالهم بالتعليم والإفادة زمن نزولهم بها، وهذا يظهر لنا الدور الذي لعبته الزاوية الراشدية في مضمار التعليم[1].

ولا مناص من اعتبار أن معظم الزوايا جمعت بين التربية الدينية و الصوفية وتعليم مختلف العلوم العقلية والنقلية[2] مع توفير الإيواء للطلبة والوافدين وإطعامهم وهذا دليل على قدرة عمران الزاوية وأجهزتها على استيعاب هذه الاختصاصات[3]، ويتبين كذلك مدى تعايش بعض الفقهاء مع المتصوفة، نظرا لما رأيناه من المواد المدرسة ومصنفاتهم العلمية[4] إلى غاية انحراف التصوف والمتصوفة، فقد هجرها العلماء والفقهاء وأصبحت الزاوية محل مقر للدروشة واللعب باسم الدين فكانت تقوم في بداية الجلسات بشيء من الذكر على صوت واحد وينتقلون بذلك إلى الغناء والضرب بالأكف وغيرها من الأفعال، وقد شوهت صورة الولي الصالح إلى حد بعيد، وأصبحت الأعمال الغريبة والشاذة دليلا عن الولاية ونوعا من أنواع الكرامة

([1])- عبد الله نجمي: المرجع السابق، ص 93، 94.

([2])- هناك من اعتبر التعليم في الزوايا هو تعليم حر لأنه يتم دون تدخل الدولة أو تكون سيطرتها عليه قليلة والدليل على ذلك أن بعض المشيخة الصوفية كانت تبتعد عن ممارسة مهنة التعليم في مؤسسات الدولة، انظر بسام كامل عبد الرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني (633_962هـ/ 1235_1555م)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2002، ص222.

([3])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج4، ص 625.

([4])- عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص 183.

فقد ذُكر أن وليا من الأولياء أقام في زاوية نحو نصف عام صامتا لا يتكلم ولهذا قام العلماء بشد رحالهم عن الزوايا وحرموا طرقهم الصوفية ورموهم بالتبديع في الدين[1].

ولعلّ من أبرز النتائج التي ترتبت عن التعليم في الزوايا ما يلي:

كسب الطلبة الذين تلقوا تعليمهم في زوايا بجاية وتلمسان على يد كبار الصوفية مهارات وخبرات مكنتهم من تأسيس زوايا خاصة بهم بمواطنهم الأصلية في البوادي والأرياف، ثم قاموا بدورهم التعليمي في نشر ما تعلموه من علوم متعددة خاصة في مجال التصوف حتى انتشر التصوف في جميع بقاع المغرب الإسلامي عموما، ومن أشهر الزوايا التي وجدت في عهد الونشريسي ونشرت التصوف زاوية أبي عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق التي لعبت دورا كبيرا في نشر تعاليم الشيخ المتصوف أبي مدين[2]، فضلا عن العلوم الأخرى التي تدرس إلاّ في المساجد و الرباطات وزوايا الحواضر الكبرى أمثال حاضرة بجاية، وتلمسان والقلعة الحمادية[3].

تشير القرائن إلى مدى نجاح الصوفية في تعميم التعليم الشبه مجاني حيث كان يتقاضى مزاولوه بالمغرب الأوسط أجرٍ بسيط نظير الدروس التي كانوا يقدمونها فقد سئل القاضي أبو عثمان سعيد العقباني (ت811هـ_1408م) عن أخذ الأجرة على تعليم العلم فأجاب "كره مالك في المدونة الإجارة على تعليم العلم وقيل بالإباحة لئلا يضيع العلم أرزاق العلماء، فإن منعوا الإجارة شغلهم طلب المعيشة عن العلم [4]، وبالتالي حاولوا تقويض أركان الجهل والأمية في مجتمع المغرب الأوسط وأخرجوه من طوق الوصاية إلى الإشراف الحر [5].

([1])- عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص197.

([2])- قاسمي بختاوي: واقع التعليم في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي، المجلة التاريخية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، ع2، 2015، ص 103.

([3])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج1، ص 364.

([4])_ الونشريسي، المعيار، ج8، ص236.

([5])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج1، ص 364.

من فوائد التعليم في الزوايا حيث كان الصوفية ينظمون حلقات مع طلبتهم أو مع المجتمع الذي يخضع لهم في طرح القضايا الاجتماعية والسياسية والأزمات المترتبة عن الكوارث الطبيعية من فقر ومجاعة وقهر وحرمان وذلك من أجل تجاوزها، وفي نفس السياق فالتعليم هنا كان يمثل للصوفية أنهم تحت القنوات الرئيسية لنقد الأوضاع العامة والدعوة إلى تغييرها ونشر أفكارهم وطرقهم بواسطة الوعظ والارشاد [1].

وقد ساهمت بشكل كبير في تخريج العديد من العلماء والفقهاء والمتصوفين، كما زاد انتشارها في البوادي فقلصت الفوارق التعليمية بين المدن والأرياف[2]، وبالتالي يمكن القول أن الزاوية في المغرب الأوسط أصبحت تنافس المدرسة والمسجد في التعليم[3] لكونها تخضع لنظام دقيق، حيث يلزم الطالب والمريدون أن يتحلوا بالانضباط والطاعة وأن يتقيدوا بتقاليد الزاوية في نظام الدراسة، فقد فرض الشيخ الفقيه أبو عبد الله من كبار رجال التصوف بتلمسان على المريدين الالتزام بنظام الزاوية في التعليم والعبادة، كما يجب أن يتحلوا بالسلوك الإسلامي السني القويم وأن يتخذوا في جميع أمورهم الدنيوية من مأكل وملبس وسلوكات ومعاملات طريقة السلف الصالح منهجا لهم[4].

ب_ عوامل نجاح التعليم في الزوايا:

إن عوامل نجاح التعليم في الزوايا بالجانب الملموس وما يتطلبه من مسترلزمات مادية وحوائج طيلة السنة، إذ اقتصر التعليم على الفئات الاجتماعية التي بإمكانها الإنفاق على أبنائها، إذ أن أجرة المعلم في سائر أنحاء المغرب، من الفتح حتى القرن 6هـ/12م، كانت تدفع من طرف أولياء التلاميذ مع العلم أن الدولة غير مسؤولة عن أجرة المعلم بل لا تتكفل سوى بتكليف القاضي في الإشراف على تعليم اليتامى وكذلك مراقبة المحتسب للمعاملة التي يعامل بها المعلمون الصبيان[5]، هذا بالإضافة للرغبة الشديدة من طرف

([1])- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 365.

([2])- هادي جلول: دور الزوايا التعليمي في المغرب الأوسط ق7_9هـ/13_15م، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج8، ع2، 2022، ص 148.

([3])- عبد العزيز فيلالي: تلمسان ،ج1، ص 149.

([4])- هادي جلول: المرجع السابق، ص 148.

([5])- الطاهر بونابي: عصر المتصوفة، ج1، ص 364.

الأولياء في إرسال أبنائهم لتعلم الفقه والفهم الجيد للأحكام الشرعية[1]، وذلك ربما لقصد بلوغ المناصب العليا عند الحكام كالقضاء والحسبة والخطط الإدارية، ويبدو من خلال هذا أن التعليم أصبح له غرض وهو الكسب المادي والحصول على المراكز السياسية النبيلة خاصة من طرف الفئات المعوزة الفقيرة معدومة الدخل، ومن خلال هذا الرأي نجد أن التعليم هنا جرد من وظيفته الأساسية وهي كسب المعرفة والأخلاق الفاضلة.

استَوجَبَ هذا الأمر تدخل الدول التي حكمت بلاد المغرب الأوسط إبان الفترة المدروسة (ق7_9هـ/13_15م) بتحكمها في ميدان التعليم بمختلف أطواره، وذلك وفقا لما يخدم توجهاتهم السياسية والمذهبية والعقدية، ولهذا دعمت الزوايا ماديا كما حاولت استمالتهم سياسيا حتى أصبحت الزاوية أحد مراكز الاشعاع الفكري، وفي مقابل ذلك فالصوفية بالمغرب الأوسط كانوا يدرسون من أجل إخراج التعليم من طرف الوصاية التي فرضتها الدولة إلى منحى آخر ينال به الفرد الأجر والثواب، والعمل على تعميمه على كل الفئات التي طالما حرمت منه لأن هناك شريحة اجتماعية كبيرة عاجزة عن وضع أجرة التعليم، ناهيك عن رغبة الصوفية في تجسيد رغبتهم من خلال تلقين مختلف العلوم العقلية والنقلية للمتمدرسين والاقتصار على علم معين[2].

إضافة إلى الميزة التي تميزت بها الزاوية من التعليم حيث صار فيها التعليم بسيطا سطحيا على غرار المدرسة والمسجد دون الاجتهاد في تحصيل العلم الجاد الأصيل ولهذا تجاوزت الزاوية المدرسة و الجامع في نشر التعليم وكسب الطلاب والمريدين فزاوية عبد الرحمن الثعالبي كسبت العديد من الطلاب وأهل العلم[3]، وعليه من شدة اعتقاد المجتمع بالزاوية وشيوخها أصبحوا يؤمنون بها عقائديا وما تصدره حتى من خرافات و أفكار ضالة[4]، ولهذا كثرت المنافسة في ميدان التعليم بين المدرسة والزاوية التي تسببت في ركود التعليم

([1])- هادي جلول: المرجع السابق، ص 148.

([2])- بونابي : عصر المتصوفة، ج1، ص 354.

([3])- رمضان يخلف: عبد الرحمن الثعلبي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 1992، ص 42.

([4])- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 263.

وأضعفت مستوى التحصيل المعرفي ولهذا لجأت المدرسة إلى إقامة بعض المرافق تشبه مرافق الزوايا فأنشأت جناح إواء الطلاب والوافدين وعابري السبيل ومكتبات[1]، كما طبقوا ثلاثة مراحل من التعليم بداية بمرحلة التعليم الابتدائي للصبيان يتم فيه تعليم الحروف العربية وبعض القواعد العربية، ثم تأتي مرحلة التعليم المخصص للشباب مع تعليم العوام ولهم الاختيار في طلب أي علم معين[2].

ج_ المنظومة العلمية لزوايا المغرب الأوسط–من المقررات والعلوم المُدَرَّسَة إلى الإنتاج المعرفي والمُصَنّفات البارزة–

شكلت الزوايا عبر فترات زمنية ممتدة، أحد أبرز الدعائم في التاريخ الفكري للمغرب الأوسط، إذ اضطلعت بدور محوري في تنشيط الحياة العلمية والدينية ووفرت فضاء رحبا للفقهاء والعلماء والمتصوفة للتعبير عن آرائهم ونشر معارفهم بين أفراد المجتمع، وقد ساهمت الزاوية في ترسيخ مبادئ الشريعة الإسلامية وتفهيمها لعامة الناس كما أسهمت في مواجهة الأوضاع الاجتماعية المتأزمة في المجال العلمي نتيجة التحولات الطبيعية والسياسية التي عرفتها بلدان المنطقة، ومن خلال هذا الدور قدّم المتصوفة على وجه الخصوص والفقهاء بوجه عام ثروة علمية معتبرة تمثّلت في مؤلفات فقهية ومدونات علمية وشروح تعليمية مبسطة صيغت في شكل مصنفات منهجية موجّهة لمختلف فئات المجتمع تُدرس وفق أساليب تربوية منظمة.

وانطلاقا من ذلك يهدف هذا الفصل إلى تسليط الضوء على المنظومة العلمية لزوايا المغرب الأوسط، من خلال دراسة مقرراتها التعليمية وتحليل طبيعة الإنتاج العلمي الذي قدمه المتصوفة ما يتناسب مع الإطار العام للحياة الفكرية بالمغرب الإسلامي.

([1])– خالد ضو: مظاهر الحركة العلمية في الدولة الزيانية وآثارها، مجلة الذاكرة، مج10، ع10، 2022، ص 77.

([2])– خالد ضو: المرجع السابق، ص 80، للمزيد انظر: عبد الجليل قريان، التعليم في العهد الزياني، ص 183وما بعدها، مجدوبي نور الدين، مناهج التعليم وأساليبه في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، ص21 وما بعدها.

1_ العلوم الدينية:

مثّل القرآن الكريم التشريع الأول للمسلمين والمصدر الأساسي الذي ينظم حياة المجتمع الدينية والمدنية، ولهذا نال اهتماما كبيرا من قبل الفقهاء والمفسرين والصوفية على وجه الخصوص، من حفظ وتجويد وتفسير وبالتالي تعددت العلوم المنضوية تحته وتفرعت حتى شمل علمين أساسيين هما علم القراءات وعلم التفسير.

أ_ علم القراءات:

لا جدال إن أقررنا بأنّ علم القراءات يهتم بدراسة مخارج الحروف الصحيحة أثناء قراءة وتلاوة القرآن الكريم، وهو علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في اللغة والاعراب والحذف والاثبات والتحريك والإسكان والفصل والاتصال وغير ذلك من هيئة النطق والابدال من حيث السماع[1] وإعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمزة واتمام الحركات واعتماد الاظهار والتشديدات وبيان الحروف وتفكيكها وإخراج بعضها من بعض[2] فعلم القراءات موضوعه القرآن الكريم من ناحية لفظه وأدائه[3]، لكن حسب اطلاعنا على معظم المصادر التاريخية لم نتحصل على المعلومات الكافية لدور الزوايا والمتصوفة في علم القراءات إلا إشارات فقط ذكرتها المصادر، ومن أشهر القراء الصوفية الذين تولوا مهمة تعليم القراءات في زوايا بجاية الحفصية الصوفي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي أبو علي

([1])- ابن الفحام الصقلي، التجريد لبغية المريد في القراءات السبع، تح: مسعود أحمد سيد محمد إلياس، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1407، ص209. انظر خير الدين سيب: القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الأحكام الفقهية، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2007، ص 23.

([2])- جلال الدين السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ط1، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2008، ص 212، انظر كذلك: ابن وثيق الإشبيلي: كتاب في تجويد القراءة ومخارج الحروف، تح: أبو السعود أحمد الفخراني، ط1، مطبعة الأمانة، 1990، ص22.

([3])- عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن،ج1، ط1، تح فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995، ص 27.

(ت 770هـ_1369م)، نزيل تلمسان قادما من الأندلس فتقدم مقرئا بها القرآن الكريم لدى الطلبة والمريدين ويدرس مختلف العلوم العقلية والنقلية [1]، وكذلك الصوفي الذي كان يدرس في بجاية قادما من المشرق الإسلامي أبي عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي (ت699هـ_1300م) لعدد من المصنفات المشرقية والمغربية مثل كتاب فضل قيام الليل وفضل تلاوة القرآن الكريم، للإمام بكر الأجري[2].

ب_ التفسير:

يُعتبر علم التفسير من أجَلِ العلوم وأعلاها شأنا، إذ جاء في معناه اللغوي أنّه –التفسير– البيان والتأويل[3]، أي فسرت الشيء بالتشديد وفسرته تفسيرا بالتخفيف، أمّا إذا أتينا للمدلول الاصطلاحي فنجده علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية و التركيبية ومعانيها، التي تحمل حالة التركيب[4]، كما عرفه الزمخشري بأنه الكلام المبهم الذي يحتاج إلى تفسير وهو كل ما ترجم عن حال شيء فهو تفسرته ويقال ما استفسرته عن هذا وما تفسرته عنه[5]، وهذا حاجي خليفة يضع له مفهوما بكونه:" علم باحث في معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية ومبادئه أصول اللغة

([1])- ابن مريم: البستان، ص292.

([2])- الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط، ص22.

([3])- ابن منظور: المصدر السابق، ص 3412، انظر، الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ج3، ص 321.

([4])–نذير بشيري، يمينة بن صغير حضري: نماذج من العلوم الشرعية وروادها في حاضرة تلمسان خلال العهد الزياني، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، العدد2، 2020، ص 1365، انظر أبو حيان محمد أثير الدين الأندلسي: البحر المحيط في التفسير، ج1، مراجعة محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، 1992، ص 44، الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، د ت، ص13، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج6، ص 2269.

([5])- الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ص 22. حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، تح: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص 437، السيوطي: التحبير في علم التفسير، تح: فتحي عبد القادر فريد، ط1ن دار العلوم، المملكة العربية السعودية، 1982، ص 37، 38.

العربية وأصول الفقه وغير ذلك من العلوم الجمة، من أجل استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة"[1]، إذ هو من أعظم العلوم الدينية لكونه يتناول شرح كلام الله تعالى، ويعد من العلوم الواجب دراستها والاجتهاد فيها، كما يتطلب من المفسرين التحكم في اللغة العربية وفهم معانيها جيدا من أجل فهم المقصود من الآية الكريمة، وهنا أمكننا التساؤل عن العوامل والمسَبِّبَات الرئيسية التي أسهمت في بروز علم التفسير بالمقرّرات التعليمية بالزوايا وهل شهد هذا العلم تطورا في المغرب الأوسط؟

منذ نزول القرآن الكريم تطلّع المسلمون لمعرفة معنى آياته، إذ اتخذ المفسرون منذ وقت مبكر اتجاهين أساسيين في عملية التفسير والغرض من ذلك إيضاح معاني آيات القرآن الكريم وأحكامها وأوجه دلالاتها على العقيدة والأخلاق والمعاملات، فأمّا الاتجاه الأول فكان التفسير المنقول أو يقال له التفسير بالمأثور ويسند إلى الآثار المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح، وهو معرفة الناسخ من المنسوخ وأسباب النزول[2]، وبالنسبة للاتجاه الثاني يركز على الرأي والاجتهاد ويرجع إلى العلماء البارعين في معرفة اللغة العربية ومدلولاتها والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب[3]، يطلق عليه كذلك بالتفسير اللغوي والبلاغي وهو تفسير يهتم باللغة والعناية فقد كان علماء اللغة علماء في التفسير، ومن النماذج الدالة على ذلك كتب ابن عطية و ابن العربي والقرطبي في التفسير خاصة في غريب القرآن وإعرابه، ومعانيه وإعجازه[4].

([1])- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص 437، السيوطي: التحبير في علم التفسير، تح: فتحي عبد القادر فريد، ط1ن دار العلوم، المملكة العربية السعودية، 1982، ص 37، 38.

([2])- ابن خلدون: المقدمة، تح خليل شحادة و سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ص 554.

([3])- عيسى بن الذيب: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، د ط، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر، 2007، ص 123 139.

([4])- طه عبد المقصور عبد الحميد أبوعبيدة: الحضارة الإسلامية، دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص 707.

وعليه، اهتم علماء بلاد المغرب الأوسط كغيره من علماء الأقطار الأخرى بالقرآن الكريم وتفسيره وشرح معانيه، فكانوا يدرسونه في المساجد والزوايا والكتاتيب، فنجد صوفية بجاية وفقهاؤها يفسرون القرآن الكريم لطلبتهم ومريديهم طليعة مصنفات كثيرة، فدرسوا كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل[1] للزمخشري (ت 538هـ/1114م) [2]، وتفسير ابن جرير الطبري(ت 310هـ/ 922م) [3]، فضلا عن كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن[4] لأبي إسحاق الثعالبي(ت 427هـ_ 1036م) [5]، الذي يعد من أشهر كتب

([1])- يعتبر كتاب الكشاف من أشهر كتب التفسير التي يُرجع إليها المتصوفة ويُركز عليها في عملية التدريس، لأن هذا الكتاب له قيمة عالية ومن خلاله يكسب ويتعلم الطالب علمين مختصين بالقرآن الكريم وهما علم المعاني وعلم البيان الذي يحسن معنى الكلام، كما تميز هذا الكتاب من خلال خلوه من الحشو والتطويل بالإضافة إلى سلامته من القصص والاسرائيليات واعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم، وهذا مما زاد في تفسير الكشاف قيمة يجعل النفوس تميل إليه والطباع راغبة في قراءته وتناوله، انظر الزمخشري: تفسير الكشاف،ط2، تع: خليل مأمون شايحا، دار المعرفة، بيروت،2009، ص12.

([2])- ولد الزمخشري بمدينة زمخشر سنة 467هـ، ونشأ محبا للعلم منذ صغره ارتحل إلى بخارى لطلب العلم وتحصل بها تحصيلا كبيرا حتى برع في علم النحو و الأدب واللغة، ثم واصل رحلته إلى بغداد فتحصل عل الفقه الحنفي ثم انتقل إلى الحجاز مقيما بها عدة أعواما مدرسا وطالبا للعلم، وكان كلما دخل بلدا اجتمع عليه أهل هذا البلد وتلمذوا له واستفادوا منه ونقلوا عنه، وبعد أن جاب الدنيا ورحل من هنا وهناك عدا من مكة إلى وطنه خوارزم وبقي فيها يصنف ويلقى بها الأكابر والأفاضل ويتلمذ فيها إلى أن توفاه الله تعالى 538هـ_1143م. انظر الزمخشري: المصدر السابق، ص7.

([3])- الغبريني : المصدر السابق، ص 26.

([4])- اجتهد مؤلف هذا الكتاب على الاقتباس من علم التفسير الذي هو أساس الدين ورأس العلوم الشرعية والتوسع في الكلام على الأحكام الفقهي، للمزيد انظر أبو إسحاق أحمد الثعالبي: الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعالبي، تح: أبي محمد بن عاشور، ج1، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2002، ص 7وبعدها، الغبريني : المصدر السابق، ص 26.

([5])- هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المفسر المشهور كان أوحد زماني في علم التفسير وكان حافظا عالما بارعا في العربية صحيح النقل موثوقا بها توفي سنة 427هـ_1035م، واشتهر اسمه باسم تفسيره حتى عرف تفسيره باسم تفسير الثعالبي والذي هو في الحقيقة الكسف والبيان في تفسير القرآن، انظر ابن خلكان: وفيات

التفسير المتداولة للقراءة في زوايا المغرب الأوسط وكافة المؤسسات العلمية الأخرى، ومن أشهر المتصوفة الذين كانوا يدرسون هاته الكتب نجد الصوفي أبي زكرياء يحي الزواوي (ت 611هـ/ 1214م) يدرس الفقه والتفسير في زاويته وأماكن مجالسه العلمية حيث ركز في مناهجه التدريسية على علم التفسير وشرح القرآن الكريم لعامة الناس خاصة في شهر رمضان وكان يعتمد في شرحه على أسلوب الترهيب والترغيب في تدبر معاني الآيات القرآنية الكريمة [1].

ويبدو أن عملية التأليف كانت حاضرة في هذا المجال لكونهم علماء أعطوا له قيمة في عملية التدريس وكثفوا في دروسه، فقد ألف الفقيه الصوفي ابراهيم بن القائد القسنطيني (857هـ/ 1453م) [2]كتابا في علم التفسير سماه "شرح على تفسير أبو العباس ابن القاضي"[3] وكنتيجة وثمرة لهذا العلم المقدس سواء عند الفقهاء أو المتصوفة أصبحوا يدرسونه في الزوايا والمساجد والمدارس وحاولوا تبسيطه للمريدين وطلبة

الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج1،تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978، ص79، 80، الغبريني : المصدر السابق، ص 26.

([1])- الغبريني: المصدر السابق، ص 127 128.

([2])- هو من كبار الزهاد بقسنطينة ولد بجبل جرجر ببجاية سنة 796هـ، تفقه على يد الشيخ أبي الحسن علي بن عثمان، ثم ارتحل إلى تونس فأخذ الفقه أيضا والمنطق عن الأبي، والفقه والتفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني، والفقه وحده عن يعقوب الزغبي، والأصول عن عبد الواحد الغرياني، ثمر رحل لجبال بجاية فأخذ العربية عن عبد العالي بن فراج ثم دخل قسنطينة فقطنها وأخذ الأصلين والمنطق عن حافظ المذهب أبي زيد عبد الرحمن الملقب بالباز، والمعاني والبيان عن عبد الله القيسي والأصلين والمنطق والمعاني مع الفقه وغالب العلوم المتداولة عن أبي عبد الله بن مرزوق عالم المغرب لما قدم عليهم بقسنطينة، وله العديد من المؤلفات والشروحات والحواشي والتقريرات الفقهية لكنها مفقودة منها كتاب فيض النيل في شرح مختصر خليل، وكتاب في الفقه موسوم بتسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض الخليل ويتكون من ثمان مجلدات، بالإضافة إلى كتاب ملخص موسوم بالبيان لابن رشد، وكتاب تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق، انظر التنبكتي، المصدر السابق، ص56، 57، نصيرة عزرودي: الإنتاج المعرفي لعلماء قسنطينة خلال العصر الوسيط، دراسة إحصائية تحليلية، عصور الجديدة، ع18، 2015، ص65.

([3])- الطاهر بونابي، عصر المتصوفة، ج1، ص 132.

العلم بغية فهم القرآن وتطبيقه في جميع مناحي الحياة ويبدو من خلال عملية التأليف لهذا العلم أنه كان حاضرا في دروسهم وحلقاتهم العلمية التي كانت تبرم في زواياهم.

ولا مناص من القول أن متصوفة بجاية خلال الفترة المدروسة منحوا مكانة عالية لهذا العلم، فنلاحظ أن هناك صوفية أجانب استقروا في بجاية الحفصية مدرسين في حواضرها كالصوفي الزاهد محي الدين بن عربي الاندلسي (ت 628هـ/1230م) الذي استقر ببجاية وتفرغ للتدريس والتأليف حيث درس وألف تفاسير عديدة أشهرها تفسير ضخم يحتوي على ستين سفرا على طريقة أهل التصوف ثم ألف تفسيرا ثانيا مكونا من ثمانية أسفار على طريقة كبار المفسرين للقرآن الكريم [1].

والمثال ينطبق كذلك على العالم الاندلسي الصوفي أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي(ت 683هـ/1285م) [2] الذي ارتحل إلى بجاية وشغل مهنة الاقراء مقدما شروحات ودروسا في مجال التفسير وقد تشير المصادر أنه ألف كتابا في هذا الميدان وخصصه لتدريس طلبته وسماه بمفتاح الباب المقفل عن فهم القرآن المنزل[3].

([1])– محمد سيدي موسى الشريف: الحياة الفكرية ببجاية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2000، 2001، ص 115.

([2])– الغبريني: المصدر السابق، ص 143، للمزيد حول تراثه ينظر: تراث أبي الحسن الحرالي، تح: محمادي عبد السلام الخياطي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، ص 24 وبعدها، وامومن إبراهيم: من أعلام مدينة مراكش أبو الحسن الحرالي لمعة من سيرته وقراءة في فكره، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مج4، ع3، أوت 2021، ص33.

([3])– تفسير أبي الحسن الحرالي ينقسم حسب كتبه إلى قسمين رئيسيين القسم الأول نظري وضمنه ثلاثة كتب أو رسائل وهي كتاب الباب المقفل لفهم القرآن المنزل وكتاب عروة المفتاح، وكتاب التوشية والتوفية للمفتاح، ففي الكتاب الأول وضع قوانين لفهم القرآن لا بتفسيره ولا بتأويله وقد وضح الفرق بين منهجه ومنهج المفسرين على اختلاف مذاهبهم، وفي الكتاب الثاني يوسع في دراسة المحاور الأساسية التي اشتمل عليها القرآن والكتاب الثالث يتناول تنبيه الأفهام إلى تدبر ما ورد في القرآن الكريم من ذكر الأديان السابقة على الإسلام ولإبراز الفائدة من تكرار أخبار أصحابها على هذه الأمة، والقسم الثاني تطبيقي يتناول فيه الحرالي تفسير القرآن آية آية، انظر تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، ص8.

كما صنف الصوفي عبدالرحمان الثعالبي (ت875هـ/1471م)[1] كتابا في تفسير القرآن سماه الجواهر الحسان في تفسير القرآن في أجزاء عديدة [2]ونصح المريدين وطلاب الزوايا بقراءته وذلك لنيل البركة [3] ، إضافة إلى مصنّفه الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز [4]، وقد اعتبر الثعالبي مصنفه جواهر الحسان من أعظم ما ألّف في مجاله وذلك لقيمته العلمية كما ذكر في قوله:" وأعظمها بركة كتابنا المسمى بالجواهر الحسان، وقد رأيت له بحمد الله عجائب وبركات وبشارات متوالية، وكذا رأى له غيري عجائب وبركات..."[5]، وتفسير الثعالبي نحى اتجاها صوفيا وهو متبناه، خاصّة أنّه يعدّ من رواد مدرسة

([1])- هو عبد الرحمن بم محمد بن مخلوف يلقب بالثعالبي، نشأ في بيت علم وفضل حفظ القرآن الكريم في الصغر، كانت له دراية بعلم التاريخ والتفسير والحديث و الأصول و علم الكلام و الأدب وعلم اللغة العربية، رحل إلى مختلف أقطار العالم وانتهل العلم من منبعه، حيث درس عند الشيخ محمد بن خلفة بن عمر التونسي الوشتاني علم التصوف، ودرس كذلك عند الشيخ قاضي القضاة ولي الدين العراقي الفقه و العربية، انظر، عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن،ج1، ط1، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1997، ص10.

([2])- عبد الرحمن الثعالبي: المصدر السابق، ص 5 وبعدها.

([3])- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، 116.

([4])- يتناول هذا الكتاب تفسير و أعراب القرآن الكريم كما ذكر أحاديث وفوائد لا ينبغي الاستغناء عنها كما اعتمد على عدة مصادر رئيسية في عملية التفسير والاعراب منها كتبا ابن عطية(ت 542هـ) وهو المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وكتاب الصفاقسي (ت742هـ) وهو المجيد في إعراب القرآن المجيد، وكتاب أبي البقاء العكبري (ت 616هـ) وهو التبيان في إعراب القرآن، انظر الثعالبي: الذهب الإبريز في تفسير و إعراب بعض آي الكتاب العزيز، تح: محمد شايب شريف و أبي بكر بلقاسم ضيف،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018، ص13، إسماعيل باشا البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ج1، تح: محمد شرف الدين دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص544.

[5] الثعالبي: غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، تح: محمد شـــايب شـــريف، ط1، دار ابن حزم، د ت، 2005، ص26-27.

المتصوّف أبي زيد عبد الرحمان الوغليسي[1](ت786هـ/1375م) بحاضرة بجاية[2]، إذ أنّ تفسيره كان يتماشى مع خطة العلم القائم ووفقا للكتاب والسنّة، ومقصده هنا أنّه ابتعد عن الميادين الميتافيزيقية والتي تعرف بالغيبيات، كما اتخذ موقفا معاديّا للتفسير الإشاري، وذكر أنّه يخرج الآية عن غرضها، ذلك لأنّ رواده يأولون الآيات وما يتماشى مع طريقتهم[3].

ومن جهة أخرى ألقى الكثير من شيوخ حاضرة تلمسان دروسا في التفسير على غرار ابن زاغوا التلمساني وبرز مصنّفه " طليعة التنوير في مقدّمات التفسير، ويليه تفسير سورة الفاتحة"[4]، هذا بالإضافة للصوفي ابن مرزوق الحفيد (ت 842هـ _ 1438م) [5] الذي فسر العديد من السور القرآنية الكريمة كسورة الإخلاص، المائدة ومريم وبرع في عملية بسط وشرح معاني الآيات الكريمات حتى لقب بفارس التفسير، فمنهجه التفسيري يشبه منهج الزمخشري وبن عطية وبن حيان [6]، وعلى منواله حذا الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي(ت909هـ/1504م) [7] في تفسيره الذي أسماه" البدر المنير في علم التفسير" في مصنّف

([1]) هو الفقيه الصوفي أحد أعمدة الحياة الثقافية والفكرية في بجاية، يتعلق نسبه ببني وغليس ببجاية وصاحب كتاب الاحكام الفقهية المعروف أيضا بالوغليسية التي تعكس منهجه في التصوف والفقه، نعتته المصادر بالفقيه الصالح الزاهد الورع الأصولي المحدث توفي ببجاية سنة786هـ، للمزيد عن اتجاه الصوفي انظر الطاهر بونابي: أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، مجلة حوليات التراث، ع7، 2007، ص84.

([2]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص83.

([3]) عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمان الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت، ص 93، 95، 97.

([4]) صدر هذا المصنّف عن الرابطة المحمّدية للعلماء ومركز الدراسات القرآنية، ط1، تح: الحسن الوزاني، سلسة نوادر من التراث، المغرب، 2024.

([5])- انظر ترجمته التمبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج ج2، تح: محمد مطيع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2000، ص 136.

([6])- التمبكتي: المصدر السابق، ج2، ص 137، انظر كذلك، ابن مريم: البستان، ص 210-213.

([7])- ولد محمد بن عبد الكريم المغيلي بتلمسان ويعتبر من علماء القرن التاسع والعشر الهجريين ومن كبار المصلحين البارزين والذين قاموا بواجب اصلاح أحوال الناس وأخلاقهم ودينهم، كانت مسيرته حافلة بالرحلات العلمية حيث درس علم التفسير عند الشيخ عبد الرحمن الثعالبي ولازمه ملازمة كبيرة، ثم ارتحل إلى بجاية ودرس عند الشيخ أحمد بن

مخطوط ضخم أشار إليه بعض الباحثين[1]، كما ألف الصوفي محمد بن عمر الملالي التلمساني[2] العديد من المؤلفات في علوم الدراية والرواية ويتضمن من هذه التواليف كتابه في التفيسر الموسوم بالتفسير العجيب للقرآن العزيز[3].

كخلاصة أمكننا القول أنّ علم التفسير بالمغرب الأوسط ارتبط بالمقرّرات التعليمية لمؤسسات الزوايا وذلك لعلاقته الكبيرة بحفظ القرآن وفهمه وتفسيره، كما كان لهذا العلم أبعاد اجتماعية ودينية وبث روح التمسّك بالقرآن بن العوام حتّى يرجع إليه في المشاكل والخلافات اليومية، كما لقيّ هذا العلم شهرة بين المتصوفة تدارسوه وألّفو فيه، كما أولوه اهتمامهم وذلك في سبيل بيان معاني القرآن الكريم وفهمه فهما صحيحا.

إبراهيم البجائي(ت 840هـ_ 1442م) علم الفقه، ودرس عند الامام العلامة منصور بن علي بن عثمان أبو علي الزواوي المنجلائي علم الفقه كذلك ودرس عدة علوم عند الصوفي ابن مرزوق (ت 842هـ_1444م)، والفقيه التلمساني ابن الحباك(ت867هـ_1489م)، وبعد التحصيل قام بتأليف العديد من الكتب العلمية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر شرح مختصر خليل، شرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب الفقهي، مختصر تلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة، شرح الجمل للخونجي في المنطق، وغيرها من المؤلفات العلمية للمزيد انظر نبيل موفق، الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وجهوده في خدمة القرآن وعلومه، مجلة المنهل، ع2، 2015، ص156 وبعدها.

([1]) أشار بعض البحاثة أنّ نسخة المخطوط محفوظة بخزانة زاوية الشيخ المغيلي بتوات، ويعود تأسيس هذه الخزانة إلى ق10هـ/ 17م، وذلك بعد عودة الشيخ المغيلي من السودان الغربي، ينظر: صالح بوسواليم: لمحة عن مراكز المكتبات والخزائن الشعبية للمخطوطات في توات، مجلّة كان، ع9، ص 43.

([2])- ينحدر من ملالة وهي من ضواحي مدينة بجاية استقر مع والديه في تلمسان، ولد فيها وترعرع في بيت متواضع ومحافظ، محب للتصوف وحياة الزهد حيث درس التصوف على يد محمد بن يوسف السنوسي وأخوه علي التالوتي ومن أشهر مؤلفاته المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، وكتاب شرح العقيدة السنوسية، الأول خصصه لشيخه تبركا به، وتعبيرا عن محبته له وتخليدا لمناقبه العالية وقد ألفه سنة 897هـ، والكتاب الثاني يشرح فيه العقيدة السنوسية بشكل مختصر، انظر جمال الدين بوقلي حسن: كتاب المواهب ومخالفات الملالي لشيخه ابن يوسف السنوسي التلمساني، أفكار وآفاق، ع3، 2012، ص 126.

([3])- محمد بن عمر الملالي التلمساني: المواهب القدسية في المناقب السنوسية، و215.

2_ العلوم الفقهية:

الفقه في اللغة هو العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسادته وفضله وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم، كما غلب النجم على الثُريا والعود على المندل، والفطنة كذلك [1]، أما شرعا هو العلم بالأحكام الشرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية والدليل التفصيلي هو الموصل إلى الحكم في مسألة معينة[2].

لقد عرفت حواضر المغرب الأوسط حركة علمية كبيرة جدا، خلال الفترة المدروسة وعلى وجه الخصوص العلوم الفقهية، ولعل هذا النشاط العلمي يعود إلى دور الفقهاء والصوفية الذين كانوا يدرسونه في المراكز العلمية، ومن بينها الزوايا، كما يعد علم الفقه من بين العلوم التي يحتاجها الإنسان في جميع نواحي حياته اليومية، ويبدو أن من أشهر الكتب الفقهية التي كانت تدرس في الزوايا كتاب الموطأ للإمام مالك بن

([1])–ابن منظور: المصدر السابق، ص3450.

([2])–عبد القادر بوعقادة: المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة(8 و9للميلاد)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2002_2003، ص41.

أنس، و كتاب التلقين[1] لعبد الوهاب البغدادي[2]، والواضحة[3] لابن حبيب[4] والعتبية للعتيبي[5]، فضلا عن الأسدية التي ألفها أسد بن الفرات(ت 213هـ/ 828م)، ومدونة الإمام سحنون(ت 240هـ/854م) المالكية، والدليل على ذلك نجد الصوفي أبو الحسن علي المعروف بابن الزيات، درس في حاضرة بجاية ودّرسها بها الفقه المالكي، فقد دّرس كتاب التلقين [6] إضافة إلى الصوفي محمد بن يوسف السنوسي، الذي كان يدرس الفقه في زاوية الشيخ الحسن أبركان[7] ويبدو أنه كان يركز على هذه الكتب في شرح المسائل الفقهية.

([1])- هو من أشهر الكتب في الفقه المالكي ويعتبر مرجعا أساسيا في الفقه عند المالكية وأكثرها فائدة للمعلم والمتعلم نظرا للوثوق به وهو كتاب مكون من عدة أبواب كل باب يندرج تحته عدة فصول يشرح فيها الأحكام الشرعية شرحا تبسيطيا دقيقا معتمدا على الكتاب والسنة النبوية الشريفة، انظر عبد الوهاب البغدادي: التلقين في الفقه المالكي ج1، تح: محمد ثالث سعيد الغاني، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، مكة المكرمة، د ت، ص18 وبعدها.

([2])- هو الامام العلامة شيخ المالكية في عصره ولد ببغداد سنة 362هـ، كان فقيها متأدبا وشاعرا تفقه على يد كبار الفقهاء والمتصوفة منهم الصوفي أبي الحسن القصار وأبي بكر البقلاني وغيرهم من الفقهاء والمحدثين والاصوليين، وله العديد من المصنفات منها كتاب التلقين في الفقه وكتاب شرح رسالة أبن أبي زيد القيرواني وكتاب شرح المدونة ، توفي سنة 391هـ، انظر عبد الوهاب البغدادي: المصدر السابق، ص 11.

([3])- من أهم الكتب التي ألفت في الفقه المالكي في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، انظر عبد الملك بن حبيب الأندلسي: الواضحة، ط1، تح: ميكلوش موراني، دار البشائر الإسلامية، 2010، ص11 وبعدها.

([4])- هو الامام العلامة فقيه الاندلس أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون، ولد زمن حياة الامام مالك بن أنس، كان موصوفا بالحِذقِ في الفقه كبير الشأن بعيد الصيت، كثير التصانيف صنف كتاب الواضحة في عدة مجلدات وكتاب الجامع، وكتاب فضائل الصحابة وكتاب غريب الحديث وكتاب تفسير الموطأ، وكان حافظا للفقه نبيلا توفي 238هـ. انظر الذهبي: المصدر السابق، ج12، ص 102 وبعدها.

([5])- عيسى بن الذيب: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، د ط، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر، 2007، ص 126.

([6])- محمد الطمار: المرجع السابق، ص 182.

([7])- بونابي: الحركة الصوفية، ج4، ص 625.

ويظهر أن عملية التأليف في هذا المجال من قبل الصوفية كانت شحيحة في الفقه المالكي مقارنة مع الفقهاء، فيبدو أن كتب فقهاء بجاية أصبحت محل دراسة عند الصوفية في زواياهم، فضلا عن مختلف المؤسسات العلمية الأخرى، لكن هناك من المتصوفة من ألفوا كتبا فقهية فقد نجد الصوفي ابن مرزوق الخطيب[1] ألف ما يزيد عن ستة وعشرين مصنفا في شتى العلوم بما فيها علم الفقه على وجه الخصوص فله كتاب عنوانه "إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب" وهو شرح مختصر للفقيه ابن الحاجب[2]، وكتاب آخر عنوانه التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض (ت 544هـ، 1149م)، وله شرح لكتاب عمدة الأحكام المسمى بتسيير المرام في شرح عمدة الأحكام من تصنيف تقي الدين الجمائلي(ت 600هـ، 1202م) [3].

وصنف ابن مرزوق الحفيد أكثر من ثلاثين مؤلفا أكثرها في العلوم الفقهية ومن أهمها روضة الأريب في شرح التهذيب، والمنزع النبيل في شرح مختصر خليل وله شرح الأصليين، وإظهار صدق المودة في شرح البردة، وشرح الطهارة وفتاوى كثيرة في فنون متنوعة انتشرت شرقا وغربا[4] ، ومن جهة أخرى ألف والد ابن قنفد القسنطيني الصوفي حسن بن علي بن قنفد (750هـ/1349م) كتابا في النوازل الفقهية وسماه المسائل المسطرة في النوازل الفقهية[5]، إضافة إلى الصوفي ابن قنفد الخطيب الذي ألف العديد من المصنفات الفقهية على غرار شرف الطالب في أسنى المطالب وهذا ما يدل على مدى اهتمام المتصوفة بالحياة الفقهية لكونه علم مهم في حياة المجتمع، فقد لقب ابن قنفد الخطيب بالفقيه المجدد المجتهد في مذهب الإمام

([1])- ابن مرزوق الخطيب لم يكن صوفيا طرقي أو عملي لكنه كان قريبا من الصوفية فكرا واحتراما وتقديرا لهم، ويتجلى هذا من خلال كتابه المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن يذكر فيه أخبار بعض الصالحين لهذا أردنا ذكر أهم مؤلفاته الفقهية والتي لها علاقة بالتصوف.

([2])- انظر ترجمته، اخلاص نصر الريح حسين، منهج ابن الحاجب ومذهبه النحوي من خلال كتابه الكافية، دراسة وتحليل، رسالة ماجستير في النحو والصرف، جامعة أم درمان الإسلامية، 2005، ص 4 وبعدها.

([3])- عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج2، ص 449.

([4])- نفسه، ص 449.

([5])- ابن قنفد : الفارسية، ص 45.

مالك رحمه الله، حيث قام بشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ت386 هـ/ 996م) وسماها بتقريب الدلالة في شرح الرسالة[1]، ويتألف هذا الشرح من أربعة مصنفات ومن أهم مصنفاته الأخرى اللباب في اختصار الجلاب وهو كتاب في الفقه النظري يهتم بالقضاء والتوثيق والنوازل[2]، إضافة إلى كتاب ابن عمر ابن الحاجب (ت646هـ/ 1249م)، الذي لخص فيه طرق أهل المذهب الذي نال اهتماما كبيرا من مريدين طلبة حاضرة قسنطينة الحفصية[3].

وعليه من خلال التأليف التي قام بها المتصوفة في مجال العلوم الفقهية يتضح أنها كانت تدرس في زواياهم لطلبتهم وهي بالطبع معظمها عبارة عن شروحات مختصرة تسهل للمتعلم المبتدئ أو للمريدين المسائل الفقهية المعقدة فضلا عن تبسيط كل الأحكام الفقهية التي لها علاقة بالعبادة المفروضة من صلاة وصيام وزكاة وحج.

3_ علم التصوف.

شهدت الحركة الصوفيّة في عدوتي المغرب والأندلس ازدهارا كبيرا خلال القرنين 6_ 7هـ /12_13م وعلى وجه الخصوص بجاية [4]، ولها تراث واسع ومتنوع[5] ولعلّ من كبار المتصوفة الذي برزوا في هذا

([1])- ولديه العديد من المؤلفات الفقهية نذكر منها معاونة الرائض في مبادئ الفرائض، أنوار السعادة في أصول العبادة وهو شرح لقوله تعالى:" صلعم" بني الإسلام على خمس "حديث" وفي كل قاعدة من الخمس أربعون حديثا وأربعون مسألة، بغية الفارض من الحساب والفرائض، تفهيم الطالب لمسائل أصول ابن الحاجب، شرح الأرجوزة التلمسانية في الفرائض، انظر ابن قنفد: وسيلة الإسلام بالنبي عليه السلام، ط1، تح: سليمان الصيد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، ص 12.

([2])- عمر بن علال: الحركة العلمية و بيوتات العلماء في مدينة قسنطينة من القرن 7_10هـ _ 13، 16م، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2010، 2011، ص 145.

([3])- نفسه، ص 145.

([4])- مريم معلاش: الحياة العلمية ببجاية في ظل الدولة الحفصية خلال القرن 7هـ، 13م، رسالة ماجستير في التاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، 2010، 2011، ص 48.

([5]) - Abu Rumman Mohammed : The Sufi Community in Jordan and Its Zawiyas,

المجال في بلاد المغرب الأوسط الصوفي أبو مدين شعيب (ت 594هـ/ 1198م)، الذي كان يدرس العلم للطلبة كما صنف العديد من المؤلفات في ميدانه والتي كانت المراجع الأساسية في دراسة الفكر الصوفي أبرزها كتاب بداية المريد وكتاب أنس الوحيد ونزهة المريد[1]، والمثال ذاته ينطبق كذلك على الصوفي أبو عبد الله محي الدين بن عربي الطائي الحاتمي (ت637هـ/ 1240م) الذي يعتبر من أقطاب التصوف ومن كبار أدباء الصوفية، يعكس ذلك مصنفاته العديدة في مجال التصوف نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، كتاب مبايعة القطب في حضرة القرب وهو كتاب يحتوي على مسائل جمة من مراتب الأملاك والمرسلين، والنبيين والعارفين والروحانيين، وكتاب منهاج الارتقاء إلى افتضاض أبكار البقاء حيث يحتوي على ثلاثمائة باب في كل باب عشرة مقامات فهو يتضمن ثلاثة آلاف مقام، وله كتاب حلية الأبدال وما يظهر عليها من المعرف والأحوال يتناول فيه فضل الجوع والصمت والسهر والخلوة، بالإضافة إلى كتاب مفتاح أقفال الألهام الوحيد وإيضاح أشكال أعلام المريدين في شرح أحوال الامام البسطامي(ت261هـ_863م)[2] وكتاب أنس المنقطعين برب العالمين[3].

كما أشار الغبريني أيضا للشيخ الفقيه أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسي (ت669هـ/1270م)، وذكر أنّه كان ذو علم واسع بالبلاغة والفصاحة، وقد نزل بجاية ودرس بها الفكر الصوفي ومن أشهر بُدُ العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف، والذي يعتبر المصدر الأهم لفلسفته في علم التصوف، وقد ألفه على الأرجح سنة643هـ_1245م، حين انتقل من بلاد الأندلس إلى المغرب ليجيب على بعض المسائل الفلسفية التي أرسلها الامبراطور فريدريك الثاني إلى الخليفة الحفصي الرشيد وقد يتناول فيه مباحث ومطالب في معرفة حقائق الأشياء، ويتطرق فيه عن علم التصوف وأقسام الصوفية وعلومهم بالإضافة إلى مصير النفس بعد فراقها الجسد وسعادة والنفس

Hadras and Orders, Friedrich-Ebert-Stiftung, Jordan and Iraq Office,2020, p27

([1])- مريم معلاش: المرجع السابق، ص 52.

([2])- انظر ترجمته عبد الحليم محمود: سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي، ط2، دار المعارف، د ت، ص13 وبعدها.

([3])- الغبريني: المصدر السابق، ص 166، 167.

وملذاتها[1]، فضلا عن رسائله الكثيرة في الأذكار والوصايا والمواعظ، وهي عبارة عن أجوبة لأسئلة الامبراطور فريدريك[2] ومن شدة تأثره بالتصوف الفلسفي الذي يعد بمثابة الفلسفة الدينية للإسلام[3] استطاع إنشاء مذهب خاص به يعرف بالوحدة المطلقة[4].

كما ألف الصوفي أحمد بن يوسف الملياني العديد من الكتب الصوفية منها كتاب حكم في التصوف وهو عبارة عن حكَمه التي سجلها بعض مريديه وهي في الزهد التربية الصوفية، منها خديم الدنيا أسير وخديم الآخرة أَجير، وخديم الحق أمير، من دلّك عن الدنيا أتعبك ومن دلّك عن العبادة فقد أشقاك، ومن دلّك عن مولاك فقد نصحك، وله رسالة في الرقص والتصفيق والذكر في الأسواق، تضمنت عدة مسائل في التوحيد والعقيدة والتصوف، وقد تناول فيها طريق المعرفة ودرجات المكاشفة والمجاهدة، وله كتاب آخر منهج الحنيف في معنى الاسم اللطيف، وهو عبارة عن رسالة موضوعها يتناول شرح اسم عبد اللطيف الذي هو من أسماء الله الحسنى[5].

كما عرفت حاضرة تلمسان تفشي لتيار التصوف في الحياة العلمية، وبالأخصّ أنّه انتشر بشكل رهيب جدا مع نهاية ال قرن6هـ/ 12م بعدما تم دفن الصوفي الغوث أبو مدين شعيب بمنطقة العباد، إذ أصبح قبره مزارا مقدسا عند الصوفية والمريدين [6].

([1])- ابن سبعين: بد العارف، تح: جورج كتوره، دار الاندلس ودار الكندي، ط1،بيروت، 1978 ، ص5، 224، 227، 316 وبعدها.

([2])- ابن سبعين: رسائل ابن سبعين، تح: عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د ت ص18 22.

([3]) - Shahida Bilqies: Understanding the Concept of Islamic Sufism, Journal of Education Social Policy, Vol. 1 No. 1; 2014, p56.

([4])- حاتم كعب: الوحدة المطلقة في فلسفة ابن سبعين المرسي قراءة في كتاب بُدُ المعارف، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج6، ع2، 2022، ص674.

([5])- فتيحة زناقي: الولي الصالح أحمد بن يوسف الملياني كما وصفه ابن مريده أبو عبد الله محمد الصباغ القلعي في كتابه بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مجلة الاستعاب، ع8، 2021، ص 578 579.

([6])- التليدي: المصدر السابق، ص 81، انظر كذلك، عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج1، ص 387

ولهذا برز في مدينة تلمسان مجموعة كبيرة من شيوخ التصوف خلال العهد الزياني وكان هؤلاء في بداية انتشار التصوف يعملون بالكتاب و السنة، و الاعتناء بالجانب التربوي العلمي من التصوف وحث الطلبة على الابتعاد عن التصوف الفلسفي المنحرف عن الشريعة الإسلامية الصحيحة، ومن أبرز الصوفية الزهاد السنيين الذين حملوا راية الزهد في العبادة فضلا عن التعليم والإصلاح أبو علي الحباك الصنهاجي (ت 613هـ، 1216م) والشيخ الصوفي العالم أبو عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق[1] (ت 681هـ، 1282م)، الذي كان فقيها وقارئا محدثا متفرغا للعبادة والتأليف في مجال التصوف[2].

كما كانت له جلسات صوفية عامة وأخرى خاصة مع خواصه وإخوانه في الله، فالجلسات العامة تقام للجمهور عامة ويحضرها عامة الناس للاستفادة من الدرس، أما حلقات الدرس الخاصة تكون مع صالحي المدينة المعروفين وعلمائها الظاهرين[3]، وهي جلسة خاصة لا يحضرها إلا من ينتمي إلى هاته الفرقة ولا يدخلها أحد إلا إذا كان منهم[4]، و قبل إلقاء الدروس في الزاوية كانوا يقيمون الصلاة ثم يتبعونها بالمذاكرات وبعدها تجرى مناقشات وبعض المسائل الفقهية والعقائدية ثم تليها الصلاة، إذ يصلون النافلة وقبل ختام الجلسة يتناولون الطعام وتختم الجلسة بالإرشاد والوعظ[5].

([1])- هو الامام المشهور العلامة الحجة الحافظ المحقق الكبير النحوي اللغوي الصوفي المسلك المتخلق أخذ العلم على يد كبار العلماء في تلمسان كالعالم الشريف التلمساني والعالم المغربي سعيد العقباني، والولي الصالح أبي إسحاق المصمودي، له تآليف كثيرة منها شروحه الثلاثة على البردة الأكبر المسمى إظهار صدق المودة في شرح البردة وله كتاب الاستيعاب لما فيها من البيان والاعراب، وكتاب المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية، وكتاب المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية، للمزيد انظر ترجمته الكاملة، تفسير الثعالبي: المصدر السابق، ص 14، محمد بن مخلوف: المرجع السابق، ص252، ابن مريم: البستان، ص201، التنبكتي: المصدر السابق، ص499، عادل نويهض: المرجع السابق، ص 290.

([2]) ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 229 وما بعدها.

([3])- عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج1، ص 388.

([4])-نفسه، ص 388.

([5])- نفسه، ص 388.

وعليه، ومن خلال هذه الجلسات الصوفية التي كانت معظمها تقدم في الزوايا، والتي نالت إعجاب المجتمع التلمساني فتجلت فيهم ظاهرة تقديس الأولياء والمشيخة الصوفية [1]، كما كانت له ثلة من الصوفية الذين قاموا بنشر طريقته ومنهجه في العبادة فضلا عن التبرك به، فامتلأت بهم الزوايا في تلمسان ومساجدها أمثال أبو إسحاق إبراهيم بن علي الخياط، والشيخ الصالح أبو حسن على بن محمد الحال وغيرهم[2]، ومن الصالحين المقربين لابن مرزوق الشيخ الولي أبو يعقوب يوسف التفريسي[3] (ت681هـ/1282م) صاحب الكرامات المشهورة والمقامات المأثورة ويذكر أنه عرف بمخالطته مؤمني الجن التي تعد من كراماته، وكان يدرس بزوايا تلمسان التصوف ودفن بها[4].

أثبتت النصوص المصدريّة أن أشهر كتب التصوف التي كانت مقررة في زوايا تلمسان كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي والرسالة القشيرية وكتاب الشفا للقاضي عياض لأنهما يركزان على علم الظاهر وعلم الباطن[5] وكونها المنبع الأساسي في الفكر الصوفي، كما يبدو كذلك أن التصوف له تأثير وانعكاس على مجال الأدب والشعر، فنظم كثير من الصوفية قصائد شعرية تحكي أحوالهم وأفكارهم ومعتقداتهم الدينية ولعل هذه القصائد كانت تفرض على الطلبة بحفظها لتزداد عقيدة التصوف عمقا في نفوسهم[6]، ولهذا خصص الصوفي ابن زاغو التلمساني (ت845هـ/1441م) [7] يوم الجمعة المبارك

([1])- ألفرد بل: المرجع السابق، ص 312.

([2])- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص390.

([3])- ضريحه مازال ليومنا هذا بمنطقة أقادير بولاية تلمسان، وهيكل الضريح يظهر على شكل مستطيل وفوقه قبة وبجهته الجنوبية سور به محراب فيعتقد أنه كان يتبرك به.

([4])- نفسه، ص 423.

([5])- هادي جلول: المرجع السابق، ص146.

([6])- عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج2، ص 400.

([7])_ هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن زاغو المغراوي الخزري التلمساني الفقيه المفتي ولد عام 782هـ_ 1382م، بتلمسان طلب العلم بحاضرها فترعرع على حب العلم مصاحبة العلماء والصلحاء فأخذ العلوم الشرعية وتعلم الحساب والرياضيات، انظر ابن زاغو تذييل في اختتام التّفسير، تح: الحسن الوزاني، ط1، مطبعة الكرامة،

بتدريس كتب التصـــوف ورجاله لطلابه واختار هذا اليوم لارتباط عظمته بهذا العلم، أما في باقي أيام الأســـبوع فيقـدم دروســـا في مجـال العلوم العقليـة والنقليـة[1]، كمـا دون أبو عبـد الله المقري(ت759هـ/1357م) العديد من كتب التصـــوف منها كتاب الحقائق والرقائق الذي يتناول فيه خلاصـة المعرفة وصـفوة العلم ونقاوة العمل من أجل نيل الرضـا[2]، وكتاب سماه بلمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض وهو منظومة شعرية في التصوف[3]، وألف ابن صعد التلمساني(ت901هـ/1496م) كتابا في هذا المجال سماه النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب الذي يترجم فيه لأعلام من المشرق والغرب الإسلاميين، إذ يعدّ من المصادر المنقبية النادرة المؤلفة في الغرب الإسلامي حيث يترجم لكل الفئات: صـــوفية، فقهاء قضـــاة أولياء...، ويمتد تاريخ المترجم لهم من القرن 2إلى 9هجري/ 8، 15ميلادي، منها مشـهورة وأخرى مغمورة[4]، وكتابا آخر أسماه: روضـة النسـرين في التعريف بالأشـياخ الأربعة المتأخرين[5].

4 _علم الحديث:

لا ريب أنّ اهتمام صوفية المغرب الأوسط بالتدريس شمل علم الحديث لكونه يدخل ضمن العلوم الدينية ويظهر هذا الاهتمام من خلال عملية التأليف والشرح والاختصار لكثير من المتون، فقد ألف ابن قنفد القسنطيني عدة كتب يشرح فيها أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، أشهرها كتاب شرف الطالب في أسنى المطالب وهو مكون من جزئين إذ تناول في الجزء الأول شروحات للقصيدة الغزالية الموسومة بغرامي

الرباط، 2024، ص 19، رحلة القلصـادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشـركة التونسـية للتوزيع، 1978، ص102 وبعدها، التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2004، ص118 وبعدها.

([1])- ابن مريم: المصدر السابق، ص 43.

([2])- المقري: الحقائق والرقائق، تج: عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص 152.

([3])- عباس بن يحي: إشكالية التصوف في خطاب المقري، الأثر، ع33، 2022، ص 36 .

([4])- انظر ترجمته ، ابن صعد: المصدر السابق، و3 وبعدها.

([5])_ تحقيق ومراجعة: يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

صحيح[1] وهي قصيدة لها علاقة بعلم الحديث تتناول ألقاب علوم الحديث وصاحب هذه القصيدة أبو العباس أحمد بن فرج الإشبيلي[2] (ت699هـ_1299م) وتم شرحها ليسهل على المتعلمين فهمها، أمّا الجزء الثاني انصب اهتمامه بوضع تراجم لسلسلة من المحدثين، وبعد تحقيقه أطلق عليه اسم الوفيات[3] وكتابا آخر أسماه أنوار السعادة في أصول العبادة يتناول فيه شرح أركان الاسلام الخمس ويذكر في كل ركن من أركان الاسلام أربعين حديثا وأربعين مسألة، ويمكن أن يكون الكتاب علامة النجاح في مبادئ الاصلاح لابن قنفد من ضمن تآليفه في علم الحديث [4]

بالإضافة إلى ما سبق، نجد الصوفي الفقيه المحدث ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ_1381م) الذي يعد من كبار المحدثين في القرن الثامن للهجرة[5] حيث نزل ببجاية ودرس بها مختلف العلوم الدينية في مراكزها الدينية ومنها علم الحديث معتمدا في دروسه على كتب الصحاح الست كسنن أبي داود (ت275هـ/888م) التي تحتوي على خمسة آلاف حديث للنبي صلى الله عليه وسلم إضافة إلى سنن الترميذي (ت279هـ/891م) وسنن الامام أحمد بن حنبل (ت241هـ/855م) [6] كما كان يعتمد في دروسه على كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض الذي يشرح فيه أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ومقتطفات من سيرته [7] ومن أهمّ تآليفه في علم الحديث نذكر، تيسير المرام في شرح

([1])- أبي العباس بن فرج الاشبيلي: جامع شروح منظومة غرامي صحيح، تح: أبي محمد عبد الله بن لمح الخولاني، ط1، دار الامام أحمد، 2011، ص13 وبعدها.

([2])- ولد بإشبيلية سنة 624هـ، ونزل بدمشق وتفقه على يد العز بن عبد السلام وعبد العزيز الانصاري، ورحل إلى الحجاز ومصر وغيرها وسمع من خلق كثير وعُني بالحديث وفقهه حتى صار من كبار الأئمة وأخذ منه وتخرج به عدد من الأئمة منهم الامام الذهبي، انظر أبي العباس بن فرج الاشبيلي: المصدر السابق، ص11.

([3])- علال بن عمر: الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة من القرن 7_ 10هـ/ 13_16م، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2011/2010، ص 148.

([4])- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 149.

([5])- ابن مريم: المصدر السابق، ص 184.

([6])- محمد الشريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص 122.

([7])- نفسه، ص123.

عمدة الأحكام وله شرح جليل على العمدة في الحديث والبردة[1]، والتعليق على صحيح البخاري[2]، والمثال ينطبق على الصوفي عبد الرحمن الثعالبي الذي ألف كتابا في هذا الميدان سماه غنية الواجد وبغية الطالب الماجد[3]، ويبدو أن معظم هاته المصنفات العلمية تميزت بالشرح والبساطة لضمان سرعة فهمها من قبل الطلبة والمريدين.

ومن الملاحظ أن المتصوفة في المغرب الأوسط تميزوا بالتبحر في العلوم الدينية فصنفوا تآليف في تخصصات عدّة، معتمدين بالأساس على منهج الشرح والتبسيط، على غرار الشيخ الصوفي سابق الذكر عبد الرحمن الثعالبي الذي له مصنفات في عدة علوم حيث كان يؤلف في العلم الواحد أكثر من مصنف مبسط ومختصر، فعلى سبيل المثال في مجال علم الحديث ألّف غنية الواجد وكتاب جامع الخيرات المصنف بقرب الممات الذي جمع فيه مجموعة كثيرة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وتم تأليفه في القرن9ه[4]، هذا بالإضافة لكونه اختصّ بتدريس هذا العلم في حاضرة تلمسان الزيانية، وكتشجيع لقراءة علم الحديث كان مشيخة تلمسان الصوفية يقيمون حفلات بعد الختم من قراءة كتب الصحاح [5]، ومنه فيمكن القول أن متصوفة المغرب الأوسط ساهموا بشكل كبير في إعادة بعث هذا العلم من جديد واحيائه في نفوس الطلبة باعتباره من العلوم الشرعية الحادثة في الملة حسب رأي العلامة ابن خلدون [6] ومصدرا أساسيا لدى المسلمين في تشريعاتهم وبه يتضح القرآن الكريم وتفسيره[7].

ومن أشهر كتب الحديث التي كانت محل دراسة من طرف الصوفية، إذ ألفوا تدارسوا الأحاديث التي لها علاقة مثل كتاب المسند الصحيح الذي يتناول أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب الجامع

---

[1] ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص 313، ابن قنفذ: الوفيات، ط4، تح: عادر نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 374.

[2] ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص276.

([3])- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق ،ج1، ص 83.

([4])- عبد الحميد حاجيات: مخطوط نفيس لعبد الرحمن الثعالبي، مجلة الثقافة، ع 117، 1999، ص 191، 195.

([5])- عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج2، ص 442.

([6])- المقدمة، ص 611.

([7])-عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج2، ص 440.

الصحيح للمحدث أبي عبد الله القشيري (ت261هـ_ 874م) [1] وكتب السنن ومنها كتاب السنن للمحدث أبي داود(ت275هـ/888م) وكتاب الترميذي (ت 279هـ/ 892م) الجامع وكتاب النسائي (ت303هـ/915م) [2].

إضافة إلى جهود الصوفي أبي عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق (ت 681هـ_ 1282م) وتلميذه أبي زكرياء يحي بن الصقيل الذي يعد من كبار المحدثين في حاضرة تلمسان [3]، بالإضافة إلى الصوفي علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله الذي كان له علو سند في الحديث وسنده في البخاري سند عالٍ وقد روى عنه الأندلسيون ببجاية لقصور سندهم عن هذا السند، ويبدو أنه كان يدرس في زاويته هذا العلم التي كانت متواجدة بخارج باب ميسون، وانقطع فيها حتى آخر عمره عن الناس [4].

5 _ العلوم الأدبية:

لقد شكلت الفترة المدروسة مرحلة متقدمة في تاريخ الأدب الصوفي بالمغرب الأوسط، وقد ارتبط هذا التقدم مع ظهور الزاوية كمؤسسة دينية واجتماعية حديثة النشأة، اذ حدث تفاعل بينهما مما أفرز نخبة من الأدباء والشعراء، وقد كانت كتاباتهم انعكاسا واضحا لعمق التجربة الصوفية بالمغرب الأوسط، حيث أبدع متصوفة المغرب الأوسط في مصنفاتهم وأراجيزهم مما قدموه من مفاهيم الزهد والمعرفة، وبالتالي أصبحت الزوايا فضاء لإنتاج الخطاب الادبي والفكري في آن واحد، إذن فيما تمثل الأدب الصوفي لمتصوفة المغرب الأوسط؟ وكيف أثر في تثقيف المجتمع المغاربي ونشر الوعي؟

([1])- الجامع الصحيح، ج7، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ت، ص 2 وبعدها، انظر عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج2، ص 441.

([2])- نفسه، ص 441.

([3])- تفسير الثعالبي: المصدر السابق، ص 14، محمد بن مخلوف: المرجع السابق، ص252، ابن مريم: البستان، ص201، التنبكتي: المصدر السابق، ص499، عادل نويهض: المرجع السابق، ص 290 ، عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج2، ص 378.

([4])- الغبريني: المصدر السابق، ص 137، انظر عبد المنعم القاسمي: عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر،ط1، دار الخليل القاسمي، 2005، ص 237.

أ_ النشر:

يُعد الادب الصوفي ذلك النتاج الإبداعي الذي نتجه الزهاد والمتصوفة على اختلاف اتجاهاتهم السنية والفلسفية، وهو أدب يسعى إلى التعبير عن الحياة الروحية للإنسان، ويقوم بتطهير النفس في من علائق الدنيا وشهواتها والارتقاء بالروح نحو مراتب الصفاء والتجرد والترغيب في الإقبال على الآخرة[1]، ويتناول في مضمونه الخطوات التي يتدرجها السالك _المريد_ في تطهير النفس وبلوغ مرتبة الكشف وكل ذلك يعكس الروح الدينية العالية عندهم وهو نثرا فنيا راقي البيان وأغراضه هي: رسائل الشوق إلى الأماكن المقدسة_ الأحزاب والأوراد_ التوسلات_ الرسائل الصوفية والمكاتبات، الحكايات الكرامية، الحكم [2].

وعليه، غلب على الأدب الصوفي النثري الكتابة الدينية، وحياة الزهد والدعوة إلى الابتعاد عن ملذات الدنيا وشهواتها، والسبب يعود إلى طبيعة الحياة التي يعيشها الصوفي فيحاول ترجمة حياته الزهدية إلى دراسات أدبية تبين للمجتمع طريقة التعبد الصحيحة، من أجل الوصول إلى الله تعالى ونيل بركته ورضاه فضلا على أهميتها الاجتماعية وما يحتاجه المجتمع في حياته اليومية من تجارة وصناعة وزواج وطلاق وما إلى ذلك[3]، ولعلّ من الصوفية الذين أبدعوا في فنون الكتابة الأدبية سواء شعرا ونثرا الصوفي محي الدين بن عربي(ت 638هـ_1240م) له عدة تآليف بعد استقراره في بجاية له كتاب في الأدب الصوفي سماه مواقع النجوم ومطالع أهلة الاسرار والعلوم [4].

([1])- مختار حسيني: خصائص أدب التصوف في المغرب الأسط خلال القرنين 6 و7هـ، Altralang Journal، مج5، ع1، 2023، ص 546.

([2])-الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط، مجلة حوليات التراث، ع2، 2004، ص 17.

([3])-نفسه، ص 24.

([4])- هو كتاب في علم التصوف يتناول فيه ابن عربي المراتب الروحية التي يبلغها العبد وهي العناية والتوفيق في المرتبة الأولى والمرتبة التي تليها وهي الهداية والتحقيق ثم المرتبة الأخيرة ويناول فيها الولاية وهي أعلى المراتب الروحية وهي كذلك العمل الموصل إلى مقام الصديق وهو الذي يرفع الكلم الطيب إلى المستوى الأعلى، انظر ابن عربي: مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم، المكتبة العصرية، بيروت، د ت، ص 9.

وبتلمسان نزل الصوفي أبو عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي (ت 610هـ_1214م)، الذي أثرى الأدب الصوفي بمؤلفات أبرزها كتاب الأربعين حديثا في الفقر وفضله، وكتاب الحب لله،كان يدرسها على الطلبة والمريدين، وفي مضمونها دعوات إلى ترغيب النفوس في ترك الدنيا وحب الله و الاقبال على التصوف لما فيه من فضائل ومزايا مستعملا في تبليغ هذه الأهداف الروحية أسلوب الوعظ والتذكير على طريقة الشيخ الزاهد عبد الحق الاشبيلي(ت 581هـ_1185م) [1]، كما أنتج أبو العيش محمد بن أبي زيد عبد الرحيم الخزرجي التلمساني (ت 654هـ) [2] في نفس السياق له في التصوف نظم وكثير في الزهد وسبل الخير والوعظ وتنزيه الباري [3].

([1])- هو الامام الحافظ البارع مولده كان سنة 514هـ، استقر في مدينة بجاية وقت الفتنة التي زالت فيها الدولة اللمتونية فنشر بها علمه وصنف التصانيف واشتهر اسمه وسارت به أحكامه الصغرى والوسطى الركبان وله أحكام كبرى قيل هي بأسانيده، كما تولى خطابة بجاية، كان عالما بعلم الحديث وعلله عارفا بالرجال موصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع، مشاركا في الأدب وقول الشعر قد صنف في الأحكام نسختين كبرى وصغرى، وله مصنف كبير جمع فيه بين الكتب الستة وله كتاب المعتل من الحديث وله كتاب العاقبة في الوعظ والزهد، توفي سنة581هـ ببجاية، الذهبي: المصدر السابق، ج21، ص 198.

([2])- هو الفقيه الأجل أشبيلي الأصل لكنه استقر بتلمسان كان بارع الكتابة شاعرا مجيدا رائق الخط ذا مشاركات في فنون العلم فسر القرآن الكريم وشرح الأسماء الحسنى وصنف عقائد أصولية في الدين وكتابا في أصول الفقه وتوفي بتلمسان سنة 654هـ ودفن خارج باب كشوط ، انظر أبي القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص333.

([3])- نفسه، ص 334، انظر، الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط، ص 24.

ومن مميزات الأدب الصوفي توظيف السجع، فنجد الصوفي أبا الحسن علي بن عمران المليانى (ت670هـ_1271م) [1] وكذلك أبو محمد عبد الحق بن الربيع البجائي(ت675هـ_1285م) [2] يستخدمون السجع في جميع مؤلفاتهم الأدبية، وبالطبع السجع يعطي للكتابة الأدبية ذوقا رفيعا من نوعه للقراء والطلبة والمريدين على وجه الخصوص، كما أن هذا التوظيف البياني بين مستواهم العلمي ومدى تحكمهم في قواعد اللغة العربية؛ ومنه يفهم أن الأدب الصوفي استخدمه المتصوفة كسلاح يجلب القراء والمريدين[3] فضلا عن البلاغة والفصاحة التي تميز بها الصوفي أبو الحسن النميري الششتري (ت668_1270م)، فقد كان أديبا ومن الطلبة المحصلين، وله تقدم في علم النظم والنثر على طريقة التحقيق، وشعره في غاية الانطباع والملاحة، وتواشيحه ومقفياته ونظمه الهزلي الزجلي في غاية الحسن، حتى أصبح الكثير من الطلبة يرجحونه إلى شيخه أبي محمد بن سبعين[4].

ومن أشهر الكتب الأدبية واللغوية التي اعتمد عليها الصوفية في تقديم دروسهم، كتاب النحو لسيبوية (ت180هـ/796م) الذي يعد من أشهر وأحسن الكتب النحوية، فضلا عن كتاب الجُمل [5] لأبي

([1])– هو الشيخ الفقيه الأصولي الجليل الفاضل عرف باسم أساطير، لقي المشيخة الصوفية ببجاية كالشيخ أبي الحسن الحرالي، كان له علم الفقه وأصول الدين والتصوف وعلوم الحكمة وكان له علم بالوثيقة وكان من عدول بجاية وخيارها ومتخصصا متزهدا متعففا مقتصدا وكانت له رياسة وهمة وعلو منزلة توفي ببجاية سنة 670هـ_ 1271م، انظر الغبريني: المصدر السابق، ص227.

([2])– هو فقيه مالكي صوفي من أهل بجاية وأصله من بلدة أبدة الاندلسية، كان يحمل فنونا من العلم الفقه والأصلان والمنطق والتصوف والفرائض والحساب، وله قصيدة صوفية تتكون من خمسمائة بيت توفي ببجاية سنة 675هـ_1285م ودفن بخارج باب المرسى، انظر عادل نويهض: المرجع السابق، ص36.

([3])– الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص 253.

([4])–الغبريني: المصدر السابق، ص239.

([5])– صنفه بمكة وطار ذكره بين الناس وهو كتاب في النحو استفاد منه طلبة العلم وأصبح محل دراسة عند المتصوفة، انظر الزجاجي: الجمل، تح: علي توفيق الحمد، دار الأمل، 1984، ص7 وما بعدها، مريم جلاط، منهجية محمد بن أبي شنب في تحقيقه لكتاب جمل الزجاجي، مجلة اللغة العربية وآدابها، مج8 ع2ن 2020، ص470.

القاسم الزجاجي (ت 340هـ_ 940م) [1] إذ عُدّ من أكثر المؤلّفات التي كان يسعى إلى تحصيلها الطلبة[2].

وفي نفس السياق ساهم الصوفي ابن قنفد القسنطيني في هذا المجال تدريسا وتأليفا، حيث ألف عدة كتب في اللغة العربية والتي كانت لها مكانة عالية حتى أصبحت تدرس في الزوايا ومتداولة بين المريدين والمتعلمين، ولعلّ من أشهر مؤلفاته الإبراهيمية في مبادئ العربية [3] حيث اختصر فيها قواعد النحو والصرف، وله كتاب هداية السالك في بيان ألفية مالك[4] كما قام بشرح العديد من القصائد الصوفية وتفسيرها منها شرح غرامي صحيح، وشرح قصيدة البهجة السنية في حل الإشارة السنية[5] وقام بشرح كتاب التلخيص للخطيب المرزوقي (ت739هـ_ 1338م) وهو كتاب في البلاغة [6].

ب _الشعر:

بعد أن وقفنا في محطات سابقة على اهتمام الصوفية بميدان الأدب والنثر، حليّ بنا أن نشير كذلك إلى تبحرهم في ميدان الشعر، فقد برع الصوفية بالكلام الموزون المقفى _الشعر_ تنظيما وتدريسا وأعطوا

([1])- اسمه الكامل أبو القاسم عبد الرحمن ولد بنهوند جنوبي همدان كان محبا للعلم والعلماء فأخذ العلم عن الشيخ الزّجاج و محمد بن رستم الطبري و ابن كيسان وابن شقير وابن الخياط وابن السراج والأخفش وغيرهم وله العديد من المؤلفات اللغوية فألف في النحو والصرف واللغة العربية وحروف الهجاء والمعاني والعروض ومن أشهر كتبه كتاب مختصر الزاهر يتناول فيه الأقوال و الأمثال وله كتاب الايضاح يبحث عن العلة النحوية، للمزيد انظر أسامة سيد المطراوي: الفكر النحوي عند أبي القاسم الزجاجي(ت 337هـ)، حولية كلية اللغة العربي للبنين بجرجا، مج28، ع2، 2024، ص1331.

[2] رضا بن النية، أشراف المغرب الأوسط خلال العصر الزياني633 -962هـ/1236-1555م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، 2018/2017م، ص491.

([3])- ابن قنفد: الفارسية ، ص 79.

([4])- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 158.

([5])- ابن قنفد: شرف الطالب في أسنى المطالب، ط1، تح: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، 2003، ص 56.

([6])- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 159.

له مكانة عالية واهتماما بليغا، حتى ازدهر الشعر الصوفي بكل أنواعه وألوانه من مدح وزهد وغيرها، وربما هذا الازدهار يعود إلى مدى شغفهم باللغة العربية حتى تحكموا في قواعدها والاهتمام بقراءتها منذ الصغر خاصة في الزوايا الصوفية، إذ برع المتصوفة ومريدو الزوايا في قول الشعر، ولعل أبرز دليل يوضح ذلك المراسلات التي كانت تجري بين أبي مدين شعيب في بجاية وتلميذه أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر (ت 621هـ/ 1225م) فهي خير دليل على ذلك، فقد كتب أبو محمد إلى شيخه وهو يثي عليه ويصف فضله ويشيد بصفاته وخصاله الحميدة [1] في كتاب ومنه هاته الأبيات التي نقلها لنا كتاب أنس الفقير:

شعيب ولي الله سر عبادته ...أبو مدين مغني الأنام بفخره

فيه جنة المأوى وعلم الهدى ...ويا ناشر علم الإله بأمره

حضرت ولم تحضر غبت ولم تغب ... وما كنت في كل بجانب ظهوره

فنورك نور الله له وهل ...إلى أحد في الناس إطفاء نوره [2].

ورد عليه أبو مدين شعيب في رسالة يدعو له ويمدحه، ويبدو من خلال هاته المكاتبة التي جمعت بينهما مدى تحكمها في اللغة العربية وقوانينها حتى أطربوها كالغناء حيث نجدها تجمع بين أسلوب الشعر والنثر مع تطعيمها سجعيا، مركزين على كلمات النصح والتشوق والمناجاة [3]، ومنه يبدو أن الشعر كان يستخدم للتواصل بين الصوفية يتناولون فيه مفردات صوفية غامضة لا يفهمها إلا من هو منغمس في ميدان التصوف على حد قول ابن خلدون الشعر فن من فنون الكلام .... فإن أمكن أن تجد فيه أهل الألسن الأخرى مقصودة من كلامهم [4]، ومن الملاحظ أن نظم الشعر لم يكن مقتصرا على علماء الأدب فقط بل تعدى جميع شرائح المجتمع على حد قول الباحث عبد العزيز فيلالي [5]

([1])–الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص 250.

([2])– ابن قنفد: أنس الفقير، ص98.

([3])– نفسه، ص 99.

([4])– المقدمة، ص 784.

([5])– تلمسان ،ج2، ص 463.

وكذلك الشيخ الصوفي أبو العباس أحمد الغمازي الأنصاري الذي يدعو في شعره إلى الزهد والابتعاد عن اللهو والترف ومما نظمه:

وإياك أن تمضي من الدهر ساعة .... ولا لحظة وإلا قلبك واجف.

وبادر بأعمال تسرك أن ترى .... وإذا أنشرت يوم الحساب الصحائف

ولا تيأسن من رحمة الله إنه .... لرب العباد بالعباد لطائف [1].

وكذا أبو عبد الله محمد الشاطبي (ت 699هـ_ 1301م) الذي أقام ببجاية واشتهر بقصائده الشعرية وكان له الفضل كذلك في عملية تلقين الطلبة والمريدين دواوين شعر الزهد فقد لقن وشرح دواوين أبي العلاء المعري وحبيب بن أوس [2] وهذا نموذج من إحدى قصائده:

جعلت كتاب ربي لي بضاعة .... فكيف أخاف فقرا وإضاعة

وأعددت القناعة رأس مالي .... وهل شيء أعز من القناعة [3]

كما اهتم الصوفية بشعر المدح ونظموا قصائد كثيرة يمدحون فيها النبي صلى الله عليه وسلم ويذكرون صفاته ويشيدون بمعجزاته ويشتاقون لزيارة قبره وهو ما يعرف بشعر المولديات[4]، أشهرهم عبد الرحمن

([1])- محمد الطمار: المرجع السابق، ص 179 180.

([2])- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص 255.

([3])- المقري: المصدر السابق، ج4، ص 316.

([4])- هو الشعر الذي ينظم في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد احتل مكانة مرموقة في أدب العهد الزياني، وقد تفيض المدونة الزيانية بالعديد من قصائد المولديا والمدائح النبوية والموشحات، إذ عبر الشعراء فيها عن شوقهم وحنينهم إلى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام، ومن خصائص هذا الشعر ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم وفضائله والتركيز على معجزاته فضلا عن قوة التصوير باستخدام الصور البيانية والمحسنات البديعية للكشف عن المعاني، انظر حسيبة عمروش: شعر المولديات والمديح النبوي في البلاط الزياني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج8، ع1، 2017، ص 284 وبعدها.

الفزازي (ت627هـ/1270م) [1] الذي استعمل في شعره الأسجاع والمحسنات البديعية كالجناس والطباق والمقابلة والتورية وقد استعمل البلاغة أحسن استغلال في صياغة قصائده التي استقى افكارها وروحها من القرآن الكريم مما زادها سحرا وجمالا [2] ، هذا إضافة إلى ابن مرزوق الخطيب الذي نظم قصيدة مولدية بمناسبة احتفالات المولد النبوي الشريف[3].

هذا بالإضافة إلى كون أسلوب شعر المديح لدى الصوفية اتّسم ببساطة الأسلوب وسهولة الألفاظ ما يسهل تناقلها بين الناس فأصبحت وردا يردده الناس في المناسبات الدينية بالزوايا الصوفية وأصبح إرثا شعبيا اجتماعيا مثل الأذكار والتسابيح قبل أن يتحول إلى لغة خاصة وألفاظ عرفها الشعر الصوفي [4] مع المزج بين المناسبة الدينية والقضايا السياسية [5]

كما نظموا قصائد الشوق الحنين إلى الأماكن المقدسة، وقد برز هذا النوع من الشعر في بجاية مع الصوفي الخطيب أبي عبد الله محمد بن صالح الشاطبي (ت 699هـ_1301م) يقول متشوقا إلى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول[6]:

أرى العمر يفنى والرجاء طويل وليس إلى قرب الحبيب سبيل.

([1])- هو عالم ورحالة يكنى أبا زيد ولد بقرطبة ونشأ بها ثم سكن تلمسان، وتعلم بها قبل 576هـ_1180م على يد أبي عبد الله التجيبي، وكان عالما بالحديث متصوفا في فنونه حيث قال عنه المقري " أبرع من ألف وصنف، وأبدع من قرّط وشنّف، فقد طاع القلم لبنانه، كان نسيج موحده رواية وأخبارا وله سماع بالحديث ورواية وفهم بقوانينه ودراية، انظر المقري: المصدر السابق، ج4، ص 468، علي عشي: دور علماء المغرب الأوسط في مجال العلوم الدينية " علوم القرآن والحديث، خلال العهد الموحدي 534هـ/ 1139م_ 633هـ/1235م ، مجلة الدراسات الإسلامية، ع2، 2013، ص 494، 495.

([2])- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص 256.

[3] المقري، نفح الطيب ج5، ص 397-402، ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 314، المسند الصحيح، ص53.

([4])- الوردي غنيمي: شعر التصوف في المغرب الأوسط القديم بين الاتباع والاختلاف، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج12، ع3، 2023، ص343.

([5])- حسيبة عمروش: المرجع السابق، ص 295.

([6])- المقري: المصدر السابق، ج4، ص 340.

وفي نفس المسار يقول الصوفي أبو عبد الله محمد بن الحسين التميمي (ت 673هـ_1275م) [1].

وأني أدعوا الله دعوة مذنب عسى أنظر البيت العتيق وألثم

فيا طول شوقي للنبي وصحبه يا شد ما يلقي الفؤاد ويكتم

كما ظهر الشعر الصوفي في المغرب الأوسط على شكل أحزاب وأوراد في مطالعها بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة كان شيوخ الزوايا يفرضونها على المريد لقراءتها في أوقات معلومة، فقد كان الصوفي أبي الحسن الحرالي (ت638هـ) يقرأها بعد صلاة الصبح، كما كانت له حكم شعرية تتكون من مئة وأربعة وسبعين حكمة، وقد كانت حكم الصوفي الشعرية مشهورة لدى متصوفة المغرب الأوسط وهي حكم[2] ابن عطاء الله السّكندري الشاذلي (ت709هـ) [3] كانت محل دراسة عند متصوفة المغرب الأوسط وهي حكم تكشف عن حقيقة التربية الإسلامية وهي بمثابة دستورا يحمل في مظانه عبارات سهلة جزلة رائعة وإشارات جامعة مانعة تنص على التوبة والانابة والأخلاق الحميدة، فقد أولوها عناية خاصة وأكثروا من شرحها[4].

([1])- الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط، ص26.

([2])- الحكمة هي عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وهو ما قل ودل من الكلام، للمزيد انظر حسان سرسوب: الحكمة في ضوء القرآن الكريم نحو رؤية نظرية ودراسة تحليلية، مجلة المعيار، مج25، ع53، 2021، ص 3.

([3])- كان إماما في الفقه والأصول والعربية اختصر كتاب المفصل للزمخشري وكان رفيقا للشيخ أبي عمرو بن الحاجب في القراءة على الشيخ أبي الحسن الأبياري، وألف البيان والتقريب في شرح التهذيب وهو كتاب كبي جمع فيه علما جما وفوائد غزيرة وأقوالا غريبة نحو سبع مجلدات، انظر ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج2، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث العربي للطباعة، القاهرة، ص 43.

([4])- ابن عطاء الله السكندري: الحكم، ط1، تح: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، المكتبة الأزهرية للتراث، 2012، ص 53.

وقد اشتهر متصوفة المغرب الأوسط بتنظيم شعر التوسلات والابتهالات نتيجة الصراعات السياسية والحروب فقد نجد الصوفي ابن عبد الله محمد بن الحسني القلعي (ت673هـ_1275م) الذي يقول طامعا في رحمة الله وشفاعة رسوله فيقول [1]:

فيا سامع الشكوى أقلني عثرتي فإنك يا مولاي تعفو وترحم

أما شعر التصوف الفلسفي يتناول في مضمونه وحدة الوجود[2] ويعد الصوفي ابن عربي أول من تناول هذا الشعر في المغرب الأوسط حينما قال: "سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها" وهو مذهب يقوم على دعائم ذوقية أساسا كما يؤمن في نظريته في الوجود بالفيض أي بأن الله أبرز الأشياء من وجود علمي إلى وجود عيني ويفسر ابن عربي وجود الموجودات بالتجلي الإلهي[3] الدائم الذي لم يزل ولا يزال وظهور الحق في كل آن بما لا يحصى عدده من الصور، بالإضافة إلى هذا يتناول التصوف الفلسفي فكرة الوحدة المطلقة وتسمى أيضا بالوحدة النقية الخالصة[4] كان الصوفي الششتري من الدعاة إلى هذه الفكرة متأثرا في ذلك بابن سبعين الذي انطلق من التمييز بين ما هو موجود حقيقي وما هو موجود وهمي، فهو يعتقد أن الحق واحد أما دونه فهو وهم، فاذا سقطت الأوهام صار مجموع العالم بأسره وما فيه واحدا، ذلك الواحد هو الحق، وراح الششتري يتغنى بهذا المذهب بقوله[5]:

فيا قائلا بالوصل والوقفة التي حجبت بها اسمع وارعوى مثل ما أبنا

تقيدت بالأوهام لمّا تداخلت عليك ونور العقل أورثك السجنا

([1])- الطاهر بونابي: نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط، ص 32.

([2])- أحمد عبيدلي: الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجريين، رسالة ماجستير في الأدب المغربي القديم، جامعة الحاج لخضر، باتنة،2004 _2005، ص75.

([3]) - Titus Burckhardt:introduction To sufi doctrine, World Wisdom, kanada , 2008 ,p69.

([4])- نفسه، ص79.

([5])- ديوان أبي الحسن الششتري، ص72.

5_علم الفلك:

هو العلم الذي يدرس النجوم والكواكب وحركاتها تحت ما يسمى بعلم التنجم أو علم النجوم فمدلوله من الناحية اللغوية جاء من الفعل الثلاثي نجّم الشدة فوق الجيم وكان هذا العلم يستخدم في المعاملات المالية والقروض خاصة عند العرب حيث تجعل من مطالع القمر وبعض الكواكب مواقيت لحلول ديونها وآجال معاملاتها والدفع يكون أحيانا منجما أي مجزأ[1]، وبنفس المعنى ثبت أن القرآن الكريم نزل منجما في ثلاثة وعشرين عاما أي على أجزاء متتالية حسب أسباب النزول وليس دفعة واحدة، [2] وعلم التنجيم هو علم يهتم بكل ذلك من حيث دلالته على ما سيحدث في العالم الأرضي والتنبؤ به قبل حدوثه[3] كما عني المسلمون بهذا العلم خاصة بدراسة الكواكب والنجوم ليهتدوا بها وسط الفيافي والصحاري في الليل واعتمدوا في تقويمهم على القمر[4] استنادا لقوله تعالى " وهوَ الذِي جَعَلَ لَكُم النُجوم لتهتدوُا بِهَا في ظُلمات البرِّ والبحر قد فَصلنا الآيات لقومٍ يَعلمُون" [5].

ومن الصوفية الذين عنوا بهذا العلم محمد بن يوسف السنوسي تعلم علم الفلك والتنجيم عند العالم الفقيه الرياضي محمد بن أحمد التلمساني المعروف بالحباك (ت 867هـ/ 1462م) الذي كان يدرس علم الإسطرلاب،[6] ولهذا قام الصوفي السنوسي بشرح مؤلفاته في علم التنجيم منها أرجوزته الموسومة ببغية الطلاب في علوم الإسطرلاب تحت عنوان عمدة ذوي الألباب ونزهة الاسطرلاب في شرح بغية الطلاب

([1])- محمد الكتاني : موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني و العلمي و الأدبي ، ج1، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014، ص 673 674.

([2])- نصيرة عزرزدي: تطور علم الفلك بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسطى، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، جامعة جيلالي اليابس، بلعباس، 2016 2017، ص 32.

([3])- نفسه، ص 32.

([4])- عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج2، ص 475.

([5])- سورة الأنعام: الآية 97.

([6])- علم الاسطرلاب: هو علم يحدد مسافة ارتفاع الكواكب في السماء عن الأفق، ومن خلاله يتم تعيين الزمن، انظر عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج2، ص 475.

في علم الاسطرلاب، حيث قام بشرح طرق معرفة تحديد أوقات الصلاة فكان الشيخ الصوفي السنوسي يقدر هذا العلم ويقدم دروسا تفصيلية لتلامذته ومريديه في زاويته[1] والاضافات التي قدمها ابن قنفد القسنطيني في علم الفلك نذكر منها كتاب القنفدية في إبطال الدلالة الفلكية، بالإضافة إلى كتاب مخصص لطلبة العلم وسماه تيسير الطالب في تعديل الكواكب وكتاب سراج الثقات في علم الأوقات[2].

كما شرح ابن قنفد القسنطيني منظومة أبي الرجال (ت432هـ/ 1040م) في علم النجوم والفلك الموسومة بالاستدلال بالطوالع على الكوائن بيّن فيها مفهوم علم الفلك ومدى فائدته، وشرح حركة الانسان بالنجوم ثم قام بتبويب الكتاب لتقديم الفهم أفضل للطلبة والمتعلمين منها باب الفرائض وباب البيع وباب التزويج ثم وضع جدول على شكل ملاحق [3] وسمى شرحه بالمنظومة الحسابية في القضايا النجومية [4].

ومن مؤلفاته كذلك التي صنفها في هذا المجال القنفدية في إبطال الدلالة الفلكية وضع فيها معاني أرجوزة أبي الحسن علي (ت 432هـ/1040هـ) وبين مبانيها [5] كما شرح منظومة أخرى المسماة المنظومة الحسابية في القضايا النجومية [6] لأبي الحسن علي بن أبي الرجال القيرواني (ت 426هـ) [7] وله كتاب تسهيل المطالب في علم الكواكب [8]

([1])- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 476.

([2])- سليمان الصيد: ابن قنفد القسنطيني حياته وكتابه وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، مجلة الثقافة الإسلامية، ع13، 2015، ص202.

([3])- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 115.

([4])- سليمان الصيد: المرجع السابق، ص 202، علال بن عمر: المرجع السابق، ص 166.

([5])- ابن قنفد: الفارسية، ص 82.

([6])- ابن قنفد: شرف الطالب، ص 42.

([7])- هو أبو الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب الشاعر الفلكي المولود بتاهرت كان خادم ديوان الانشاء في عهد الأمير الصنهاجي باديس، انظر، المراكشي، البيان المغرب، ج1، ص 273.

([8])- ابن قنفد: الفارسية، ص 71.

الجدول يوضح جميع مؤلفات ابن قنفذ في علم الفلك من خلال كتاب الفارسة

عنوان الكتاب	محتواه	الصفحة
سراج الثقات في الأوقات	منظومة يشرح فيها علم الاسطرلاب	78
تسهيل المطالب في علم الكواكب	كتاب في علم الكواكب	71
شرح منظومة أبي الحسن علي بن أبي الرجال القيرواني	كتاب في علم النجوم	73
القنفدية في إبطال الدلالة الفلكية	خاص بعلم الفلك والحساب	82
تسهيل العبارة في تعديل الإشارة	خاص بالاتجاهات	80

كما شرح ابن قنفد القسنطيني لغز الأبراج في أرجوزة أحكام النجوم والبروج والبرج هو نوع من صور السماء في وقت محدد وعناصره الكواكب والعُقد والنجوم والسهام، حيث قام ابن قنفد على إعادة حساب مواقع الكواكب [1].

6 _العلوم العددية:

يعرفها العلامة ابن خلدون معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف إما على التوالي أو بالتضعيف [2] ويفهم من قوله أنها العلوم المربوطة بعلم الرياضيات حيث يدخل من ضمنها كل العلوم التي تعد مع لغة الرقم كالحساب والهندسة والجبر والمعاملات، لكن حسب اطلاعنا على أمهات كتب الطبقات التي ترجمت للعلماء نلاحظ إسهامات الصوفية كانت قليلة جدا، إذ اقتصروا على علمين لهما علاقة وطيدة بالعلوم الشرعية وهما علم الحساب الذي يستخدم في حساب الزكاة إضافة إلى علم الفرائض أو علم المواريث باعتبارها نصيبا مقدرا شرعا للوارث، وهذا ما يتطلب حسابا دقيقا في تقسيم تركة المتوفي على من حق

(1)-نصيرة عزرودي: المرجع السابق، ص 99.

(2)- ابن خلدون : المقدمة 634.

لهم الميراث ففي ترجمة الغبريني للصوفي أبو الحسن الحرالي قال أن له كتابا سماه الوافي وهو مخصص لعلم الفرائض ففصل فيه هذا العلم تفصيلا دقيقا[1] .

بالإضافة إلى كتاب الفرائض الذي دونه الصوفي محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (ت842هـ_ 1438م) وسماه تقييد شرح فرائض الخليل [2] وقد خصصها ليدرسها للطلاب وكانت الطريقة التي يتبعها المتصوفة عموما تقوم على الكتابة في اللوح والورق إضافة إلى الحساب الذهني [3].

ومن جهة أخرى نلاحظ أن ابن قنفد أبدع في مجال العلوم الحسابية والرياضية، لكونه صنف العديد من المؤلفات يوضح ويشرح فيها لطلابه هذه العلوم التي يحتاجونها في حياتهم اليومية و في أمور دينهم، حيث قام بشرح أرجوزة الياسمين وأطلق عليها اسم مبادئ السالكين في شرح أرجوزة الياسمين وهي أرجوزة في الجبر استخدمها أثناء شرحه لها الرموز الرياضية في حل المسائل الرياضية[4] كما ألف الصوفي ابن البناء المراكشي [5] (ت721هـ/1321م) مجموعة من الكتب في علم الحساب والرياضيات نذكر منها كتاب تلخيص أعمال الحساب، وكتاب الجبر والمقابلة، وسالة في الأعداد التامة والناقصة والمتحابة، ورسالة في الأشكال المساحية[6].

([1])- المصدر السابق، ص146.

([2])- طيب بوجمعة نعيمة: ابن مرزوق الحفيد وآثاره، أطروحة دكتوره في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة وهران1، 2016_2017، ص 328.

([3])- فيلالي: تلمسان، ج2، ص 472.

([4])- عمر بن علال: المرجع السابق، ص 165.

([5])- هو أبو العباس أحمد بن عثمان الأزدي المراكشي، الشهير بابن البناء العددي ولد بمراكش زمن الدولة المرينية وتلقى علومه بها، فدرس العلوم العربية والشرعية وعلم الحديث والفرائض وغيرها كما تعلم العلوم المدنية وهي العلوم الكونية والفلسفية والطبية، وعلم العدد وعلم النجوم، كما حصل في علم التصوف الذي قاد فيه خطاه الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الهزميري وبعد أن تم تكوينه العلمي جلس للتدريس بفاس واشتغل بالتأليف أيضا وتجاوزت عناوينه في المائة عنوانا في بعض المصادر، توفي بمراكش سنة 721هـ. انظر ابن البناء المراكشي: عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ط1، تح: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص 6.

([6])- نفسه، ص7 ، 8.

7_علم المنطق:

إن اهتمام الصوفية بالمنطق كان قليلا ومن المهتمين به في القرن 7هـ ،13م أبو محمد عبد الحق بن الربيع وأبو إسحاق إبراهيم بن الخطيب وأبو الحسن عبد الله النفزي وأبو الحسن الحرالي صاحب كتاب المعقولات الأولى وقيل أنه كان من كبار العلماء في هذا العلم في حاضرة بجاية.

فضلا عن علم الكلام الذي يدخل ضمن العلوم المنطقية، ومتصوفة تلمسان عكفوا على دراسة المؤلفات الكلامية وتبسيطها لمريديهم ومن أشهرها كتب الجويني (ت478هـ/ 1085م) وكتب أبي حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) فأصبحت هذه الكتب مقررة على الطلاب لقراءتها وتحليل ما تحتويه من معارف منطقية ولهذا عمل الصوفية على تبسيطها وتقديمها للقارئ المبتدئ ووضعوا شروحات ومختصرات لها مثل ما قام به الصوفي محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد شرح جمل الخونجي[1].

والصوفي محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ_1480م) اهتم بعلم المنطق والكلام، فشرح وصنف عدة كتب منها كتاب مختصر في علم المنطق وهو شرح عجيب جدا لم ير مثله في تبسيطه لهذا العلم[2] وكان هذا الكتاب محل دراسة لدى علماء تلمسان نتيجة فائدته لطلبة العلم، كما شرح جمل الخونجي في كراسين[3]، واهتم بدراسة علم المنطق ودعا إلى استخدامه في مجال العلم والفكر كمنهج على حد قول الباحث عبد العزيز فيلالي، لأنه يسهل للعقل وعلى الأنظار ويتسع به مجال الفكر مع الراحة والأمن من الخطأ في سلوك من مفاوز الاعتبار[4]، إذ يظهر ذلك في كثرة تواليفه في هذا العلم ومناظراته مع معاصريه،

([1])- الخونجي: هو من كبار علماء المنطق، توفي سنة 664هـ، تعود أصوله إلى خونج، وهو بلد في أذربيجان، له مصنفات عديدة في علم المنطق، من كتاب الموجز والجمل و كشف الأسرار. انظر ابن قنفد ، شرف الطالب، ص 80، انظر علال بن عمر، الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة، ص 164.

([2])- عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج2، ص 478.

([3])- عبد العزيز فيلالي: تلمسان، ج2، ص 478.

([4])- نفسه، ص 478.

على غرار مناظرته مع ابن زكرياء التلمساني(ت899هـ) حول مسألة في علم الكلام أثارت الكثير من الجدل[1].

هذا بالإضافة إلى ما ألفه ابن قنفد القسنطيني وهما كتابين في مجال التصوف المنطقي منهما كتاب تلخيص العمل في شرح الجمل للخونجي(ت646هـ/1248م) وله كتاب إيضاح المعاني في تبيان المباني يشرح فيه علم المنطق ويبدو أن علم المنطق رسخه العلامة ابن مرزوق(ت842هـ) بتلمسان في كتابه نهاية الأمر في شرح الجمل حيث أن هذا الأخير قام طالبه أبو جعفر شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن الندرومي التلمساني(ت830هـ/1427م) باختصاره وسماه كفاية العمل على حد تعبير الباحثة عزرودي نصيرة كما تشير إلى مدى بروز شغف العلامة ابن مرزوق بالمنطق حيث نظم في أرجوزته التي تحتوي على مائة وستة وتسعين بيتا شعريا سماها كنز الأماني والأمل في نظم ما للخونجي في الجمل، وأخذ عنه تلميذه أبو العباس أحمد بن أحمد الندرومي السابق ذكره (ت830 هـ/1426م) حتى صار عالما جليلا في مجال علم المنطق وله مصنفات عديدة منها كتاب **كيف آية العمل** يشرح فيه كتاب الشيخ بن مرزوق الحفيد المسمى بنهاية الأمل في شرح كتاب الجمل[2].

وكخلاصة لما سبق معالجته في هذا الفصل وتفكيك المعطيات التي تم تناولها، يتبين أن زوايا المغرب الأوسط لم تكن مجرد فضاءات دينية تقليدية، بل تحولت إلى بنية اجتماعية مركبة مارست أدوارا متعددة في نشر الوعي للمجتمع وتثقيفه وفق برامج تعليمية تدريسية، وقد شكلت فضاء لتأطير المجتمع وضبط توازناته الداخلية، وأسوارا ثقافية حافظت من خلالها على سيرورة الثقافة الدينية الإسلامية بما في ذلك اللغة العربية ومختلف العلوم الأخرى بوصفها المركز الأساسي للخطاب الديني والمعرفي، كما أدت وظيفة مدرسة للتربية الروحية تثبت قيم السلوك والانضباط، وتُثبت ثقافة القرآن الكريم، وبالتالي حافظت على مبادئ الدين الإسلامي عبر مختلف العصور.

---

[1] محمد بن مخلوف: المرجع السابق، ص267.

([2])– نصيرة عزرودي: علم المنطق بالمغرب الأوسط، الحضور و التأليف، مجلة المعيار، مجلد 25، عدد 58، 2011، ص 156 157.

الخاتمة

الخاتمة:

قد أوردت فيها جملة من النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، وهي كما يأتي:

من خلال دراستنا للمعالم الدينية والعسكرية المتمثلة في الأربطة والزوايا والأضرحة، يتضح أن هذه المؤسسات لم تكن مجرد مبانٍ دينية أو معمارية، بل بيّنت انعكاسًا حقيقيًا للتطور الحضاري والاجتماعي الذي عرفه المجتمع في المغرب الأوسط في ظل الفترة الإسلامية الوسيطة، فقد مثّلت هذه المنشآت مرآةً عاكسة تُوضح التطور الذي شهده المجال العمراني منذ العصور الصنهاجية والموحدية، حين بدأت العمارة الدينية تتخذ طابعًا متميزًا يجمع بين الوظيفة التعبدية والوظيفة العسكرية والوظيفة التعليمية.

كما تكشف هذه المعالم عن مراحل تاريخية متعاقبة مرّ بها الإقليم، عكست تفاعل الحياة الدينية مع الظروف السياسية والاجتماعية التي عرفتها المنطقة، فازدهار بناء الزوايا والأضرحة في فترات الهدوء كان دليلاً واضحا يبرز توازن المجتمع ونموّ عمرانه، بينما اتخذت هذه المعالم في فترات الأزمات والمِحَن دورًا تضامنيًا، إذ تحولت إلى مراكز للجوء والإغاثة ونشر السكينة والأمن والاستقرار، ومن ناحية أخرى، جسّدت عمارة الزوايا اعتراف المجتمع بمشيختهم الصوفية وبمكانتهم العلمية والروحية، فكان تشييدها تعبيرًا عن الامتنان والإجلال لشيوخ التصوف، الذين ارتبطت سيرهم بالكرامات والإصلاح الاجتماعي، وقد أولى السكان عناية خاصة بهذه المزارات، من خلال صيانتها وتنظيم الزيارات إليها طلبًا للبركة والشفاء والاستسقاء، لتغدو بذلك شاهدًا عمرانيًا وروحيًا على عمق العلاقة بين الدين والمجتمع في تاريخ المغرب الأوسط.

يُعَدُّ الفكر الصوفي من أبرز العوامل التي أسهمت في بروز مؤسسة الزاوية في المجتمعات الإسلامية، إذ جاء هذا الفكر استجابةً لتحولات روحية واجتماعية عاشها المغرب الإسلامي منذ القرون الوسطى، فمع تراجع السلطة المركزية واشتداد الصراعات السياسية، برزت الحاجة إلى مؤسسات دينية قادرة على حفظ التوازن الاجتماعي وبث الطمأنينة في النفوس، فكانت الزوايا تجسيدًا عمليًا لهذا الدور.

لم تقتصر الزاوية على كونها فضاءً للعبادة والذكر، بل غدت مجمعًا دينيًا مقدسًا عند العامة والخاصة، يحتضن حلقات العلم والتربية الروحية، ويؤطر الحياة الدينية ضمن رؤية صوفية تتسم بالتسامح والانفتاح

كما عملت على نشر العقيدة الصوفية وترسيخها في نفوس الأفراد من خلال الممارسة اليومية والطقوس الجماعية، حتى تغلغل هذا الفكر في عمق المجتمع وأضـــحى جزءًا من هويته الثقافية والدينية، ومع مرور الزمن، تجاوزت الزاوية وظيفتها الروحية لتصبح فاعلاً اجتماعيًا وسياسيًا ذا تأثير واسع، إذ ساهمت في توجيه الرأي العام، واحتضان الفقراء والمحتاجين، وحماية السكان في أوقات الأزمات، وهكذا مثّل الفكر الصوفي عبر الزوايا إطارًا متكاملًا لإعادة بناء النسيج الاجتماعي والروحي للمغرب الإسلامي، بما يعكس عمق التفاعل بين الدين والمجتمع في مسار التاريخ الوسيط.

شـــكّلت مؤســـســـة الزاوية أحد أبرز المظاهر الدينية والاجتماعية التي ميّزت التاريخ الديني للمغرب الإســلامي، إذ لعبت دورًا محوريًا في تنظيم الفكر الصــوفي وتأطيره ضــمن مؤســســات ثابتة تمتلك بنية تعليمية وروحية واضحة، فقد جاء ظهور الزوايا في سياق تاريخي تميز بتراجع سلطة الدولة المركزية وتنامي الحاجة إلى قوى رمزية جديدة تُعيد التوازن الروحي والاجتماعي داخل المجتمع، فكانت الزوايا اســتجابةً طبيعية لهذا التحول من خلال نظامها التربوي ومناهجها التعليمية القائمة على الذكر والتلقين والخدمة.

استطاعت الزوايا أن تجعل من التصوف منظومة فكرية وسلوكية متكاملة، تتجاوز حدود الزهد الفردي إلى مشروع جماعي يسعى إلى إصلاح النفس والمجتمع معًا، وبفضل هذا التنظيم المؤسسي، نجح الفكر الصوفي في الانتشار الواسع داخل بلاد المغرب الإسلامي، متغلغلًا في المدن والبوادي على السواء، حتى أصبح مكوّنًا أساسيًا من مكونات الشخصية الدينية للمجتمع كما ساهمت الروابط العلمية والروحية التي أقامتها الزوايا مع المراكز الدينية والعلمية في الأندلس في نقل التجارب الصـــوفية وتبادل التأثيرات الفكرية، مما أفرز وحدة روحية وثقافية متميزة بين ضـــفّتي الغرب الإســـلامي وقد أدى هذا التفاعل إلى نشوء مدارس صوفية محلية ذات طابع مغاربي أصيل، جمعت بين الالتزام بالعقيدة السنية والخصوصية الروحية المتوارثة، لتغدو الزوايا بذلك ركيزة أساسية في تطور الفكر الديني والاجتماعي عبر التاريخ الوسيط للمغرب الإسلامي.

قدّمت الزاوية خدمات إنسانية جليلة كان لها أثر بالغ في حياة مجتمع المغرب الأوسط، لاسيّما خلال فترات الأزمات والمِحَن الطبيعية والسياسية، فقد اضطلعت بدور فعّال في تخفيف معاناة السكان، إذ

ساهمت في إغاثة المحتاجين وإزالة مظاهر الجوع والخوف والاضطراب، ووسعت إلى إرساء السكينة والاستقرار في أوساط المجتمع، وبفضل هذا الدور الاجتماعي والروحي، تحولت الزاوية إلى ملاذٍ آمنٍ للفقراء والمساكين، ومركزٍ لتوزيع المساعدات الغذائية والكساء وتوفير الماء في أوقات الشدة، فضلًا عن إقامة صلوات الاستسقاء والدعاء الجماعي، ولم يقتصر أثر الزوايا على المجال الاجتماعي فحسب، بل امتد ليشمل المجالين السياسي والثقافي، إذ أسهمت في تحقيق التوازن داخل المجتمع وفي تهدئة التوترات بين القوى المحلية، حتى أصبحت في بعض المراحل وسيطًا مؤثرًا بين الدولة والرعية، وأحيانًا سلطةً رمزيةً ذات نفوذ معنوي يفوق نفوذ الحكام أنفسهم.

كما ساعدت مواردها المالية المتعددة، المستمدة من الأوقاف والهبات والتبرعات، في تمويل نشاطها وضمان استمرارية وظائفها التعليمية والاجتماعية، مما عزز مكانتها في وجدان العامة والخاصة على حدٍّ سواء وبهذا المعنى، شكّلت الزاوية إحدى أهم المؤسسات التي حافظت على التماسك الاجتماعي في المغرب الأوسط، وأدت دورًا مركزيًا في صياغة البنية الروحية والإنسانية للمجتمع عبر العصور.

حلّت الزاوية محلّ المارستانات في العديد من المراكز، لاسيّما إبّان انتشار الأوبئة والأمراض الفتّاكة التي اجتاحت بلاد المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة، فقد اضطلعت بدورٍ علاجي وروحي في آنٍ واحد، إذ قدّمت خدماتٍ استشفائيةً متنوّعة، حين عجز الطبّ التجريبي في كثير من الأحيان عن مواجهة تلك الأزمات الصحية، واعتمدت الزوايا في هذا المجال على وسائل علاجية ذات طابع ديني وروحي، تمثّلت في الرقية والأدعية والتبرك بالأولياء، وهي ممارسات كانت تعبّر عن رؤية المجتمع للمرض بوصفه ابتلاءً إلهيًا يحتاج إلى تطهير روحي بقدر ما يحتاج إلى علاج جسدي، وقد ساهم هذا الدور في تعزيز مكانة الزوايا في الوجدان الشعبي، إذ نظر إليها الناس باعتبارها مؤسسات قادرة على الجمع بين العلاج الجسدي والشفاء الروحي، فازدادت مكانتها قداسةً وتأثيرًا في نفوس العامة والخاصة على السواء.

أولت السلطات الزيانية والحفصية والمرينية اهتمامًا بالغًا بالعمران الصوفي، فخصّت الزوايا بعناية كبيرة، وقدّمت لها أموالًا طائلة وهباتٍ سخية، إضافةً إلى أوقافٍ جارية ودائمة تُوجَّه لخدمة أغراضها الدينية والاجتماعية، ولم يكن هذا الدعم نابعًا فقط من البعد الديني أو الإحساني، بل كان في جوهره يعكس

رؤية سياسية واعية للدولة التي أدركت أهمية الزوايا في حفظ التوازن الاجتماعي واستقرار الأوضاع الداخلية، فقد مثّلت الزاوية في نظر السلطة واسطةً فاعلة بين الشعب والحكم، قادرة على تهدئة النفوس وتخفيف الاحتقان أثناء الأزمات السياسية، الأمر الذي جعلها عنصرًا أساسيًا في إدارة الشأن العام وتجاوز الفتن الداخلية، والدليل على ذلك المكانة الرفيعة التي حظي بها شيوخ الزوايا، إذ كانت كلمتهم مسموعة لدى الرعية والسلطة على حدٍّ سواء، وقد بلغ نفوذ بعضهم حدّ التدخل لوقف الحروب الأهلية أو المصالحة بين القوى المتنازعة وهكذا، يمكن القول إنّ العمران الصوفي لم يكن مجرد مظهر ديني أو معماري فحسب، بل كان أيضًا أداة سياسية واجتماعية اعتمدت عليها الدول في تدعيم مشروعها الاستقراري وبسط شرعيتها داخل المجتمع.

اغتنم المتصوفة الفرص التي أفرزتها الأزمات الطبيعية، كالفَيضانات والجفاف والسيول والأعاصير، التي كانت تؤثر بعمق في ذهنية المجتمع وسلوكياته، لإبراز مكانتهم الروحية وخوارقهم الغيبية في تجاوز المحن. وقد تجلّى ذلك من خلال ما قدّموه من مساعدات غذائية وإيواءٍ للمتضررين، مما جعلهم يظهرون بمظهر المخلّص والملاذ الآمن وقت الشدة، غير أن ما هو أعمق من هذا البعد الإنساني، هو قدرتهم على التأثير في العقول والذهنيات الشعبية، إذ استطاع المتصوفة، من خلال ما نُسب إليهم من كرامات وخوارق، أن يرسّخوا حضورهم المعنوي في الوجدان الجمعي للمجتمع، فغدت كلمتهم مسموعة ومكانتهم الاجتماعية رفيعة ومع مرور الزمن، ازدادت ثقة العامة بهم، وتوطدت علاقتهم بالخاصّة وأصحاب النفوذ، الذين سعوا إلى كسب ودّهم بالعطاءات والهبات وإظهار التقدير والاحترام لهم وقد أدّى هذا الاعتقاد بقدرتهم على جلب المنافع ودفع المضار إلى ترسيخ صورة الوليّ الصالح في المخيال الشعبي، بوصفه شفيعًا ووسيطًا بين الخلق والخالق ومن هذا المنطلق، تحوّلت الزوايا وأضرحة الأولياء إلى مؤسسات اجتماعية فاعلة في حياة الناس اليومية، إذ تولّى شيوخها إغاثة الفقراء، وإطعام الجائعين، والتشفع للمستضعفين، فانتفع بهم خلقٌ كثير، وتعززت مكانتهم في المجتمع حتى غدوا جزءًا من بنيته الدينية والرمزية.

الخاتمة:

لقد تميّز شيوخ الزوايا والمتصوفة في المغرب الأوسط خلال العهدين الزياني والحفصي بعلاقات وثيقة بمريديهم وأتباعهم، إذ تقاسموا معهم مظاهر الحياة اليومية من مأكل ومشرب وملبس، وساروا على نهج الزهد والتقشف الذي ميّز السلوك الصوفي في تلك الحقبة، ولم يكن هذا الزهد مجرّد مظهر ديني فحسب، بل كان انعكاسًا لحالة المعاناة النفسية والاجتماعية التي عاشها هؤلاء الشيوخ نتيجة ما شهدته المنطقة من اضطرابات سياسية، وحرمان اقتصادي، وتمييز اجتماعي بين الطبقات وفي ظل تلك الظروف، برزت الزاوية كمؤسسة بديلة عن السلطة الرسمية، فاحتضنت الفقراء والمهمشين، وأصبحت بمثابة الملاذ الآمن من ويلات الجفاف والمجاعات والحروب الأهلية التي كانت تضرب القبائل من حين إلى آخر، ومع تزايد نفوذها الاجتماعي، تحوّلت الزاوية تدريجيًا من فضاء ديني وتعليمي خالص إلى مؤسسة اجتماعية تمارس وظائف الوساطة والإصلاح، وتسعى إلى تحقيق مطالب الرعية تجاه السلطة الحاكمة فقد تولّت التخفيف عنهم من وطأة الضرائب، وساهمت في توفير بعض الخدمات الأساسية، كما قامت بدور فعّال في فضّ الخصومات واحتواء الفتن القبلية، الأمر الذي جعلها تحظى بمكانة مركزية في البنية السياسية والاجتماعية للمغرب الأوسط وهكذا، فإن الزاوية لم تكن مجرد فضاء روحاني لنشر التصوف، بل شكّلت نواةً لتنظيم اجتماعي متكامل، جسّد تفاعل البعد الديني مع الواقع السياسي والاجتماعي، وأسهم في استقرار المجتمع في فترات الاضطراب والانقسام التي طبعت تاريخ المنطقة الوسيط.

لقد تحوّلت الزاوية في فترات عديدة من التاريخ المغاربي، ولا سيما خلال مراحل عدم الاستقرار السياسي في العهدين الزياني والحفصي، من مؤسسة ذات وظائف تعليمية وخيرية إلى فاعل اجتماعي وسياسي بارز حمل راية الجهاد والدفاع عن الكيان الاجتماعي، ففي ظل الأزمات الداخلية والتهديدات الخارجية، خصوصًا أثناء الغزو الإسباني والبرتغالي للسواحل المغاربية، لعبت الزوايا دورًا جوهريًا في تعبئة العامة وحملهم على مقاومة الخطر الأجنبي، مما جعلها تؤدي وظيفة "المجاهد المربّي" الذي يجمع بين السيف والقلم.

كما أسهمت الزوايا في التخفيف من حالة الخوف والاضطراب التي كانت تسيطر على المجتمع نتيجة الفتن السياسية والانقسامات القبلية، فأمنت الطرق والمسالك التجارية التي كانت عرضة لهجمات

اللصـوص وقطاع الطرق، وضـمنت اسـتمرارية التبادل التجاري بين الحواضـر والبوادي، وفي موازاة هذا الدور الأمني والجهادي.

واصلت الزوايا رسالتها التعليمية والعلمية، فرفعت راية العلم والمعرفة من خلال مناهج دقيقة ومنظمة في التعليم والتلقين، حتى نافست المدارس النظامية والمساجد الكبرى في نشر العلوم، وقد ساهمت جهود العلماء والمتصـوفة المنتمين إلى الزوايا في تأليف مصـنفات قيّمة في مختلف ميادين العلوم النقلية والعقلية، من فقه وتفسير وحديث، إلى منطق وفلسفة وتوحيد، وهو ما يعكس عمق الإشعاع الفكري الذي بلغته هذه المؤسـسـات، ولم تقتصـر الزاوية في بداياتها على تعليم القرآن وعلوم التصـوف، بل وسّـعت نطاقها المعرفي ليشـمل سـائر العلوم، فغدت جامعة مفتوحة تتسـم بجودة التعليم والتأليف والتدريس ولعل ما زاد من مكانتها في المجتمع هو طابعها المجاني في التعليم، وتوفيرها الإيواء والغذاء لطلاب العلم، مما جعلها مقصـدًا لأبناء الأسـر الفقيرة والطموحين إلى بلوغ المناصـب الدينية والإدارية العليا، كالقضـاء والحسـبة والإفتاء وهكذا، اسـتطاعت الزاوية أن تجمع بين الوظيفة الدينية والعلمية والاجتماعية والجهادية، لتغدو مؤسـسـة شـاملة كان لها الأثر البالغ في اسـتقرار المجتمع وتماسـكه خلال فترات الأزمات والتحولات الكبرى.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ_ المصادر.

1_ القرآن الكريم.

2._ المخطوطات:

1.2.الملالي التلمساني محمد بن عمر ت ق10هـ/16م:

المواهب القدسية في المناقب السنوسية، مخطوط دار الكتب التونسية، رقم 15354.

3_المصادر المطبوعة:

1. ابن الأحمر أبو الوليد اسماعيل بن يوسف الغرناطي(ت807هـ-1404م)

تاريخ الدولة الزيانية، ط1، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2001.

2. الادريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الهاشمي القرشي(ت560هـ_1166م)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

3. الإشبيلي ابن وثيق أبو إسحاق إبراهيم (ت605هـ_1208م):

كتاب في تجويد القراءة ومخارج الحروف، تح: أبو السعود أحمد الفخراني، ط1، مطبعة الأمانة، 1990

4. الاشبيلي أبي العباس بن فرج: (ت699هـ_1300م)

جامع شروح منظومة غرامي صحيح، تح: أبي محمد عبد الله بن لمح الخولاني، ط1، دار الامام أحمد، 2011.

5. الأندلسي عبد الملك بن حبيب: (ت238هـ_853م)

الواضحة، ط1، تح: ميكلوش موراني، دار البشائر الإسلامية، 2010.

6. الباديسي عبد الحق بن إسماعيل الغرناطي الخزرجي(حيا722هـ-1322م)

المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح: سعيد أعراب، ط1،2 المطبعة الملكية، الرباط، 1993.

7. ابن بطوطة أبو عبد الله محمد (ت79هـ_1377م)

رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، مج1، تح: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1997.

8. البغدادي إسماعيل باشا(ت1339هـ_1920م):

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ج1، تح: محمد شرف الدين دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

9. البغدادي عبد الوهاب(ت466هـ_1031م):

التلقين في الفقه المالكي ج1، تح: محمد ثالث سعيد الغاني، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، مكة المكرمة، د ت.

10. البكري عبد الله بن عزيز بن محمد (ت487هـ_1094م):

المسالك والممالك، ج2، تج: أدريان فان لوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، 1992.

11. ابن البناء المراكشي(ت721هـ_1321م):

عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ط1، تح: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.

12. الترميذي أبو عيسى(ت279هـ_892م):

13. آداب المريدين، تح: عبد الفتاح عبد الله بركة، مطبعة السعادة، القاهرة، د ت.

14. التلمساني ابن زاغو(ت845هـ_1441م):

طليعة التنوير في مقدّمات التفسير، ويليه تفسير سورة الفاتحة، ط1، تح: الحسن الوزاني، صدر هذا المصنّف عن الرابطة المحمّدية للعلماء ومركز الدراسات القرآنية سلسة نوادر من التراث المغرب، 2024.

15. التليدي عبد الله بن عبد القادر(ت1438هـ_2017م)

المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ط4، دار الأمان، الرباط، 2003.

16. التنبكتي:أحمد بابا (ت 1036 هـ/ 1627 م):

نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط1، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2004م.

17. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج ج2، تح: محمد مطيع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2000.

18. **التنسي: محمد بن عبد الله (ت 899هـ /1493م)**

تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدّرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح محمود أغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م.

19. **الثعالبي أبو إسحاق أحمد(ت427هـ_1035م):**

الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعالبي، تح: أبي محمد بن عاشور، ج1، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2002.

20. **الثعالبي عبد الرحمن(ت875هـ_1471م)**

21. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، ط1، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1997.

22. الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز، تح: محمد شايب شريف وأبي بكر بلقاسم ضيف، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018.

23. غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، تح: محمد شايب شريف، ط1، دار ابن حزم، د ت، 2005.

24. **ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي (ت737هـ/1398م)**

المدخل، ج3، ط1، المطبعة المصرية بالأزهر، 1929.

25. **ابن الحاج النميري إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم (ت 768هـ/1367م):**

فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، ط1، تح: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.

26. **حاجي خليفة(1068هـ_1657م)**

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، تح: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

27. **أبي حجلة التلمساني (ت 776هـ_1375م):**

ديوان ابن ابي حجلة، د ط، د ت.

28. **الحرالي أبي الحسن (ت 638هـ_1241م):**

تراث أبي الحسن الحرالي، تح: محمادي عبد السلام الخياطي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.

29. **الحسن الششتري(668هـ_1269م):**

ديوان الششتري، تح: محمد العدلوني الادريسي وسعيد أبو الفيوض، دار رشاد، 2008.

30. **الحفناوي أبي القاسم محمد (ت 1360هـ_1943م):**

تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906.

31. **الحموي شهاب الدين أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله(626هـ_1229م)**

معجم البلدان، ج 1، ج2 دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1979.

تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تح: أبو العيد دودو، مطبعة الحجاز بدمشق، 1981.

32. **الحميري محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ_1495م):**

الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984.

33. **ابن حوقل أبو إسحاق محمد (ت367هـ_977م):**

صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996

34. **ابن حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي (745هـ_1344م)**

البحر المحيط في التفسير، ج1، مراجعة محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992.

35. **ابن الخطيب لسان الدين (ت776هـ_1374م)**

أعمال الأعلام، ج3، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتب، الدار البيضاء، 1964

36. نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب، تح: السعدية فاغية، ج3، ط1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1989.

37. ابن خلدون زكريا يحيى بن محمد (ت 780هـ/ 1378م)

بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، ج 1، ج2، تح: عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

38. ابن خلدون عبد الرحمن(ت808هـ/1408م)

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، ضبط المتن ووضع حواشيه وفهارسه خليل شحادة، راجعه سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000.

39. المقدمة، تح خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2001.

40. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين (ت 681هـ_1282م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978.

41. الذهبي شمس الدين (ت 748هـ_1348م):

سير أعلام النبلاء، ج12، ط1، تح: صالح السمر، مؤسسة الرسالة، 1983.

42. ابن زاغو أبي الباس أحمد بن عبد الرحمن(845هـ_1441م):

تذييل في اختتام التّفسير، تح: الحسن الوزاني، ط1، مطبعة الكرامة، الرباط، 2024.

43. ابن أبي زرع أبي الحسن علي بن عبد الله(حيا729هـ-1328م)

الروض القرطاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972

44. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1972.

45. الزرقاني عبد العظيم(ت1367هـ_1948م)

مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ط1، تح فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995.

46. **الزركشي أبو عبد الله محمد(حيا894هـ-1486م)**

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط2، تح: محمد ماضود، المكتبة العتيقة، 1966

47. البرهان في علوم القرآن، ج1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، دت.

48. **زروق احمد شهاب الدين أبو العباس (ت 899هـ_1500م):**

عدة المريد الصادق، تح: الصادق بن عبد الرحمن العرياني، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2006.

49. **الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ_1143م):**

أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998.

50. **الزهري محمد بن مسلم بن عبد الله شهاب (ت 124هـ_742م):**

كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، د ت

51. **ابن الزيات أبي يعقوب يوسف بن يحي(ت617هـ/1220م)**

التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.

52. **الزياني محمد بن يوسف (ت بعد 1902م)**

دليل الحيران وأنس السهران في أخبار مدينة وهران، ط1، تح: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013.

53. **ابن سبعين عبد الحق (ت 669هـ_1269م):**

بد العارف، تح: جورج كتوره، دار الاندلس ودار الكندي، ط1، بيروت، 1978.

54. رسائل بن سبعين، تح: عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د ت.

55. **السملالي العباس بن إبراهيم(ت1380هـ_ 1959م):**

الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج10، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط1، المطبعة الملكية، الرباط، 1983.

56. **بن سحنون محمد(ت256هـ_855م)**

كتاب آداب المعلمين، تح: حسن حسني عبد الوهاب، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1972.

57. السكندري ابن عطاء الله (ت 709هـ_1309م):

الحكم، ط1، تح: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، المكتبة الأزهرية للتراث، 2012.

58. السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد (ت1315هـ-1897م)

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة المرينية)، ج2، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

59. السمعاني أبي سعد عبد الكريم التميمي (ت562هـ_ 1163م):

60. الأنساب، تق: عبد الله عمر البارودي، ج5، ط1، دار الجنان، بيروت، لبنان، 1977.

61. السهروردي شهاب الدين عمر(ت632هـ_1191م)

عوارف المعارف، مج2، ط1، تح: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.

62. السيوطي جلال الدين (ت 911هـ_1505م):

الاتقان في علوم القرآن، ط1، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2008.

63. التحبير في علم التفسير، تح: فتحي عبد القادر فريد، ط1ن دار العلوم، المملكة العربية السعودية، 1982.

64. طبقات الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

65. ابن الصباغ عبد السيد بم محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر(ت855هـ_1451م)

درة الأسرار وتحفة الأبرار في أقوال وأفعال ومقامات ونسب وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبو الحسن الشاذلي، المكتبة الأزهرية للتراث، 2001.

66. ابن صعد محمد الأنصاري التلمساني (ت901هـ/1496م)

روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ط5، تح: يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

67. الصقلي ابن الفحام (ت 516هـ_1123م):

التجريد لبغية المريد في القراءات السبع، تح: مسعود أحمد سيد محمد إلياس، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1407.

68. الطبري محمد بن جرير (ت 310هـ_923م)

جامع البيان عن تأويل القرآن، ج11، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، 2001.

69. العبدري محمد بن محمد الحاحي (ت بعد 700هـ_1300م)

الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2007.

70. ابن عذارى العباس بن أحمد بن محمد المراكشي(712هـ/1312م)

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م.

71. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، ج4، تح ج،س كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ت.

72. ابن عربي محي الدين (ت 638هـ_1240م):

مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم، المكتبة العصرية، بيروت، د ت.

73. العقباني أبو عثمان سعيد(ت871هـ_1467م)

تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح على الشتيوي مكتبة مدبولي، القاهرة، د ت.

74. ابن غازي المكناسي محمد بن أحمد بم محمد بن علي(ت910هـ_1513م)

الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 1988.

75. الغبريني: أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت 714هـ/ 1324م)

76. عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، دار الثقافة، بيروت، 1969م.

77. **الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل(ت170هـ_786م)**

معجم العين، ج3، دط، د ت.

78. **ابن فرحون برهان الدين(ت799هـ_1397م)**

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج1، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ت.

79. **القاضي عياض أبو الفضل (ت544هـ_1149م)**

ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج 2، مطبعة فضالة، المحمدية.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ط1، تح: عبده علي كوشك، نشر وحدة البحوث والدراسات، الإمارات العربية المتحدة، 2013.

80. **القشيري أبي عبد الله (ت261هـ_ 874م):**

الجامع الصحيح، ج7، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ت.

81. **ابن القطان أبو الحسن علي الفاسي(ت628هـ_1230م)**

نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح، محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

82. **القلصادي أبو الحسن علي(ت891هـ_1487م)**

رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978.

83. **ابن قنفد أبو العباس احمد(ت810هـ/1407م)**

انس الفقير، تح محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، د ت

84. شرف الطالب في أسنى المطالب، ط1، تح: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، 2003

85. وسيلة الإسلام بالنبي عليه السلام، ط1، تح: سليمان الصيد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984.

86. تاريخ الوفيات، تح عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1982.

87. لفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، الإسكندرية 2002.

88. ابن القيم الجوزية(751هـ_1350م):

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج3، ط1، تح: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت

89. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ_1373م)

تفسير القرآن العظيم، مج4، تح سامي بن محمد السلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999.

90. الماجري أبو محمد صالح(632هـ_1234م).

المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، ج2، تح: عبد السلام السعيدي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2013.

91. المازوني أبو عمران موسى بن عيسى(ت845هـ_1516م)

صلحاء وادي الشلف، تح غرداوي نور الدين، ط1، دار الخلدونية، الجزائر،2017.

92. المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد(ت474هـ_1082م)

رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج2، تح: بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

93. مجهول(عاش في القرن 8هـ، 14م)

الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: زهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الجديثة، الدار البيضاء، 1979.

94. مجهول:(ت ق6هـ –12م)

الاستبصار في عجائب الأمصار، تح سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، د ت.

95. المحاسبي الحارث بن أسد بن عبد الله العنزي(ت243هـ_857م):

الرعاية لحقوق الله، تح عبد القادر أحمد عطا، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت

96. محمود مقديش(ت 1228هـ_1813م)

نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري ومحمد محفوظ، مج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988.

97. ابن مرزوق التلمساني أبي عبد الله محمد (ت 781هـ/ 1379م)

المناقب المرزوقية، تح سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2008م.

98. المسند الصحيح، الحسن في ذكر مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خيسوسبيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م.

99. مرمول كربخال:(ت8هـ-16م)

إفريقيا، ج1، تر: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للنشر، الرباط، 1989.

100. ابن مريم: محمد بن محمد التلمساني (1025هـ-1611م)

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

101. المستغانمي محمد بن أحمد البوزيدي(ت1241هـ_1824م)

الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية، تح: إبراهيم الكيالي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 2006.

102. المقري التلمساني أبو العباس أحمد بن محمد القرشي(1041هـ/1631م)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج7، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.

103. الحقائق والرقائق، تج: عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

104. المقريزي تقي الدين(ت845هـ_1442م)

المواعظ والاعتبار لذكر الخطط والآثار، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ت.

105. ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي(711هـ/1311م)

106. لسان العرب، تح عبد الله على الكبير وآخرون، دار الكتب العلمية، د ط، د ت.

107. الورثلاني الحسين بن محمد الشريف(1193هـ_1779م)

نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، د ط، د ت.

108. الوزان حسن بن محمد الفاسي (ت 957هـ/ 1552م)

109. وصف إفريقيا، ج2، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983م.

110. الونشريسي أبو العباس أحمد يحيى (ت 914هـ / 1508م)

المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج1، ج 9، ج11، تح محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ت.

ب_ المراجع:

1. **إبراهيم قادري بوتشيش:**

مباحث في التاريخ الاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د ت

2. **أعبيدو محمد:**

الشيخ المولى عبد السلام بن مشيش قطب المغرب الأقصى، ط3، طبع من مجلس جهة طنجة تطوان، 2013.

3. **أمعيط نور الدين:**

أقطاب التصوف بسجلماسة وإقليمها ودورهم التربوي والاجتماعي نماذج من العصرين الوسيط وبداية الحديث، دورية كان التاريخية، ع 58، 2022.

4. **أندري جوليان شارل:**

تاريخ إفريقية الشمالية، تر محمد مزالي، ج2، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1969.

5. **بريكة مسعود:**

المتصوفة والسلطة الحفصية ببجاية، ضمن كتاب مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، ط1، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2011.

6. **بكاي عبد الملك:**

السلطة الحفصية وأوقاف الأشراف، قراءة في ظهير لصالح زاوية قجال بسطيف، سنة 888هـ/1483م، من خلال كتب النوازل، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011.

7. **بل ألفرد:**

الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987.

8. **بلغازي نور الدين:**

الطعام في الطريقة الصوفية بين الرمزية والوظيفة الزاوية القادرية البودشيشية نموذجا، نشر كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البضاء، 2018.

9. **بن الذيب عيسى:**

الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، د ط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

10. **بن مخلوف محمد:**

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، د ت.

11. **بو عبد الله كرديم، عمر سي عبد القادر:**

الطب في المغرب الأوسط الواقع والمؤسسات، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج10، ع1، 2024.

12. **بونابي الطاهر:**

التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7الهجريين/12و 13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004.

13. عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط، ج1، منشورات جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017.

14. **البياض عبد الهادي:**

الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والأندلس، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2008.

15. **بيرتون بيج:**

البرج في العمارة الإسلامية الحربية، تر إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتب للبنانية، بيروت، 1981.

16. **تركي رابح:**

التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.

17. **تيتاو حميد:**

الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، منشورات كعاظ، الدار البيضاء، 2010.

18. **الجزائري أبو بكر:**

إلى التصوف ياعباد الله، دار البصيرة، الإسكندرية، د ت.

19. **جعيط هشام:**

أزمة الثقافة الإسلامية، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2000.

20. **جلطي بشير:**

حقيقة التصوف بين التأصيل والتأثير، دار الكتاب العلمية، بيروت، د ت.

21. **جورج مارسيه:**

الرباط، ضمن كتاب موجز من دائرة المعارف الإسلامية، ط1، مركز الشارقة للإبداع، الشارقة.

22. الجيلالي عبد الرحمن:

تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.

23. **الجيلاني عبد القادر:**

الطريق إلى الله، ط2، تح: محمد غسان، دار السنابل، سورية، 1994.

24. **حجي محمد:**

الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط2، المطبعة الوطنية، الرباط، 1964.

25. **حسن محمد:**

الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن السابع هـ 7_15م فصول في تاريخ الموقع والمسالك والمجالات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2003.

26. **حقي محمد:**

الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة مانبال، 2007.

27. **حقي محمد:**

الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة مانبال، 2007.

28. **خطيف صابرة:**

فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، ط1، جسور للنشر والتوزيع، 2011.

29. **خير الدين سيب:**

القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الأحكام الفقهية، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2007.

30. **دحمور منصور بختي:**

ظاهرة الولاية وتأثيراتها على مجتمع المغرب الأوسط فيما بين القرني 6و9للهجرة/ 12و15للميلاد، ط1، صفحات للنشر والتوزيع، 2017.

31. **روبار برنسشفيك:**

تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13إلى نهاية القرن 15م، ج1، ط1، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي،1988.

32. **الزاهي نور الدين:**

بركة السلطان، دفاتر وجهة، د ط، د ت.

33. **سعد الله أبو القاسم:**

تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ج5، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1998.

34. **الشاذلي عبد اللطيف:**

التصوف والمجتمع، نماذج من القرن 10هـ، المغرب، منشورات جامعة الحسن الثاني، 1998.

35. **شهبي عبد العزيز:**

الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع.

36. **الطمار محمد:**

الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

37. **طه عبد المقصور عبد الحميد أبوعبيدة:**

الحضارة الإسلامية، دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

38. **العامري نللي سلامة: الولاية والمجتمع:**

دار الفرابي، ط2، 2006، بيروت، لبنان.

39. **عموري عبد العزيز:**

امتدادات الحركة الصوفية المغربية ببلدان الغرب الإسلامي: الطرقة العيساوية نموذجا، مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات، 2018

40. **غربال محمد شفيق:**

الموسوعة العربية الميسرة، مج3، المكتبة العصرية، بيروت، 2010.

41. **فتحة محمد:**

النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6إلى 9هـ/ 12-15م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1999.

42. **فتحة محمد:**

انس الفقير لابن قنفد أو الانتصار لزاوية ملارة ضمن كتاب محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني أعمال مجموعة الأبحاث في التاريخ الديني، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة، المحمدية، د ت.

43. **فيلالي عبد العزيز:**

تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر،2002.

44. **قاسم عبد الغني عبد الحكيم:**

المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر،1999.

45. **القاسمي عبد المنعم:**

الطريقة الرحمانية الأصول والآثار، منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل للنشر والتوزيع، 2013.

46. **القاسمي عبد المنعم:**

عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر، ط1، دار الخليل القاسمي، 2005.

47. **قريان عبد الجليل:**

التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، جسور للنشر والتوزيع، 2011.

48. **قسوم عبد الرزاق:**

عبد الرحمان الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت.

49. **قنان جمال:**

نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500 1830، 1987، د ط، د ت.

50. **المازوني محمد:**

رباط تيط من التأسيس إلى ظهور الحركة الجزولية، من ضمن كتاب الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنساني، الرباط، 1997.

51. **محمد الكتاني:**

موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني والعلمي والأدبي، ج1، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014.

52. **محمد ضريف:**

مؤسسة الزاوية بالمغرب، ط1، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، المغرب، 1992

53. **محمود سعيد عمران:**

حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، 1997.

54. **محمود عبد الحليم:**

سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي، ط2، دار المعارف، د ت.

55. **مزدور سمية:**

الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط، مغرب أوسطيات دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الوسيط، مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2013.

56. **مؤيد العقبي صلاح:**

الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراقن بيروت، لبنان، 2002.

57. **ميمون جمال الدين:**

الوقف في الجزائر دراسة فقهية قانونية مقارنة، ط1، دار المتنبي للطباعة والنشر، المسيلة، 2024.

58. **ناجي جلول:**

الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999.

59. **نجمي عبد الله:**

التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة (ق16_17م)، منشورات كلية الآدب والعلوم الإنسانية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2000.

60. **نومسوك عبد الله مصطفى:**

البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1999.

ج_ الرسائل الجامعية.

1. **اخلاص نصر الريح حسين:**

منهج ابن الحاجب ومذهبه النحوي من خلال كتابه الكافية، دراسة وتحليل، رسالة ماجستير في النحو والصرف، جامعة أم درمان الإسلامية، 2005.

2. **بلغيث محمد الأمين:**

الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي،1986، 1987.

3. **بوشاقور علي عمر أمينة:**

الطرق الصوفية والصراع السياسي في المغرب الإسلامي أحمد بن يوسف الملياني أنموذجا، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2012_2013.

4. بوعقادة عبد القادر:

المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة (8 و9للميلاد)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2002_2003.

5. بونابي الطاهر:

الحركة الصوفية في المغرب الأوسط، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، 2008 2009.

6. **جلول صالح:**

تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي ق 5_6هـ/ 11_12م، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014/ 2015.

7. جوادي خالد:

مشروع مخطط وقائي لأبراج المراقبة بساحل تلمسان، مذكرة ماستر، جامعة تلمسان، 2014.

8. رومولة عربية:

إمارة بنو توجين بالونشريس خلال القرنين 7،8هـ/ 13،14م، من خلال كتاب العبر لابن خلدون، ماجستير، جامعة معسكر، 2009_ 2010.

9. الزين محمد:

العمارة الدينية الإسلامية في منطقة ندرومة من خلال نموذجين: الجامع الكبير وزاوية سيدي محمد بن عمر(دارسة تاريخية وفنية)، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، 2002-2003.

10. شقدان بسام كامل عبد الرزاق:

تلمسان في العهد الزياني (633_962هـ1235_1555م)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2002.

11. طويل العيدي:

الزوايا الريفية بمنطقة سطيف -دراسة أثرية-، ماجستير الآثار الريفية والصحراوية، جامعة الجزائر2، 2012/2011.

12. طيب بوجمعة نعيمة:

ابن مرزوق الحفيد وآثاره، أطروحة دكتوره في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة وهران1، 2016_2017.

13. عبيدلي أحمد:

الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجريين، رسالة ماجستير في الأدب المغربي القديم، جامعة الحاج لخضر، باتنة،2004 _2005.

14. عزرزدي نصيرة:

تطور علم الفلك بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسطى، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، جامعة جيلالي اليابس، بلعباس، 2016 2017.

15. بن علال عمر:

الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة من القرن 7_10هـ _ 13، 16م، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2010، 2011.

16. فيسة محمد رابح:

المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة _ دراسة تاريخية وأثرية_ رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2004-2005.

17. **بن لباد الغالي:**

الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008-2009.

18. **مجدوبي نور الدين:**

مناهج التعليم وأساليبه في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14_15م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة أحمد بن بلة وهران1، 2019_2020.

19. **محمد سيدي موسى الشريف:**

الحياة الفكرية ببجاية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 2000، 2001.

20. **مزدور سمية:**

المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، (588_927هـ/ 1192_1510م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، قسنطينة، 2008-2009.

21. **معلاش مريم:**

الحياة العلمية ببجاية في ضل الدولة الحفصية خلال القرن 7هـ، 13م، رسالة ماجستير في التاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، 2010، 2011.

22. **منزل الطاهر:**

النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب لابن صعد التلمساني(901هـ/1496م) دراسة وتحقيق، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط الإسلامي، تخصص علم المخطوط العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011_2012.

23. **نوري سلمى:**

اللصوصية في المغرب الأوسط، القرن 5_9هـ/11_15م، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ وآثار المغرب الأوسط في العصر الوسيط، جامعة سطيف 2، 2015 2016.

24. بن النية رضا:

أشراف المغرب الأوسط خلال العصر ال زياني633 -962هـ/1236-1555م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، 2018/2017.

25. هيصام موسى:

الجيش في العهد الحمادي (405_547هـ/ 1014_ 1152م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000-2001.

26. يخلف رمضان:

عبد الرحمن الثعلبي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1992.

د_ المقالات

1. أحمد جمال علي:

رسالة مغناطيس الدر النفيس لابن أبي حجلة التلمساني (ت776هـ_ 1325م) تمثل في أسلوبه ومراجعة في قضاياه النقدية، مجلة التعليم للدراسات التخصصية الحديثة، ع7، د ت.

2. آدم الزبير صلاح الدين:

الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، حياته وعصره وأثره في التصوف، مجلة العلمية لجامعة الامام المهدي، ع11، 2018.

امتدادات الحركة الصوفية المغربية ببلدان الغرب الإسلامي: الطرقة العيساوية نموذجا، مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات، 2018.

3. بأحمد أسامة:

دراسة أنثروبولوجية لزيارة أضرحة أولياء الله الصالحين في الجزائر ضريح الولي سيدي ناجي بولاية المدية أنموذجا، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج4، ع4، 2020.

4. بالأعرج عبد الرحمن:

الحياة الثقافية في مدينة تلمسان خلال العهد العثماني، كان التاريخية، ع 26، 2017.

5. بامي جمال:

العمران الصوفي بين الأسطورة والتاريخ، مجلة أمل، ع41، د ت.

6. بختاوي قاسمي:

واقع التعليم في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي، المجلة التاريخية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، ع2، 2015.

7. براهيمي فايزة:

السمات المعمارية والملامح الفنية للعمارة الفنية بتلمسان–دراسة أثرية_ حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والانسانية، مج 16، ع2، 2022.

8. برزاق نذير:

أبو زكرياء يحيى الزواوي وزاويته ..الانسان والمجال والمقدس، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج8، ع1، 2017.

9. برشان محمد:

الحركة العلمية في الزوايا _الزاوية الزيانية أنموذجا_ مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، ع2 و3، 2013.

10. برشان محمد:

الزاوية الزيانية في بلاد السبية، مجلة عصور، عدد20، منشورات مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، 2013.

11. بزة نوال، عشي علي:

الفقر والجريمة في المغرب الأوسط، جدل السببية والحتمية ق 2_10هـ، 8_16م، مجلة الاحياء، مج22، ع30، 2022.

12. بشيري نذير:

بن صغير حضري يمينة: نماذج من العلوم الشرعية وروادها في حاضرة تلمسان خلال العهد الزياني، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع2، 2020.

13. البقالي هشام:

جوانب من الحياة اليومية في العصر المرابطي، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج3، ع1، 2019.

14. بكوش فاقة:

علماء تلمسان ومسألة تأسيس المدارس التعليمية خلال العهد الزياني بين التأييد والمعارضة، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، مج1، ع3، 2021.

15. بلعربي خالد:

الحرب والانسان بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني: الأسر نموذجا، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات، مج4، ع8، 2018.

16. بلعربي خالد:

الصراع العسكري الزياني المريني: أسبابه ونتائجه، مجلة الحضارة، ع14، 2010.

17. بلعيد رجاء، أوشطار مصطفى:

التصوف الإسلامي عند الشيخ أبي مدين شعيب _مكانة ومنهجا_، مجلة اللغة العربية، مج24، ع3، 2022.

18. بلمداني نوال:

سيدي واضح على ضوء نصوص مناقب صلحاء الشلف للمازوني موسى بن عيسى، مجلة عصور الجديدة، مج13، ع2، 2023.

19. بوسالم أنس:

آسفي قراءة في النشأة ومسار التطور، مجلة الفضاء الجغرافي والشركة المغربية، ع82، 2024.

20. بن حمو محمد:

التحصينات العسكرية لمدينة هنين، دراسات أثرية، ع8، 2014.

21. بن حمو محمد:

الحصون والمحارس بضواحي تلمسان، دراسة إحصائية لبعض النماذج، مجلة منبر التراث الأثري، ع 6، 2018.

22. بن رحو عبد اللطيف:

الزوايا ودورها الاجتماعي بالمغرب الأقصى في عصر بني مرين، شبكة الالوكة، د ط، د ت.

23. بن عمارة أنور:

متصوفة المغرب الأوسط من خلال كتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لصاحبه أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي ابن الزيات، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج9، ع1، 2025.

24. مقلة رضا:

تاريخ الوجود الصوفي في الجزائر وتأثيره على الحياة الاجتماعية للأفراد، مجلة الخطاب الصوفي، ع7، 2017.

25. نجراوي فاطمة الزهراء:

طوبونيميا بعض الأولياء الصالحين بتلمسان في القصص الشعبي (دراسة أنثروبولوجية)، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج18، ع2، 2022.

26. بن نعمان إسماعيل:

التحصينات الدفاعية بمدن المغرب الأوسط، مدينة تنس نموذجا، مجلة دراسات تراثية، ع8، 2014.

27. بن يحي عباس:

إشكالية التصوف في خطاب المقري، الأثر، ع33، 2022.

28. بن يوب إسماعيل وآخرون:

وهران المقام، ط1، المركز الديموقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، برلين، 2022.

29. **بوسعد الطيب:**

تربية وتعليم الصبيان بالمغرب الإسلامي في فترة العصور الوسطى من خلال كتب التربية والتعليم، المجلة الجزائرية للتربية والطفولة، ع4، 2016.

30. **بوسواليم صالح:**

لمحة عن مراكز المكتبات والخزائن الشعبية للمخطوطات في توات، مجلّة كان، ع9.

31. **بوشاقور عبد الرحيم:**

مميزات طريقة تحفيظ القرآن الكريم في المغرب العربي، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مج3، ع3، 2020.

32. **بوطبة عائشة، كربوع مسعود:**

آليات ومناهج التربية والتعليم في بلاد المغرب الإسلامي من خلال المعيار المعرب للونشريسي، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج7، ع2، 2023.

33. **بوقاعدة البشير:**

منظومة التحصينات العسكرية الحمادية الثابتة، مجلة قضايا تاريخية، ع6، 2017.

34. **بوقلي حسن جمال الدين:**

كتاب المواهب ومخالفات الملالي لشيخه ابن يوسف السنوسي التلمساني، أفكار وآفاق، ع3، 2012.

35. **بولامة صبرينة، عابد يوسف:**

سلطة المتصوفة والأولياء في المغرب الأوسط الزياني: الروافد والتأثيرات، مجلة عصور الجديدة، مج13، ع2، 2023.

36. **بونابي الطاهر:**

أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي الفقيه الصوفي، مجلة حوليات التراث، ع7، 2007.

37. **بونابي الطاهر:**

نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط، مجلة حوليات التراث، ع2، 2004.

38. جلاط مريم:

منهجية محمد بن أبي شنب في تحقيقه لكتاب جمل الزجاجي، مجلة اللغة العربية وآدابها، مج8 ع2ن 2020.

39. حاجي نور الدين:

دراسة ابستيمولوجية لمخطوطات تلمسان منذ القرن العاشر هجري إلى يومنا هذا، مجلة الحوار الثقافي، مج7، ع2، 2019.

40. حاجيات عبد الحميد:

مخطوط نفيس لعبد الرحمن الثعالبي، مجلة الثقافة، ع 117، 1999.

41. الحادك قاسم:

الزوايا والطرق الصوفية في المغرب من خدمة المخزن وتكريس شرعيته إلى مسالمة المستعمر ومهادنته، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع1، 2013.

42. الحارثي عبد الرحمن بن سيف:

المنهج الدعوي عند الصوفية، مجلة القلم، ع11، 2018.

43. حسيني مختار:

خصائص أدب التصوف في المغرب الأوسط خلال القرنين 6 و7هـ، Altralang Journal، مج5، ع1، 2023.

44. حطاب محمد:

اللغة في العرفان الصوفي، مجلة حوليات التراث، ع6، 2006.

45. حميدي مليكة:

الرباطات البحرية ودورها في الدفاع عن سواحل المغرب الإسلامي ما بين القرنين (1_4هـ/ 7_10م)، دراسات تراثية، ع8، 2014.

46. خليلي بختة:

الحرب وأزمة الغذاء بالمغرب الأوسط الزياني، دراسات وأبحاث، ع16، 2024.

47. **خنطوط إسماعيل، صحراوي خليفة:**

الزوايا النشأة والتطور، رسالة المسجد، ع1، 2021.

48. **درنوني سليم:**

التحولات الوظيفية لمساجد الزوايا والأضرحة بين الأمس واليوم دراسة أنثروبولوجية بالزيبان وجنوب الأوراس، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج13، ع1، 2021.

49. **دهاس الصادق:**

المصطلح والمصطلحية عند الصوفية، مجلة حوليات التراث، ع12، 2012.

50. **رافع رضا:**

السحر والشعوذة والتنبؤ ببلاد المغرب الإسلامي، قراءة في الأسباب والمعطيات، مجلة معارف، مج16، ع2، 2021.

51. **الرويلي سلطانة ملاح:**

الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى من خلال كتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لأبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي، المجلة الأرونية للتاريخ والآثار، مج12، ع2، 2018.

52. **زعامطة أمال، قبايلي حميد:**

تجليات الحضور الصوفي عند أبي الحسن الششتري في نماذج مختارة من شعره، مجلة النص، مج9، ع2، 2023.

53. **زناقي فتيحة:**

الولي الصالح أحمد بن يوسف المليانى كما وصفه ابن مريده أبو عبد الله محمد الصباغ القلعي في كتابه بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مجلة الاستعاب، ع8، 2021.

54. **ساحي أحمد:**

أحمد بن إدريس البجائي الأيلولي (ق8هـ-14م) ودور زواوة في التراث العربي الإسلامي، مجلة الدراسات التاريخية، مج5، ع1، 1993.

55. السحنوني علي أمقران:

هذا الشيخ المجهول الشيخ أبو زكرياء يحي العيدلي (ت 881هـ _1476م)، مجلة الدراسات التاريخية، ع4، 1988.

56. سرسوب حسان:

الحكمة في ضوء القرآن الكريم نحو رؤية نظرية ودراسة تحليلية، مجلة المعيار، مج25، ع53، 2021.

57. سعداني محمد:

الشيخ إبراهيم التازي وزاويته بمدينة وهران خلال القرن التاسع هجري /15م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج7، ع4، 2022.

58. سكاكو مريم:

سلاطين بني مرين في مدينة تلمسان تشييد العمائر واستقطاب العلماء .. أية علاقة؟، كان التاريخية، ع28، 2015.

59. الشانك رشيدة:

الطابع العسكري للدولة المغربية الوسيطية، المغرب الأقصى (أرباب السيوف) وتأثيرها على المجال (المدينة أنوذجا)، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، مج3، ع1، 2022.

60. شرف عبد الحق:

من أعلام التواصل الروحي بين الاندلس وتلمسان الشيخ أبي مدين شعيب الاشبيلي والشيخ الشوذي الحلوي، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج2، ع1، 2019

61. الصيد سليمان:

ابن قنفد القسنطيني حياته وكتابه وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، مجلة الثقافة الإسلامية، ع13، 2015.

62. ضو خالد:

مظاهر الحركة العلمية في الدولة الزيانية وآثارها، مجلة الذاكرة، مج10، ع10، 2022.

63. عبان عبد الرحمن، جلولي العيد:

إبراهيم بن محمد التازي ت866هـ نزيل وهران حياته وآثاره الشعرية، مجلة الأثر، ع25، 2016

64. عبد العزيز عموري:

امتدادات الحركة الصوفية المغربية ببلدان الغرب الإسلامي: الطرقة العيساوية نموذجا، مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات، 2018.

65. عبد النور عبد الرحمن، يماني رشيد:

المؤسسات الثقافية في بادية المغرب الأوسط، من القرن 5_9هـ/11_15م، دراسة تاريخية إحصائية، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج5، ع3، 2022.

66. عبير عنايت سعيد:

خانقاهات مصر حتى نهاية عصر المماليك البحرية (648_784هـ/ 1250_1382م)، مجلة الأستاذ، ع203، 2012.

67. عثماني كريمة:

حصن تاونت الأثري بمنطقة الغزوات حسب المعطيات التاريخية والشواهد المادية، مجلة منبر التراث الأثري، ع5، 2016.

68. عزرودي نصيرة:

الإنتاج المعرفي لعلماء قسنطينة خلال العصر الوسيط، دراسة إحصائية تحليلية، عصور الجديدة، ع18، 2015.

69. عزرودي نصيرة:

علم المنطق بالمغرب الأوسط، الحضور والتأليف، مجلة المعيار، مجلد 25، عدد 58، 2011.

70. عزوق عبد الكريم:

التحصينات الدفاعية الإسلامية ببجاية، دراسات وأبحاث، مج5، ع12، 2013.

71. **عزوق عبد الكريم:**

التحصينات الدفاعية الاسلامية ببجاية، مجلة دراسات وأبحاث، مج5، ع 12، 2013.

72. **عشي علي:**

دور علماء المغرب الأوسط في مجال العلوم الدينية " علوم القرآن والحديث، خلال العهد الموحدي 534هـ/ 1139م_ 633هـ/1235م، مجلة الدراسات الإسلامية، ع2، 2013.

73. **عقوني أيوب، قريان عبد الخليل:**

اللصوصية والولي في مجتمع المغرب الأوسط(5_9هـ/11_15م)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج2، ع3، 2023.

74. **علوي مصطفى:**

الحياة الثقافية في المغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، كان التاريخية، ع18، 2016.

75. **العماري الطيب:**

الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي _دراسة أنثروبولوجية_مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع15، 2014.

76. **عمر سي عبد القادر:**

الطب في المغرب الأوسط الواقع والمؤسسات، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج10، ع1، 2024.

77. **عمروش حسيبة:**

شعر المولديات والمديح النبوي في البلاط الزياني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج8، ع1، 2017.

78. **عيساوي محمد:**

الكوارث الطبيعية على بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (9/7هـ_ 15/13م)، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج2، ع3، 2018.

79. غرزول عفاف:

الخطاب الاجتماعي للكرامة الصوفية في المغرب الأوسط(6_10هـ/12_16م)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج2، ع1، 2019.

80. غنيمي الوردي:

شعر التصوف في المغرب الأوسط القديم بين الاتباع والاختلاف، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج12، ع3، 2023

81. فيلالي عبد العزيز:

الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة، أفكار وآفاق، ع3، 2012.

82. قدوري الطاهر:

الموحدون واستراتيجية القتال البحري في البحر المتوسط، دراسات تراثية، مج8، ع1، 2014.

83. قهلوز عبد القادر:

غبن أبي حجلة التلمساني وما بقي من مقاماته، دفاتر البحوث العلمية، ع9، 2016

84. قويدر عباس:

المؤسسات الثقافية في بلاد المغرب الأوسط خلال ق8هـ/14م، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج2، ع4، 2016.

85. كعب حاتم:

الوحدة المطلقة في فلسفة ابن سبعين المرسي قراءة في كتاب بُدُ المعارف، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج6، ع2، 2022.

86. لبيدي بلخير:

الشرطة في بلاد المغرب الإسلامي، مجلة كان، ع8، 2010.

87. لعرج عبد العزيز:

مجموعة المنشآت المعمارية للسلطان المريني أبي الحسن بالعباد 737_749هـ/1336_1348م، دراسات تراثية، ع2، 2008.

88. **محمد برشان:**

الزاوية الزيانية في بلاد السيبة، مجلة عصور، ع20، 2013.

89. **محمدي محمد:**

المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، ع13، 2013.

90. **المطراوي أسامة سيد:**

الفكر النحوي عند أبي القاسم الزجاجي (ت 337هـ)، حولية كلية اللغة العربي للبنين بجرجا، مج28، ع2، 2024.

91. **مطروح أم الخير، دحماني صبرينة نعيمة:**

الأضرحة بمدينة تلمسان دراسة نموذجية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع10، د ت.

92. **موفق نبيل:**

الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وجهوده في خدمة القرآن وعلومه، مجلة المنهل، ع2، 2015.

93. **هادي جلول:**

دور الزوايا التعليمي في المغرب الأوسط 7-9هـ/13_15م، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج8، ع 2، 2022.

94. **هواري موسى:**

قطف الثمار وتجفيفها ببلاد المغرب في العصر الوسيط من خلال المصادر، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج7، ع4، 2022.

95. **وامومن إبراهيم:**

من أعلام مدينة مراكش أبو الحسن الحرالي لمعة من سيرته وقراءة في فكره، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مج4، ع3، أوت 2021.

96. الوكيلي يونس:

الرقية موضوعا أنثروبولوجيا: التطبيب الديني وصراع أنماط التدين في المغرب Hesperis-Tamuda، ع3، 2020.

هـ_ المعاجم:

1. عاصم محمد زرق:

معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مديولي، 2000.

2. العبادي أحمد مختار:

معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، مج1، علم الكتب، القاهرة، 2008.

3. مجمع اللغة العربية:

المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.

4. نويهض عادل:

معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلي العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت،1980.

و_ مراجع أجنبية:

1. Abu Hanieh Hassan: sutism and sufi Orders: gods spiritual paths adaptation and renewal in the context of modernization,friedrich- ebert-stiftung ,amman office,2011.

2. Abu Rumman Mohammed: The Sufi Community in Jordan and Its Zawiyas, Hadras and Orders, Friedrich-Ebert-Stiftung, Jordan and Iraq Office, 2020.

3. Bassir Abdelmoghite : les zaouias darqawiyyas au Maroc, zaouia al-basir comme exemple, thèse de doctorat de : études arabes civilisation islamique et orientales, école pratique des hautes études, 2015.

4. Bilqies Shahida: Understanding the Concept of Islamic Sufism, Journal of Education Social Policy, Vol. 1 No. 1; 2014.

5. Burckhardt Titus: introduction To sufi doctrine**,** World Wisdom, kanada , 2008.

6. Khanam Farida: Sufism an introduction, Goodword Books, India, 2009.

7. Merigui Mossabe, Ben Koumar Djeloul : The impact of Sufism on social life in Algeria during the Ottoman era, Historical studies, vol : 12. N 01, 2024.

8. Spahic Omer: From Mosques to Khanqahs: The Origins and Rise of Sufi Institutions, KEMANUSIAAN Vol. 21, No. 1, 2014.

قائمة الفهارس:

1- فهرس الأماكن.
2- فهرس الأعلام.
3- فهرس المحتويات.

1- فهرس الأماكن:

الأماكن

أ

أرزاو 33، 34.
الأوراس 50، 55.
أسفي 27، 44، 94.
أنفا 44.
الإسكندرية 90.
إفريقية 113.

ب

بونة 31، 32.
بابا إيلان 27، 44، 84.
بجاية 28، 50، 91، 176، 196.
بسكرة 80، 97.

ت

تلمسان 27، 45، 50، 65، 107.
تونس 36.
تيط 39.
تامرنونت 27.
تانمللت 32.
تامنغاطت 44.

تازة 50.

ح

حصن تاوينت 51.

ر

الرباط 5، 7، 14، 15، 16، 17، 19،37، 29، 35، 36، 37، 43.

الرابطة 17، 37، 43.

مراكش 40.

ز

زاوية 82، 92، 95، 99.

س

سجلماسة 44.

ش

شرشال 33، 50

الشلف 69.

ع

العراق 35.

العباد 45.

ق

قسنطينة 50

م

مرسى مغلية 33، 50.

ملارة 95.

مستغانم 33.

المنستير 38، 39.
مراكش 45، 46.
مازونة 113.

ن

ندرومة 33، 34.

و

وادي ماسين34، 38.
وهران 31.

2- فهرس الأعلام:

أ

إبراهيم التازي 77، 212، 141.

إبراهيم بن القائد القسنطيني 187.

أبي إسحاق الثعالبي 187.

أحمد الغماري 88، 119، 120، 132.

أحمد بن إدريس الايولي البجائي 91.

أحمد بن حنبل 202.

أحمد بن يوسف الملياني 126، 198.

أسد بن الفرات 194.

ب

ابن بطوطة 35.

البسطامي 197.

ت

أبو تمام الواعظ الوهراني 72.

تقي الدين الجمائلي 195.

الترميذي 202، 204.

ث

الثعالبي 179، 181.

ج

ابن جرير الطبري 187.

ح

ابن حوقل 31.

أبي الحسن علي بن أبي النصر فتح بن عبد الله البجائي 36، 46، 66.

أبو الحسن الششتري 40، 213.

أبو الحسن الشاذلي 43، 90.

الحارث بن أسد المحاسبي 47.

أبو الحسن الحرالي 68، 110، 118، 137، 175، 189.

أبو الحسن أبركان 69، 87، 118، 120، 177.

أبو الحسن المريني 82.

ابن الحاجب 195، 196.

الحباك الصنهاجي 199.

أبو حامد الغزالي 200.

ز

أبو زكرياء يحي الزواوي 36، 61، 63، 64، 116، 174.

أبو زكرياء بن يوغان الصنهاجي 48.

أبو زكرياء المرجاني الموصلي 72، 175.

الزمخشري 187، 191.

أبي زيد عبد الرحمن الوغليسي 191.

ابن زاغو التلمساني 200.

أبي زيد القيرواني 196.

س

أبي سالم القديدي 39.

أبو سعيد عثمان 69.

سبويه 207.

ش

الشاطبي 210.

ص

ابن صعد التلمساني 201.

ع

عبد السلام التونسي 28، 47.

عبد الله بن ياسين 31.

أبو عبد الملك مروان البوني 32، 47.

أبو العباس التوزري 44.

عبد المومن بن على الكومي 47، 50.

عبد الواحد المغربي 64.

أبو عنان فارس 77.

أبو عبد الله محمد التميمي 77.

عبد الرحمن بن البنا 78.

أبو العباس العاقل 85.

أبو عبد الله الشريف التلمساني 85.

أبو عبد الله المتوكل 88.

أبو العباس أحمد بن مرزوق 111، 120.

عبد الرحمن الوغليسي 91.

أبو العلاء المديوني 124.

أبو العباس أحمد بن إدريس البجائي 125.

عبد العزيز بن عمر بن مخلوف 177.

أبو عثمان سعيد العقباني 180.

عبد الرحمن الثعالبي 190.

ابن عربي 197، 205.

أبو عبد الله المقري 201.

عبد الرحمن التجيبي 205.

عبد الحق الإشبيلي 205.

أبو العيش الخزرجي 205.

غ

الغبريني 35.

ف

أبو الفضل قاسم بن محمد القرطبي 68، 89.

ق

ابن قنفد القسنطيني 26، 38، 116، 201، 245.

ابن قنفد الخطيب 95.

القاضي عياض 195.

القشيري 204.

م

محمد بن تومرت 32، 46.

أبي مدين شعيب 38، 39.

أبي محمد صالح الماجري 42، 90.

أبي محمد بن عبد السلام بن مشيش 43.

أبي محمد عبد السلام التونسي 45.

أبي محمد عبد الكرين عبد الملك أبن يبكي 45، 65.

ابن مرزوق الخطيب 60، 202.

ابن مرزوق الحفيد 191، 195، 217.

أبو مروان عبد الملك الداكالي 72.

محمد بن يوسف السنوسي 120، 177.

محمد التواتي 92.

منصور بن على الزواوي 184.

محمد بن عبد الكريم المغيلي 191.

هـ

أبو الهادي مصباح الصنهاجي 68، 83، 96.

و

واضح بن عاصم المكناسي 69.

ي

يعقوب يوسف بن علي المبتلى 45.

يعقوب بن عمران البويوسفي 71، 95، 96، 139.

أبو يعقوب العشاشي 69.

يوسف بن يعقوب الملاري 96.

يعقوب بن يوسف الملاري 131.

أبو يعقوب المازوني 118.

أبو يعقوب التفريسي 200.

يحي بن عبد الله الهواري 120.

3- فهرس الجداول:

رقم الجدول.	عنوان الجدول.	الصفحة.
01	جدول يوضح الأربطة والرابطات التي تأسست في العهد الحمادي والموحدي	56
02	جدول يوضح نماذج من زوايا المغرب الأوسط تاريخ تأسيسها وأماكن تموقعها.	99
03	جدول يوضح جميع مؤلفات ابن قنفذ في علم الفلك من خلال كتابه الفارسة	216

4- فهرس المحتويات:

مقدمة: ..... أ

الفصل الأول: الزاوية بالمغرب الأوسط بين الأصول التاريخية والوظائف التعليمية. .....

أ_ مؤسسة الرباط "نواة الزوايا ومهد الجهاد والتعليم": **21**

1_ المدلول اللغوي: **21**

2_ المدلول الاصطلاحي: **23**

ب_ من الرباط إلى الزاوية... اتصال أم انفصال؟ **31**

ج _ الرباط... عن أي وظيفة نتحدث؟ **31**

1_الرباط مركز للتعبد والتبرك. **37**

2_ الرباط والدور التعليمي. **46**

د_الرباط على الشريط الساحلي للمغرب الأوسط -نواة أولى للزوايا- **49**

الفصل الثاني: الزوايا بالمغرب الأوسط قراءة في المدلول ومسار التطور. .....

أ_ الزاوية. **58**

1_ المدلول اللغوي والاصطلاحي للزاوية. **58**

1.1_لغة: **58**

2.1_اصطلاحا: **60**

ب_ الزوايا بين ثنائية العمران المادي والاحتضان الاجتماعي. **63**

ج _ الزوايا في طور ظهورها على ساحة المغرب الأوسط. **71**

1_ زوايا حاضرة تلمسان: **73**

2_زوايا حاضرة بجاية: **88**

3_ زوايا حاضرة قسنطينة: **95**

الفصل الثالث: الزوايا كإطار اجتماعي لمواجهة الأزمات والتحولات. .....
أ_ الجوع في بلاد المغرب الأوسط أسبابه وآليات مواجهته. **104**
ب_ هل شكلت الزوايا بديلا طبيا شعبيا؟ **123**
1_ الرقية الشرعية. **124**
2_ التفل بوصفه ممارسة علاجية شعبية مع اللمس والمسح. **126**
ب_ التداوي بالتبرك بقبور الأولياء والشرفاء: **127**
ج_ الوظيفة الاجتماعية للزوايا في مجال الإيواء. **128**
د_الزوايا وسيط بين السلطة والمجتمع. **131**
هـ_ الزوايا بين حفظ الأمن المحلي وحمل راية الجهاد. **135**
1_ كيف ساهمت الزوايا في تأمين الطرق والمسالك التجارية؟ **136**
2_ كيف جسدت الزوايا مفهوم الجهاد في مواجهة التهديدات الخارجية؟ **141**
الفصل الرابع: زوايا المغرب الأوسط والأداء الثقافي–المحدِّدات والأدوار– **170**
أ_ الزوايا ودورها التعليمي –القرآن الكريم من التعليم إلى التحفيظ أنموذجا. **173**
ب_ عوامل نجاح التعليم في الزوايا: **181**
ج_ المنظومة العلمية لزوايا المغرب الأوسط–من المقررات والعلوم المدَرَّسَة إلى الإنتاج المعرفي والمصَنّفات البارزة– **183**
1_ العلوم الدينية: **184**
أ_ علم القراءات: **184**
ب_ التفسير: **185**
2_ العلوم الفقهية: **193**
3_ علم التصوف. **196**
4 _علم الحديث: **201**

5 _ العلوم الأدبية: **204**
أ_ النثر: **205**
ب _الشعر: **208**
5_علم الفلك: **214**
6 _العلوم العددية: **216**
7_علم المنطق: **218**
الخاتمة: **221**
قائمة المصادر والمراجع: **228**
قائمة الفهارس: **227**

الملخص

تندرج هذه الدراسة ضمن حقل البحوث المتخصصة في تاريخ التصوف وحياة الزهد والانقطاع، كما تبلورت معالمها في إقليم الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، ابتداءً من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. وتسعى هذه الدراسة، الموسومة بـ «**الدور الاجتماعي والثقافي لزوايا المغرب الاوسط خلال العصر الوسيط من القرن (7_9هـ/13_15م)**»، إلى إبراز الأبعاد الوظيفية والحضارية لمؤسسات التصوف، من خلال تتبّع نشأة زوايا الرعيل الأول، المتمثّلة في الأربطة والرباطات والكشف عن العوامل التاريخية التي أسهمت في ظهورها وانتشارها ببلاد المغرب الأوسط، مع تحديد مجالات تمركزها وأدوارها الأولى، وقد مثّلت هذه المؤسسات البنية التأسيسية الأولى لاحتضان الفكر الصوفي التعبدي ذي النزعة الزهدية الانعزالية، حيث لم تقتصر وظائفها على أداء الشعائر التعبدية والتبرك، بل تعدّت ذلك إلى الاضطلاع بأدوار متعددة، من بينها الاحتراس والدفاع، والإغاثة، واستقبال المسافرين وعابري السبيل. كما كان لها إسهام اجتماعي بارز، تمثّل في رعاية الفئات الهشّة من فقراء ومساكين، واستقطابهم، فضلًا عن تعليم الصبية وتأطيرهم دينيًا وأخلاقيًا، بما يعكس اندماجها العميق في النسيج المجتمعي ومع تحوّلات البنية الدينية والاجتماعية، شهدت هذه الوظائف انتقالًا تدريجيًا إلى مؤسسة أخرى أشارت إليها المصادر باسم الزاوية، التي ما لبثت أن عرفت ازدهارًا ملحوظًا وذيوعًا واسعًا ابتداءً من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، لتغدو مركزًا للإشعاع الفكري والروحي في بلاد المغرب الأوسط على وجه الخصوص وقد أصبحت الزوايا قبلة للعلماء، وأقطاب التصوف، والفقهاء، بل وحتى لرجال السياسة، القادمين من شتى الأقطار، لما كانت تؤديه من أدوار علمية وتربوية واجتماعية ذات أثر بالغ وبفعل هذا الدور المتنامي، حظيت الزوايا بمكانة معتبرة لدى السلطتين الحاكمة والمحكومة على السواء، فنالت أشكالًا متعددة من الدعم، تمثّلت في إقطاع العقارات، ووقف البساتين، وتوفير الأقوات والمؤن، الأمر الذي أسهم في تعزيز حيويتها وتوسيع مجال تدخلها المجتمعي، ولا سيما خلال فترات الاضطراب السياسي والكوارث الطبيعية وقد تجلّى ذلك بوضوح في قيامها بإغاثة المتضررين من الحروب، وتوفير الغذاء للمحتاجين، فضلًا عن مداواة الجرحى ورعاية المرضى.

الكلمات المفتاحية: التصوف، الزهد، المغرب الأوسط، الزوايا، الاربطة، الرباطات، المناهج التربوية الأوقاف، الاوراد.

Résumé.

L'étude s'inscrit dans le cadre d'une recherche spécialisée dans le domaine du mysticisme et de la vie de l'ascétisme qui a été observée dans la région islamique occidentale au cours de l'ère intermédiaire du début du siècle (5_9‹15_11) . Nous avons tenté de faire la lumière dans notre étude, intitulée le rôle social et culturel des coins marocains du Moyen-Maroc au cours de l'ère intermédiaire du siècle (7_9‹15_13) Sur les coins de la première génération, qui sont les liens, et les liaisons ainsi que les facteurs de son apparition au Maghreb moyen et les lieux de sa centralité, étant l'institution précurseur dans l'adoption de la pensée soufie esclavagiste, isolationniste offrant de nombreux rôles et fonctions tels que la fonction d'adoration, de bénédiction, la fonction de garde, de secours et gare de voyageurs, ainsi que ses rôles sociaux et services et assistance aux pauvres pour les attirer et instruire les garçons afin que ces services se transfèrent à une autre institution sitée par les resources sous le nom de Zaouia qui sera épanouie au siècle (7_9‹15_13) et deviendra un centre de rayonnement intellectuel et mystique notamment au Moyen Maghreb et elle est visitée par les scientifiques, les pôles mystiques, ainsi que les juristes et les politiciens de tout le monde et fournit de grands services humanitaires, jusqu'à ce qu'elle a gagné une place prestigieuse dans la classe dirigeante et dirigée et on lui a fourni de l'aide en lui appropriant les immobiliers et en lui attribuant les jardins et la nourriture ce qui a renforcé son activité et son service à la communauté particulièrement pendant les crises politiques et naturelles et fournir de la nourriture aux sinistrés pendant les guères et les catastrophes naturelles ainsi que le traitement des malades et des maladies mortelles don't la médecine expérimentale a échoué le traitement.

Mots-clés : mysticisme ; Assize ; Maroc central ; angles ; liaison ; liens ; programmes d'études ; dotations ; veines.

Abstract

This study falls within the specialized research on Sufism and the ascetic lifestyle that characterized the Islamic West during the medieval period, particularly from the 5th to the 9th century Hijri (11th to 15th century CE). Therefore, the focus is on the social and cultural role of the zaouias (Sufi lodges) in Central Maghreb during the medieval period, specifically from the 7th to the 9th century Hijri (13th to 15th century CE). This work aims to illuminate the early zaouias, (fortified lodges) presented in Ribats and their factors of emergence in Central Maghreb, as these institutions were pivotal in nurturing the ascetic and hermetic SufiThought. They provided various roles and functions, including acts of worship, blessings, protection, and assistance for travelers, alongside their social roles in offering services and aid to the poor and in educating children. Subsequently, these activities transitioned to another institution referred to in historical sources as the zaouia, which flourished and gained renown during the 7th to 9th century Hijri (13th to 15th century CE). Moreover, this institution became a center of intellectual and spiritual illumination in Central Maghreb, attracting scholars, Sufi leaders, jurists, and political figures from various regions. It rendered numerous humanitarian services, earning a prestigious status among both the ruling and governed classes. The ruling elite provided assistance in the form of land grants and endowments, which enhanced the zaouia's capacity to serve the community, especially during political and natural crises, by providing food to those affected by wars and natural disasters, as well as treating the sick and injured from devastating ailments that conventional medicine struggled to address.

Keywords: Sufism; asceticism; Central Maghreb; Zaouias; Ribats; Educational Methods; Endowments; Spiritual Practices.

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Emir Abd Elkader University for Islamic Sciences- Constantine

Faculty Arts and Islamic Civilization
Department of History.
Serial Number: ……...…
Registration Number:…….

The social and cultural role of the zawias (Sufi lodges) in Central Maghreb during the medieval period, specifically from the 7th to the 9th century Hijri (13th to 15th century CE)

Thesis Doctorat L M D Human Sciences – History
Specialty: Political and Civilizational History of Maghreb in the middle Ages

Presented by:
Abdenour Khettallah

Supervision Professor:
Mourad lakhal

Member of the Discussion Committee:

Name Surname	Rank	Original University	Character
Mourad lakhal	Professor	Mohammed Boudiaf University - Msila	

University Year: 1445-1446H/2024-2025AD